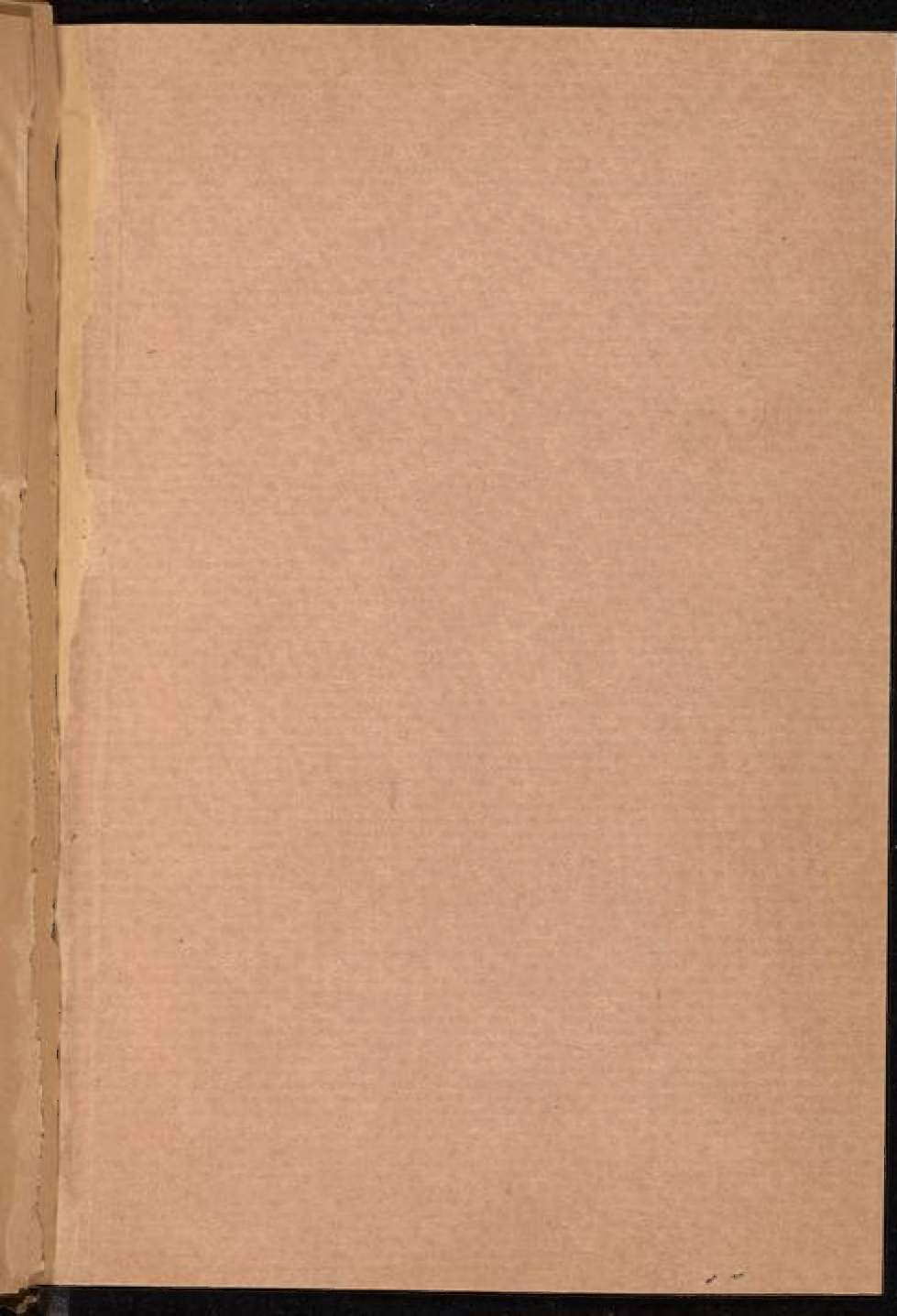


893.785
J95

AUG 1 1957



لكنوز العرب جمع

جامع الله كسرية

والنقل عنها وتأثر العقل العربي بعلومها



القاهرة ١٩٤٤

893.785
J95

Nov 15, 1955
SB

٨٥٨-١٥, ١٩٥٥ ٨٨

إلى المربية الخالدة

مدينة الفاروس والمتحف والمكتبة

مدينة الهداية والعلم والمعرفة

إلى الاسكندرية

—

تمهيد

المنتخب الاسكندري بجامعة

ظلت «أثينا» كعبة الفنون، ومستقر الثقافة زمنا طويلا قبل الميلاد وبعده، وبقيت مدارسها عامرة بالعلم والفلسفة حتى عام ٥٢٩ للميلاد، وقدّر بهذا لعاصمة اليونان أن تحمل لواء العلم في العالم القديم أكثر من عشرة قرون.

وكان الأغاقرقة منذ زمن بعيد قبل ظهور «الاسكندر»، قد أدركوا بلاد الشرق الأدنى مشغولين بالتجارة، أو منخرطين في سلك جيوشه جنوداً مرتزقة، أو مضطلعين ببعض الوظائف في حكوماته، أو حذافا للفنون يمارسونها في أنحائه مأجورين عليها.

وما أن سطع نجم مقدونيا، وغزا «الاسكندر» بلاد الشرق القريب، حتى أزمع الملك الفتى أن يحقق فيها تلك السياسة التي رسمها لتحضيرها ونشر الثقافة اليونانية بين ربوعها، غير أن الملك الطموح عاجلته المنية قبل أن يحني الثمرة التي بذر بذورها قوية مأمولة النماء في أرض الهلال الخصيب.

وأنتج الغزو المقدوني نتائج المرحجة في نواحي السياسة، والعلم والأعراف واللغة والفنون — فتأثرت مواطن الحضارات القديمة تأثراً محسوساً بالنظم الهلينية، وبثقافة اليونان وعاداتهم وفنونهم، ولغتهم. ولم يضعف من شأن هذه المؤثرات ويحد من أطرادها، إلا موت الملك الفتى، وانقسام مملكته بين قواده.

وانعطف تيار الثقافة رغم ذلك نحو مصر، وهذا فيها واستكن في

«الاسكندرية» — المدينة التي أسسها الاسكندر على حافة أرض الفراعنة، لتكون عاصمة للملك المنشود، ومستقراً للثقافة التي حمل لواءها في البلاد المغزوة.

وقدر لبطليموس، صديق الاسكندر، وأحد قواده العظام، أن يحكم مصر مستقلاً بها على نحو ما كان يحكمها الفراعنة. ولقد كان القائد الذي انتهت اليه مقاليد الأمور في مصر، مشبعاً مثل سيده بآراء «أرسطو» — لا يقل رغبة وحماساً عن الاسكندر في بث الروح الهلينية والثقافة الاغريقية في البلاد التي آلت مقاليدها اليه.

وقد كان بطليموس، فوق ما اتصف به من المقدرة الحربية، عقلاً راجحاً وفكراً منظماً، يحب البحث العلمي، كلفا بآراء الفلاسفة اليونان، محباً للتاريخ، مصنفاً فيه. ويعتبر «بطليموس الأول» المعروف باسم «بطليموس سوتر» أول مقرر لنظام «المنح العلمية» تشجيعاً للعلماء على البحث والانتاج. وهو متأثر في هذا بما كان يراه من سيده الاسكندر، من مد أستاذه «أرسطو» بالمال اللازم لمواصلة أبحاثه وجهوده العلمية.

لهذا أنشأ بطليموس الأول في الاسكندرية، بعد أن خلا من شواغل الحرب والسياسة، مؤسسة علمية، وهبها لآلهة الشعر (Muses) أطلق عليها مؤسسوها من اليونان اسم «الموسيون» ΜΟΥΣΕΙΟΝ بمعنى «المتحف»، ومنه اشتق اسم «الميوزيوم» Museum و«الميوزيه» Musée، بمعنى دار التحف أو دار الحكمة (١).
(١) في كلمة muse الإنجليزية معاني التأمل والدراسة الصامتة وإعمال الفرائح

وهكذا كان المتحف الاسكندري « أكاديمية » تشبه الاكاديميات
اللاتينية، زودها بطليموس الاول بنصر من خيرة الاساتذة اليونان. يذكر
« بليوتارخ » أنه استدعاهم من بلادهم ، وحسب إليهم الإقامة في عاصمة مملكته ،
وقرهم منه . وبمعيونة مستشاره « ديمتريوس الفاليري » (١) استطاع « سوتر »
أن ينشئ « الاكاديمية » الاسكندرية ، وإن يزودها بمكتبة كبرى .

وقد كان حرص « سوتر » على جعل الاسكندرية كعبة العلوم
والفنون ، لا يقل عن حرصه على تركيز تجارة البحر الابيض المتوسط
فيها — فنذ أوائل القرن الثالث قبل الميلاد ، أنشئت بالاسكندرية
« أكاديمية » علمية أشبه شئ . بالمخفل ، يجتمع فيه العلماء يتجادلون
ويقناظرون في أروفتهم . وفي المكتبة الملحقة به ، يشهد جدلهم ،
ويستمع اليه ، العاهل الذي أسس الاكاديمية . ونفر من خاصة القوم ،
أغرم بالدراسة والبحث والمناظرة . ويذهب المؤرخ الألماني
« كلبل » Klippel إلى أن المؤسسة العلمية التي قامت بالاسكندرية في
الحلقات الاولى من القرن الثالث قبل الميلاد ، ليست في جملتها
وتفاصيلها إلا صورة من « الاكاديمية » اللاتينية .

ويعتبر « سترابو » المكتبة التي أنشأها « ديمتريوس الفاليري »
لبطليموس الاول في الاسكندرية ، محاكاة ناجحة لمكتبة « أرسطو »
اليونانية التي كانت تقوم على مقربة من « الليسوم » . وعلى نحو ما جمع

(١) نسبة إلى فاليريون إحدى مدن اليونان الساحلية

«سوتر» مؤسسة العلمية نخبه من علماء العصر وأدبائه وفلاسفته، كذلك استطاع أن يجمع لمكتبته الكبرى أثمن المخطوطات اليونانية وأندرها .

ولم يعد شك ، بعد أن محصت آراء المؤرخين ، أن المؤسسة الحقيقية للأكاديمية الاسكندرية والمكتبة الكبرى التي ألحقت بها ، هو «بطليموس الاول» ، وأن الفضل الاوفى في انشائها معا يرجع إلى الفيلسوف اليوناني «ديمتريوس فاليريون» الذي استدعاه بطليموس الاول من أثينا ، واتخذته مستشارا ثقافيا .

وتعمل بعض المؤرخين المحدثين من أمثال «بطلر» Butler و«برستيد» Breasted و«مايرز» Myres إلى اعتبار «المتحف» الاسكندري جامعة ، ما لبثت أن أصبح لها مع الزمن كل عتاد الجامعات ونظامها وروحها ونتاجها ، ومن ثم لا نرى ما يحول دون إطلاق كلمة «جامعة الاسكندرية» على المؤسسة العلمية التي أنشأها بطليموس الاول في عاصمة مملكته ، والتي سماها مؤسسوها من اليونان باسم «الموسيون» ، وعرفها الانجليز والالمان باسم «الميزيوم» ، واعتاد الفرنسيون أن يذكروها في مؤلفاتهم باسم «مدرسة الاسكندرية» L'école d'Alexandrie والتي يطلق عليها أحيانا اسم «الأكاديمية» Académie ، لشدة شبهها بالأكاديمية الاثينية .

كان «المتحف» الاسكندري ، في حقيقة الامر جامعة ، تتكون من أروقة للدراسة وقاعات للبحث والمناظرة ، فضلا عن المكتبة الكبرى ، والحدائق

والحظائر الملحقة بالابنية ، والمرصد المتناخم لها . وكانت الحدائق
والحظائر تحتوى الكثير من نماذج النبات والحيوان التى أفادت دراسة
العلوم الطبيعية ودراسة الطب بالجامعة أعظم الفائدة وأجلها .

وقدر للتحف الاسكندى والمكتبة الملحقة به أن يلبغا أعظم
شأن لها فى عهد بطليموس الثانى (فيلادلف) ، ومن ثم وقع بعض
المؤرخين فى الخطأ ، فذهب « يوزيب » Eusebius (٢٦٥ / ٣٤٠ م)
ومن نحائجه من المؤرخين ، إلى اعتباره المؤسس له ، وهو رأى
لا نلبث أن نرجع إلى ما كتب « بلوتارخ » حتى يتبين خطأه .

وتؤكد تجمع المراجع التاريخية على أن مكان هذه المؤسسة
العلية والمكتبة الملحقة بها ، كان فى حى البروكيوم Brochium ،
الحى المسمى فى المدينة ، على مقربة من قصور البطالمة . — والظاهر
أنه كانت بالمتحف أروقة لسكن العلماء ، وليس ذلك عجيبا على كل
حال ، فقد قيل أن ملوك البطالمة كانوا لشدة ميلهم إلى العلماء ، وتقديرهم
لهم ، يسكنونهم معهم فى قصورهم الخاصة .

واضطربت هذه المؤسسة العلية بين القوة والضعف ،
وكان ذلك مرهونا بقوة البطالمة أو ضعفهم من الوجهة السياسية .
وهوت هوبا شديدا عند ما زلت أقدام البطالمة ، وارتعوا فى
أحضان السياسة الرومانية ، منذ عهد بطليموس السابع
(١٤٥ / ١١٦ ق.م) . والحق أن فترة ازدهارها لم تطل كثيرا .

ويكاد يعين عصر بطليموس الخامس (٢٠٣/١٨١ ق.م.)، الحد الفاصل بين عصر القوة وعصر الضعف فيها، كما يكاد يعين غزو ديوليوس قيصر لمصر، وتبعية البلاد للرومان (منذ ٤٨ ق.م.)، عصر انتقال العلم الاسكندري من طوره اليوناني البحت، إلى طوره اليوناني الروماني.

أما أنتاج هذه المؤسسة في عصورها المختلفة، وأما نظامها وتطورها وعلاؤها وأبحاثهم، في الرياضسة والفلك وعلوم الطبيعة والنبات والحيوان والطب والتشريح والجغرافيا وقواعد اللغة وتقد الآداب والخطابة والفلسفة وغير ذلك، فأن القارى يجد بعضه مطويا بين دفتي البحث — على النحو الذى قدر لجهذ مؤلفه أن يصل إليه.

والحق أن فضل الاسكندرية على الحركة العلمية الانسانية واضح لا يحصى، ويصعب أن يوفى الانسان هذه المدينة حقها من الناحية العلمية، أو أن يلم إلماما تاما بنظام الجامعة التى نشأت فيها، أو بالأنتاج العلمى الذى صدر عنها، لتقدم العهد على تلك الآثار العلمية، وكثرة ما اتاب المدينة من العواصف السياسية والاضطرابات الدينية — ومهما يكن من الامر، فقد خلصت لنا طائفة من المعلومات، أثبتتها غورين معجيين بما كان لمدينتنا العظيمة من فضل على العلم الانسانى.

ومن أسف أن تودى أحداث الزمن، كحريق الاسكندرية عند حصار قيصر لها سنة ٤٨ ق.م، واصطدام المسيحية بالوثنية في القرون الأولى بعد الميلاد، ونزاعها معها، ذلك النزاع الذى انتهى بتدمير معبد السرايوم، في القرن الرابع الميلادى، وانتصار المسيحية

على الوثنية انتصارا حاسما بهذا التدمير . إلى زعزعة الحياة العلمية ،
والقضاء عليها في كثير من الأحيان . فلما أن تسنت لها الحياة ،
القيّة بعد القيّة . وسط ذلك الاضطراب الديني ، ظهرت آثار
أدبية وعلمية . صدرت عن المدينة في أوقات متباعدة ، وبدرجات
متفاوتة بين قوة الانتاج وضعفه ، وتسنت هذه الحركات المتقطعة
باسم « مدارس الاسكندرية » في عصور ضعف الجامعة وانحلالها ،
وزوال عتادها القديم ، بتدمير « السرايوم » .

وكانت أشهر المدارس التي صادفها اتجاع العرب للاسكندرية غداة
الفتح ، حوالى منتصف القرن السابع الميلادى ، مدرسة وطية ، أفاد منها
الريان والعرب فائدة كبرى ، ونقل العرب فيما نقلوا عن الاسكندرية
« فلسفة الاسكندرانيين » أو فلسفة « الشيخ اليونانى » أفلوطين ، كما نقلوا
الجغرافية ، والفلك ، والكيمياء ، والرياضة ، وغيرها مما يرى
مبضلا بعض التفصيل بين دفتى الكتاب .

وأتيح للعرب بهذا النقل أن يكونوا حفظة على الثروة العلمية
اليونانية ، وحلقة اتصال بين القديم والحديث . ونحن لا نجعل منى
ما أفادت أوروبا من علوم الأقدمين ، بطريق العرب في أسبانيا
والشرق الأدنى . إذ بفضلهم عمرت دور الكتب في كل مكان بنفائس
المخطوطات القديمة ، وأتيح للأوروبيين النقل عنها في الوقت المناسب إلى
اللغة اللاتينية أول الأمر ، ثم إلى غيرها من اللغات الأوروبية بعد ذلك .

المؤلف

القاهرة في سبتمبر ١٩٤٤

القسم الأول

الجامعة

الباب الأول

الحضارة الهلينية في الاسكندرية (١)

وتأسيس المتحف الاسكندري

الفصل الأول

حلم كبير يتحقق

استدعى « فليب » ملك مقدونية « أرسطو » ، المعلم الاول ، ليكون أستاذاً لابنه ووارث ملكه « الاسكندر » . وكان الاسكندر حينئذ لم يجاوز عامه الثالث عشر ، فرشف الامير الصغير من هذا المنهل الصافي ، وأحب من بين ما تلقى أعاني « هومر » وغيره من رواة الاعمال المجيدة لابطال اليونان القدماء .

(١) « الهلينية » نسبة الى « هلن » Hellen احدى قبائل تساليا من مقاطعات بلاد اليونان . كان زعيمها يدعى (هلن) ، عاش في القرن السادس قبل الميلاد — ولم يلبث لشهرت أن عم استعمال اسمه ، حتى أصبح علماً على جميع الأغريق ، فالهليونون على ذلك هم الأغريق ، والحضارة الهلينية هي الحضارة الاغريقية . والهلينزم ، اصلاح غلط . ويقصد به عندما يطلق ، جميع مظاهر الثقافة الاغريقية من عهد الاسكندر حتى نهاية العصر التارخي القديم في أوروبا .

ومنذ بداية القرن السادس ق.م. ، كانت « الثقافة الهلينية » قد أخذت تقوى وتغزو الحضارات القديمة التي قبل بعضها حضارة الهلنيين ، وقاوم بعضها الآخر (كما حدث في مصر وبلاد النهرين) ، ولكن تأثيرها قوياً ظاهرها بصمة خاصة في الشعوب غير المتحضرة التي كانت تسكن فيما بين آسيايا وبلاد القوقاز .

ومرت روح « الهلنزم » هذه في جميع المدن التي خضعت للأغريق خضوعاً سياسياً —

وشغف الفنى بروائع الادب اليونانى ، وغزت أعمال الابطال قلبه ، وأشعلت خياله ، وبعثت فيه روحاً وخلقاً يمتان إلى البطولة بأقوى الاسباب ، ذلك أنه ولد ليكون بطلاً — لا كأبطال الاقاصيص ، خلقتهم الرواة من كتاب اليونان وشعرائهم خلقاً فكرياً لا وجوده في عالم الحقيقة ، وإنما ولد — ليكون بطلاً حقاً .

حلف أباه على عرش مقدونيا ولم يتجاوز العشرين من عمره (٣٣٦ ق . م) ، وورث فيما ورث من مشاكل أبيه عداء المدن اليونانية الماهضة لمقدونيا وعداء الفرس في وقت معا ، وما زال بالمدن اليونانية حتى أهلكه طيبة ، لم يدع منها قائماً غير بيت الشاعر ، پندار . وأرغم بقية المدن على الاعتراف برعايته ، إلا اسبرطة ، العنيدة المكابرة ، فقد ظلت بعيدة عن معانفته أو مهادته .

وبهذا أمن الاسكندر جانب اليونانيين ، وأصبح بطل الهيلينيين غير منازع ، اللهم إلا من اسبرطة ، وكانت بما وهبها الله من طبيعة جبيلة ، وما نشأ عليه أبنائها من خشونة في العيش ، وغلظة في الطباع . تتخذ لنفسها بين مدن اليونان طابعاً خاصاً . وانصرف الاسكندر بعد ذلك بعد العدة لمنازلة الفرس ، وأمدته المدن اليونانية بفصائل = و تجاوزت هذه بتأثيرها القوي إلى سمات أخرى في القرن الخامس قبل الميلاد . بلغت الثقافة الهلينية ، أقصى شأنها في أثر غزوات الاسكندر المقدوني . وأدركت بفضل فتوحاته مصر وبلاد النهرين وإيران والهند وتوكت في هذه الجهات آثاراً واضحة .

من الجنود ، انضمت إلى جيشه المقدوني ، فتكونت من مجموعهم
جبهة قوية ، تشتعل حماسة للقضية الهلينية ضد الفرس .

وخرج الاسكندر في جيشه الكبير إلى آسيا الصغرى ، فبلغ سهول
وطرواده ، وعسكرت جنوده حيث عسكر أبطال الأفاصيص الهومرية
من قبل ، كان الاسكندر قد ضرع إلى الآلهة في معبد « أثنا » أن ينصروا
قضيته على الفرس الذين اغتصبوا قديماً مدن آسيا الصغرى من اليونان .
والتقى الاسكندر بالفرس في موقعة « غرانيق » ، على النهر المسمى
بهذا الاسم في آسيا الصغرى ، وأبلى بنفسه في الموقعة بلا حسناً ،
وانتهت المعركة بفوز عظيم للأغريق على الفرس ، واسترد مدن
آسيا الصغرى من أيدي هؤلاء واحدة فواحدة ، وخلصها جميعاً
من الدير الفارسي .

وكانت للاسكندر آمال لم تكن لأبيه ، فقد كان يطمع في أقصاء
الفرس عن آسيا الصغرى ، ويطمع فوق ذلك في غزوه في بلادهم ،
وفي جعل بلادهم هذه جزءاً من إمبراطورية أغريقية واسعة النطاق
تضم آسيا الصغرى وفينيقية ومصر وبلاد فارس حتى تخوم الهند ،
وأن يجعل فوق ذلك كله من البحر الأبيض المتوسط وبحيرة أغريقية .
ولم يكن الاسكندر لبشك مطلقاً في إمكان تحقيق هذا الحلم
الكبير ، لأن نفسه كانت أكبر ، وقد حمل فيما حمل من الاماني
العذاب ، أن يجعل العالم الجديد الذي اعتزم فتحه وتكوينه هلينياً
في نظمه وصيغته وثقافته .

وسقطت موانئ فينيقية الواحدة بعد الاخرى في يد الاسكندر ، وانفسح الطريق إلى مصر ، وكانت في أواخر خضوعها للحكم الفارسي من الضعف بحيث لم يكلف فتحها الاسكندر عناء يذكر ، فأسلبت القيادة بعد فينيقية للفتح الجديد ، وأصبح البحر الابيض الشرقي في قبضته . وباستيلاء الاسكندر على سواحل فينيقية ، انقطعت الصلة بين الاسطول الفارسي في البحر الابيض ، والاملاك الفارسية في الداخل ، فكان ذلك بمثابة هزيمة ثانية للفرس ، بعد هزيمتهم النكراء في موقعة غرانيق .

وعاد الاسكندر أدراجه من مصر إلى حيث يمكنه أن يقضي القضاء المبرم على الدولة الفارسية ، فيم شطر آسيياً يبغي لقاء العدو ، وسار حتى انتهى إلى خرائب « نينوى » ، حيث وقعت واقعة « إربل » الفاصلة ، وفيها هزم الفرس هزيمة منكرة . نتيجة جهلهم الفاضح بما كان قد وصل اليه المقدونيون من التقدم في فنون الحرب . وفر في أعقاب الموقعة « دارا » ملك الفرس ، وقتل وهو يولى الأدبار بيد بعض الخوذة من أتباعه .

وهكذا انكشف الطريق إلى بلاد فارس ذاتها ، فغزا الاسكندر الفرس في صميم بلادهم ، وأحرق عرش عاهل الفرس انتقاماً لما كان قد اقترفه هؤلاء من حرق مدينة « ميليطيا » اليونانية في آسيا الصغرى ، ومعابده « الاكروبول » في أثينا . ولم يكن الاسكندر يقصد بهذا سوى اعلان مقدرة على الانتقام من العدو ، فلم يكن يرى الزيران يدب ديبها في ملك الاكاسرة ، حتى أمر بوقف الحريق ، قبل أن تستفحل خسائره .

وبلغ الاسكندر بعد ذلك حدود الهند، وعاد أدراجه إلى بابل التي كان قد اعتزم جعلها مركزاً متوسطاً للأشراف على امبراطوريته المترامية الاطراف. وحمل الاسكندر إلى البلاد المفتوحة روحاً وثقافة يونانيتين، وأنشأ المدن على النمط الاغريقي حيثما استقر، وأطلق عليها اسمه الكبير. ومن هنا وجد الفن الاغريقي سبيله إلى آسيا الفارسية، ودرج منها إلى الهند والصين. فترك آثاراً له ما تزال ملحوظة في فنون تلك البلاد حتى الوقت الحاضر.

اقرنت فتوح الاسكندر بفسكرة معنوية إلى جانب فكرة الفتح المادية، ذلك أنه قصد فيما قصد إلى نشر العلم اليوناني وبث روحه في البحث، فأرسل وهو بمصر حملة إلى أعالي النيل لتعرف أسباب زيادته كل عام، وبعث بأخرى إلى سواحل بحر «الجزر» لتبني أسطولاً تجوس به خلاله، وتكشف الاجزاء الشمالية منه. وساعده على تحقيق الاغراض العلمية ذلك العدد الوفير من علماء النبات الذين استصحبهم معه من بلاد الاغريق، وبمعونة هؤلاء، أرسل الاسكندر مجموعة ثمينة من أنواع النبات التي صادفها علماء هذه الحملة إلى استاذة وأرسطوه الذي كان يعلم في الأكاديمية الاثينية إذ ذاك. وقد كانت خطبة الاسكندر في جعل العالم الجديد الذي فتحه «اغريقيا» واضحة كل الوضوح، ولم يدخر وسعاً في العمل على تحقيق هذه الغاية، فصاهر الأسرة الفارسية الحاكمة، وحمل ضباط جيشه على الزواج من فارسيات، وأوجد بهذا نسلاً جديداً

دان بدين الاسكندر ، وهودين حضارة جديدة ، مزجت بين العنصرين اليوناني والشرقي . وقد كانت في ذلك أكبر تحقيق لأحلام الملك الشاب . بعد وغبته الملحة في الانتقام من الفرس ، وتسكوين امبراطورية واسعة على أنقاض ملكهم العتيق .

وتم للأسكندر ما أراد من قضاء على عزة الفرس باستيلائه على « موه » عاصمة دارا . وانتهى اليه أمر الدولة التي طالما دوخت الأغريق . واستقر به الرأي آخر الأمر أن ينزل مدينة « بابل » السامية ، فيجعل منها مقراً لحكم البلاد المفتوحة ، بسبب توسط موقعها بين آسيا الصغرى وهضبة ايران ومصر . ولعله رأى أنها لهذا التوسط نفسه ، قد تصلح مكاناً لادماج الغرب الأريقي بالشرق ، وتكوين الحضارة الجديدة التي شغلت باله ، تلك الحضارة التي أساسها وقوامها العنصر الهليئي — لأنه كانت يؤمن الايمان الوثيق بتفوق الحضارة الهلينية على ما عداها من الحضارات المعاصرة لها . ولما فرغ الاسكندر من أمر الفرس ، عاد فوجه همه نحو الغرب ، يريد هذه المرة أن يطوق البحر الأبيض الغربي بسيادته .

ويقال أنه قد داخل الاسكندر ، بعد تلك الانتصارات الحاسمة التي أحرزها في كل مكان ، شيء غير قليل من الغرور والزعفة ، والأتوقراطية ، المقرونة بشكرة الحق الإلهي المقدس . وكانت نظرية الحق الإلهي ومعروفة في الشرق ، وفي مصر خاصة . منذ كان الملوك فيها آلهة هيبطت إلى الأرض ، ثم أبناء للآلهة فيما بعد ، كما كانت النظرية معروفة

في بلاد الاغريق ذلتها — فما ارتفع شأن أغريق إلى مثل ما ارتفع اليه شأن الاسكندر الأكبر ، إلا وأصبح بين قومه في عداد الآلهة . وما كاد الاسكندر ، بعد أن أحرز انتصاراته الباهرة ، يلتفت إلى الغرب ، لينجز فيه مثلاً انجز في الشرق ، حتى تكشفت له مؤامرة خبيثة . دبرها له صفوة من أصدقائه الذين أكل الحقد قلوبهم ، بسبب ما كان يتأجج في نفوسهم من نيران الغيرة ، لأن العاهل العظيم لم تكن أطباعه لتقف عند حد ، ولأن شخصه علا في نظرهم ، وبلغ من السمو والتداني من مرتبة الآلهة حداً لا يطاق ! ولكن الاسكندر لم يتردد لحظة في القضاء على المتآمرين ، ومنهم أعز أصدقائه وأخلصهم « كليتس » الذي انقذ حياته في موقعة « غرانيق » ، حين كان قاب قوسين أو أدنى من الموت . وقضى في أثر كليتس « هيفستيون » ، أقرب أصدقاء الاسكندر إلى نفسه ، لحزن عليه حزناً أثّر في بناء جسمه فأضناه . وبينما الاسكندر يتأهب لاختضاع شبه الجزيرة العربية ، ليتفرغ بعد ذلك لانجاز مشروعه الكبير في الغرب ، عاجلته المنية في بابل عام ٣٢٣ ق . م . ، في سن الثالثة والثلاثين .

حقق الاسكندر الأكبر للاغريق تفوقاً سياسياً عظيماً ، وكان موته حادثاً تاريخياً كبير الأثر في عالم السياسة في ذلك الوقت ، إذ قدر للعالم الجديد الذي كونه أن تنقطع أوصاله ، كما كان في الوقت نفسه حادثاً تاريخياً سيئ الأثر في عالم المدنية ، حيث لم يقدر للفكرة الجليلة التي ملأت نفس الرجل أن تتحقق على النحو الذي أراده لها ،

— وهي فكرة ادماج الشرق بالغرب عن طريق روجي .

وتنازع قواد الاسكندر بعد موته « في بابل » تنازعا لم يمكن معه لاحدهم أن يتم مشروع الرجل العظيم ، لأنهم كانوا جميعا دونه مقدرة على الاضطلاع بمثل أعبائه الجسيمة ، وانتهى نزاعهم إلى النتيجة المحتومة — إلى تقسيم ملكه ، وكانت مصر من نصيب « بطليموس » أحد قواد الاسكندر الماهرة .

واستقل « بطليموس » بمصر ، وكون بها أسرة أغريقية الأصل .
« تمصرت » تدريجاً ، وحكمت مصر على غرار حكم الفراعنة ، وتمتع
بكتير عما كان لهؤلاء من بأس وسلطان .

ووجد بطليموس الأول بادية الأمر ضرورة إلى الاستعانة بحامية
أغريقية ، وابتنى لدولته الناشئة أسطولا في البحر المتوسط ، وحكم مصر
من الاسكندرية ، المدينة التي أسسها الاسكندر عام ٣٣٢ قبل الميلاد .

وليس يعنينا هنا كثيراً أن نتابع كيف حكم البطالمة هذه البلاد
حكماً سياسياً ، بقدر ما يعنينا أن نتابع كيف كان لذلك الوجود السياسي
الذي أحدثه غزو الاسكندر في مصر أثره على وجوه المدنية والثقافة ،
وكيف نهضت الاسكندرية « مدينتنا العظيمة » بأعباء العلم والثقافة
حينما من الدهر ، أدت فيه رسالتها أمينة مخلصة للعلم والمدنية .

الفصل الثاني

خطة الاسكندر

الحضارة الهلنكية والحضارة المصرية - حكم الامبراطورية الجديدة من مصر - إنشاء الاسكندرية - لم تكن للتجارة أول الأمر - تأثير إنشائها على كاثوب ووالهوما - هل كان لإنشائها تأثير ما على أهمية صور ؟ - الاسكندر ، أغريق ، نقراطس - متى أصبح للندية شأنها التجاري - التماساؤن المصري الاغريقي وأثره في نمو المدينة - البطالة وإعلاء شأن المدينة .

كان الاسكندر مشبعاً بالروح الاغريقية ، شغوفاً بها في كل مظهر من مظاهرها ، فقد أحب منذ كانت في أساطير الاغريق وأدابهم ، ويمتد أبطال « هلا » وود لو كان بطلاً مثلهم ، ودرس آدابهم وعلومهم على خير أساذ جاد به الزمن - على أرسطو ، المعلم الأول . وتغلغل في نفسه عقيدة لم ير إلى الحيدة عنها من سبيل ، تلك العقيدة هي تفوق المدنية الاغريقية على ما سواها من المدنيات المعاصرة لها . ولازمته هذه العقيدة يافعا ، فكان لها في نفسه تشكل خاص ، دفعه إلى الرغبة في نشر المدنية لاغريقية في البلاد التي قدر له أن يغزوها . وقد كان هذا العدل الخطير ملازماً لكل فتوحاته الحربية ، فأتى استقراره المقام ، أسس حكومة على النمط اليوناني ، وأطلق العلماء المرافقين له يدرسون ويبحثون ، ويضيفون إلى حقائق العلم إضافات جديدة . وكان ينبغي أن يجعل « بابل » مقراً لحكم مملكته ، إلا أن توسعه في الفتح ناحية الغرب ، وميله إلى مد فتوحه

غربا حتى سواحل المحيط الأطلسي ، جعله يعدل عن حكم الدولة من بابل ، ولذا فقد رأى أن يحكمها من مصر . ذات الحضارة القديمة . ولم يكن بد حين تصطدم حضارة بحضارة ، من أن تهزم واحدة أمام الأخرى . والمعروف أن المصريين رحبوا بالاسكندر خلاصا من طغيان الحكم الفارسي ، الذي ضاقوا به ذرعا ، وودوا لو ارتفع عنهم نيره ، وتفسموا نسيم الحرية على يد فاتح آخر يكون أقرب إلى نفوسهم ، أو أقل ظلما . ذلك ما حدا بهم — رغم ما امتاز به المصريون القدماء من كراهية للأجنبي وحكمه — إلى الترحيب بالاسكندر .

□ □ □

على أنه لم يكن من المهن إخضاع الشعب المصري ، فإن كانت المقادير قد جرت بخضوعة لقاهر ، فليس معنى ذلك أنه استسلم ورضى ، وذلك راجع إلى ما بثته في نفوسهم الديانة المصرية القديمة التي تدعو إلى مجد تالذ . ليس من شأنه قبول الذل والاستسلام .

ولم يكن لفاتح أن ينتصر إلا إذا استلان رجال الدين ، وهم عنصر عنيد صعب القيادة ، وسنرى ماذا فعل الاسكندر برجال الدين .

□ □ □

وكان الجيش المصري يتكون أبان الفتح المقدوني من عنصرين : عنصر وطني ، وعنصر مرتزق . وكانت العداوة بين هذين العنصرين مستحكة الأواصر : وبلغ الحقد متناه بينهما في زمن الفتح ، حين رغب الوطنيون في حماية الملك ، وشددوا في حراسة قصره . أما

سواد الناس ، فلم يكن لهم من مطمع أكثر من رغبتهم في التحرر من
السخرة ، والتمتع ببعض الحرية التي كانوا قد سلبوها طوال
الحكم الفارسي .

ذلك اجمال ظاهر الدلالة على أن الوطنية المصرية لم تقبل الخضوع
للفاتح الجديد ، إلا خلاصا من ظلم الفرس ، واستلاما موقفا
لظروف العالم السياسية التي غيرت الاسكندر الأكبر ، من مقالها
وبدل بفتوحاته العظيمة .

حقق الاسكندر من سيادته على الفرس ما مكنت له قوته الحرية
القاهرة ، ودانت له بلاد ما بين النهرين ، واتجه بعد ذلك غربا يريد
أن يبسط سلطانه على مصر وما يليها من سواحل القارة الافريقية
الشمالية ، وغزا في طريقه إلى الغرب المدن السورية ، فسقطت الواحدة
تلو الأخرى ، وكان قد استولى فيما استولى وهو سائر لفتح مصر على
« صور » سيدة « الليفانت » بعد أن صمد لها طويلا ، لأنها كانت منبع
التحصين برا وبحرا ، ولا غرو فقد كان أسطولها الضخم يحميها من
ناحية البحر ويثبت فيها الخماس والثقة بتساعده مركزها . ولكن
سرعان ما انقلب الخماس فتورا ، ودب الفرع في نفوس السوريين ،
فأسلموا المدينة للفاتح الظاهر .

وبهذا التسليم انعقد لواء السيادة البحرية للاسكندر ، فتتابع
سيره ، سيد البر والبحر معا إلى غزة ، فمصر .

وفي مصر لم يلق الفاتح عناء يذكر ، واستقبله رجال الدين على أبواب

الفرما ، يلوز يوم ، ورافقوه إلى منف ، حيث أظهر عطفه الشديد على الديانة المصرية وقدم القرابين للعجل ، أيس ، وغيره من آلهة المصريين في حفل موسيقى اغريق المظهر .

وفتح الكهنة صدورهم للاسكندر . أما اليهود فدلوه على موارد المال ، وكان في أشد الحاجة اليه بعد جهاده الطويل .

وكان الاسكندر قد صادق اليهود ، واتخذهم عوناً له مذ كان مايزال في فلسطين ، وذلك لسعة خبرتهم بالعالم ، بسبب كثرة تجوالهم فيه ، وهم الذين دلوه على معالم الطريق بين فلسطين ومصر ، ومعظم الظن أنهم قاموا بدور السفارة بينه وبين المصريين ، وهم الذين أدخلوا في روع المصريين أن الاسكندر لا يقصد بهم سوءاً ، وإنما هو موال لهم ومناخب ، يعطف العطف كله على من لا يعرض له أمراً .

ولما أصبح له أمر البلاد ، نصب عليها حاكماً ، أحدهما يحكم مصر العليا والثاني يحكم الدلتا ، وأقام حول شخصه حرساً من الأغارقة ، وقرب اليه صفوة منهم ، أخصهم ، كليومنيس ، الذي يقال أنه نصيح للاسكندر ببناء الاسكندرية .

وهادن الاسكندر كهنة منف ، وأظهر خضوعه وولاءه للاله (آمون) ، وارتحل إلى واحة سيوه ، وكانت قد سبقته إليها كتبة من الجند ، أرسلها كهنة آمون لتسكون في استقباله هناك .

وسلك الاسكندر إلى سيوه طريق الشمال ، ومرّ في سيوه إليها « بنقرطس » في غرب الدلتا ، وكانت بها جالية اغريقية على رأسها

« كليومنيس » ، وقد نصبه الاسكندر على مالية البلاد ثقة به ، واعترازا بأبناء جلده .

ويذكر « جستين » أن كليومنيس هذا كان أحد مهندسي الاسكندرية ، اشترك مع زميله « دينوقراتيس » في تخطيط المدينة ووضع أساسها بعد أن أشار على العاهل الكبير باتخاذ مدينة جديدة . وقد صارع الاسكندر أهل « نقراطس » من الاغريق بخطته التي اعتمدها ، فأعلن لهم أنه سوف يجعل ملكة هليئي الصبغة ، ولم يتوان منذ أعلن عزمه هذا عن العمل على تنفيذه ، فخطط المدينة العظيمة ، ومنحها اسمه الضخم ، وخلع عليها كل ما من شأنه أن يركس فيها الخضر الطلينية ، ويجعل منها مقرا لحكم الامبراطورية بعد تمام إنشائها .

وربما سأل سائل لم لم يجعل الاسكندر « نقراطس » الاغريقية الصبغة نواة لمشروعه الكبير ؟ والجواب على ذلك سهل هين ، فقد وجدها الاسكندر على حال من التداعي والعزلة ، جعله يحجم عن التفكير فيها . أضف إلى ذلك أنه وجد الاتصال بينها وبين العاصمة الجديدة التي أثر إنشائها سهلا بطريق الماء ، حيث كان هناك طريق مائي يصل ما بينها وبين بحيرة مربوط فرضة الاسكندرية الخلفية ، هو فرع النيل الكائنوي — وبهذا ضمن الاسكندر أن تكون نقراطس عضدا له عند الشدة .

وانتمتع تجار « نقراطس » أيما انتفاع بالمدينة البحرية الجديدة ، ويرى « ميلن » Milne أن حسن اختيار موقع الاسكندرية لا يرجع إلى سلامة تقدير الاسكندر ، بقدر ما هو راجع إلى قربها من نقراطس .

ولم يكن لانشاء هذا الثغر تأثير على الموانئ المصرية الأخرى
مثل القوس وغيرها من موانئ مصر الشرقية، بسبب قرب هذه من موانئ
الشام — ولذا فقد ظلت هذه طوائف حكم البطالمة عامرة بالتاجر السورية .

والحق أن الاسكندرية استلبت مكانة « كانوب » لقرىها
منها ، ولئن كان المصريون قد تحولوا عن كانوب تحولاً تدريجياً ، فأنهم
لم يهجروها إلى الثغر الجديد بالسرعة التي قد تخطر بالبال . وذلك
لأن العداوة بين العنصرين المصري والاعريقي ظلت مريرة عتيدة
في غضون الفتح وبعده ، إلى أن رأى الأغارقة ضرورة ملحة إلى
التنازل عما كانوا قد رسموه لأنفسهم من خطة التعالي على العنصر
المصري ، وحين وجدوا إلا مفر من اشراك هذا العنصر اشراكاً اقتصادياً
فعالاً في حياة المدينة الجديدة . عندئذ فقط ، بدأ المصريون يتحولون
عن كانوب إلى الاسكندرية ، وبدأت قيمة كانوب تنحط كميناء ساحلي .
وأخذت الاسكندرية تصطردهموا بعد هذا التحول ، وأمكن أن
تصبح نغراً تجارياً ، بعد أن كانت مجرد منتجع للعنصر الاعريقي .
ومقراً أميناً لسياسته .

==

وإذا يدعو إلى شيء غير قليل من التأمل والتفكير ، ما فعل الاسكندر
بصور من ثغور فينيقية — فهل كان ما أنزل بها من قل عزها
التجاري مقصوداً به إهداء تاج السيادة البحرية لمدينته الجديدة ؟

لا شك أنه كان يطمع منذ أول الأمر في سيادة البحر الأبيض،
ولم يكن ممكناً أن يتحقق له ذلك إلا بالقضاء على «صور» و «الأسطول
«الصورى» ، وهو غرض حربي سياسي لا علاقة له بالتجارة ،
والناظر في الترتيب الزمني للحوادث يرى أنه حين استولى على صور ،
لم يكن قد فكر بعد في تأسيس مدينة الإسكندرية — فليس معقولا
والحال كذلك ، أن يكون قد أزال عظمة « صور » التجارية ليرجمها ،
إلى مدينته الجديدة .

قضى الاسكندر على « صور » قبل أن يفتح مصر ، والمعروف
أن فكرة تأسيس الاسكندرية جاءت عفواً خاطار ، وهي من اقتراح
« كليون ميس » على ما يقرر «ميلر» Müller ، أما ما توفر للدينة
الجديدة من المكانة التجارية فقد جاء لها بحكم الطفرة التي هيأها لها
حكامها من البطالمة — وكان ذلك بعد أن قضى الاسكندر ،
واتقضت دولته .

الفصل الثالث

تأسيس المدينة

اختيار الموقع - واقوده القرية الساحلية نواة الاسكندرية - تخطيط المدينة الجديدة وأشهر أحيائها - البتروكيوم - اينوستوس الميناء التجارى - واقوده الحى الوطنى - واكوتيس - الحى اليهودى - أحياء القهر - المجانة - فرضة الاسكندرية الخلفية على بحيرة مريوط - معبد المراسى - الفاروس - الجنائزوم - الخ

اختار الاسكندر لمدينته الجديدة مكانا فى الشمال الغربى من دلتا النيل، بعيدا بعض البعد عن الاتصال بداخلية البلاد، لتكون فى مأمن من المصريين إذا تنكروا للفتح الاغريق يوما من الايام، وقد توخى أن تكون بهذا الابتعاد عن الدلتا قاعدة حربية سهلة الاتصال ببلاد اليونان بحرا، وبمصر برا، وأن يكون ما هنالك من صعوبة الاتصال بين داخلية البلاد المصرية وبينها نوعاً من أنواع الحماية للمدينة الجديدة.

ويرى بعض المؤرخين أنه لوحظ فى إنشاء الاسكندرية من أول الامر أن تودى مهمة تجارية إلى جانب مهمتها كقاعدة سياسية وحربية، وفى هذا الصدد يقول رانكه، Ranke أنها كانت أعظم مدن العالم حركة تجارية بعدد و بيرة، ميناء أثينا.

هذا وقد دلت أحداث الزمن على حكمة سامية فى اختيار هذا الموقع، ولا غرابة فقد كان الاسكندر مصائب الفسك بعيد النظر.

رأى في هذا الموضع خير مكان لإنشاء مدينة واستقرار مدنية .

ويجمل بنا أن نلم بشيء عن تخطيط المدينة في أول إنشائها :

كانت تقوم في موضع الاسكندرية قبل غزو الاسكندر قرية
مصرية ساحلية ، يسكنها عدد ليس بالقليل من الصيادين ، وكانت
تعرف هذه القرية باسم « راقودة » . وليس هنالك من شك في أنها
كانت قرية مصرية بحثة كغيرها من قرى شمال الدلتا الساحلية . لم
تكن تبعد حائلة شأنها على أى نوع من أنواع الاتصال بموانئ البحر
الايض المتوسط ، لاسيما وأن سكانها من الصيادين لم يكونوا
يملكون غير قوارب صغيرة للصيد ، لا تقوى على التوغل في قلب
البحر . وهكذا لم يكن لراقودة ، ولا لغيرها من قرى الساحل
الشمالى لمصر أى اتصال تجارى أو غير تجارى بالعالم الخارجى قبل
الغزو المقدونى .

ومن هنا ندرك مقدار التحول في تاريخ هذه القرية التى قفرت
لحاجة إلى الوجود كشغل هام من شغور البحر الابيض قبل ميلاد
المسيح بقرون ثلاثة تقريباً

اندجعت « راقودة » في التخطيط الجديد ، وأصبحت الحى الوطنى
في مدينة الاسكندر الناشئة إلى جانب الأحياء الاغريقية واليهودية .
واحتفظت راقودة الحى الوطنى بالمدينة الجديدة ، بطابعها المصرى
البحث على طول الزمن ، وأغلب الظن أنها كانت تتكون من
مجموعة الأحياء الوطنية الممتدة من الأنفوشى إلى القبارى . ويحدونا

إلى هذا الظن أن هذه الأحياء تقع خلف الميناء التجارى للمدينة ما تزال .
وكان للوطنيين بتجارة المدينة منذ أسست أوثق اتصال ، لأنهم كانوا
روح الحركة التجارية وقوامها ، لم يجد الأغرقة بدا من الاستعانة
بهم فى شئون التجارة والملاحاة ، فى رقت عكفوا فيه هم على الاستعانة
وأحكام أساليبه وتمسكين قواعده .

وظل شأن المصريين من سكان هذا الحى مستضعفا حيناً من
الدهر . ولكنهم احتفظوا رغم ذلك بوحدتهم وقوميتهم ، وصمدوا
لأذى الأغريق بأذى الأمر ، وقاوموهم مقاومة عيفة ، واحتفظوا
بكيانهم المصرى أمام جبهة أغريقية غاية فى القوة والتماسك ، وكونوا
عصية مصرية ما تزال ملحوظة حتى الآن فى ذلك الأحياء ، يفخر بها
الإسكندرانيون الوطنيون ، ويعتزون بها .

وقد أدى تحول رفاقوده من قرية صغيرة خاملة الشأن ، يشتغل
أهلها بالصيد ، إلى ميناء عتيق ذى حركة تجارية عالمية ، إلى
ضرورة اشتراك الوطنيين واندماجهم فى حياة المدينة الاقتصادية .
لا سيما بعد أن مضى زمن على بدء الفتح ، تنازل فيه الأغريق عن
كثير من شعور الانفة الذى يصاحب الغزاة عادة ، إذ وجدوا
من المصلحة ، وقد أصبحوا مصريين بالاستيطان . ألا يجعلوا فارقا
كبيرا بينهم وبين المصريين الوطنيين .

وقد كانت الإسكندرية قبل الفتح الرومانى ، أى فى أواخر حكم
البطالمة ، تكون من عدة أحياء أشهرها :

(١) حتى البروكيوم ، وفيه كانت تمثل الاسكندرية الناعمة ،
الرافلة في الديمقيس — وكانت به قصور البطالة مشرفة على الميناء
الشرقي ، من طائفة السلسلة حتى موضع الانقوشى .

(٢) الحى الوطنى ، وفيه كانت تمثل الاسكندرية المكدودة ،
المدائبة الحركية ، وكانت تقع خلف الميناء الغربى ، اينوستوس ،
أو والعود السعيدة كما كان يسمى ، تمتد من رأس التين إلى موضع
الورديان . وكانت قرية راقوده تحتل مكانه قبل إنشاء المدينة .

(٣) حتى اليهود ، وكان يقع خلف الميناء الشرقى أو الميناء الكبير ،
إلى الداخل ، في أول الطريق العظيم ، البولقار ، المقودى إلى كانوب
« أبى قير » ، وفيه كانت تمثل الاسكندرية الممؤلة .

(٤) ضاحية ، نيقوبوليس ، وكانت تمتد على ساحل البحر في
موضع الرمل الحالى ، وفيه كانت تمثل الاسكندرية العابثة اللاهية .

(٥) الاسكندرية الجادة ، الفارقة في بطون الكتب ،
المتهاكة على البحث في المتحف الاسكندرى والمكتبة الملحقة به ،
وكانت تقع إلى الغرب من « النبي دانيال » ، بعيدة عن جلبه الحياة
في حي راقوده الوطنى ، ونعيمها ودعيا في الحى الملكى ، وبجونها
واستارها في نيقوبوليس — بعيدة كذلك عن شروق المال في
حتى اليهود .

أما الحى الملكى فيصفه «سترابون» : بقوله « كانت تمتد القصور
الملكية على الميناء الكبير في الجزء الشمالى الشرقى من القوس الذى

يكون الميناء ، وإلى ذلك غربا والمسرح الكبير ، على التلعة المجاورة ، (١) ثم معبد الهوسيديون ، فالغرفة التجارية ، فمخازن البضائع ، فبعض الارصفة فيما جاور الهبتاستاديوم ، الذى هو نهاية قوس الميناء الشرقى الكبير .

وكان بالمدينة من الطرق الرئيسية ثلاثة : أحدها أخذ من الهبتاستاديوم ففرق الميناءين الشرقى والغربى وكان يشق المدينة حتى موضع ميدان المنشية ، ثم يتابع سيره إلى السراييوم ، المعبد الأكبر ، حيث كان البطالمة يعبدون السرايس ، أو مجل أبيس ، على نحو ما كان يفعل أو آخر الفراعنة .

أما الطريق الثانى فكان يؤدى من الميناء الكبير إلى فرضة الاسكندرية الخلفية على بحيرة مريوط ، وكان لا يقل اتساعا وتنسيقاً عن سابقه . وكانت بدايته من ناحية البحر تعرف « باب القمر » ونهايته عند البحيرة تعرف باسم « باب الشمس »

أما الطريق الرئيسى الثالث ، فكان يجرى عرضاً ، وكان يعرف باسم « البوشار العظيم » وينتهى إلى كنوب « أبى قير » من جهة الغرب ، ويمر بحى اليهود ، وكان به « الجنازيوم » أو الملعب الرياضى القديم . وكانت تحيط به من الجانبين العمدة والآزاج وكانت على درجة من الجمال تبعث على كثير من الدهشة والاعجاب... فإذا ما سرنا بهذا الطريق حتى

(١) وهي على الأرجح التلعة التى يقوم عليها الآن المستنق الأميرى

وصلنا العراء ، ألفينا ميادين السباق التي اشتهرت بها الاسكندرية من قديم . ومن عجب أن نرى ميادين السباق ما تزال قائمة في نفس المكان حتى اليوم في حي « سپورتج » ! وعلى طول هذا الطريق كانت يرى المار جماعات من النخيل مالت كلها نحو الجنوب من توالى عصف الريح عليها من ناحية البحر — ولا تزال بعض هذه الجماعات تشهد في جهتي « غبريال » و « بكتوريا »

وإلى الشمال من هذا « البولفار » ومحاذة ساحل البحر كانت ضاحية « نيقوبوليس » حيث كان يقوم عدد كبير من المقاصف وأماكن اللهو البرى ، وغير البرى . يؤمها أخلاط من الناس لم يراعوا للأخلاق حرمة . وكان كرام الاسكندريين يعافون ارتياد هذه الأماكن . ويفضلون أن يتحملوا مشقة الانتقال إلى الشرق القاصى ، حيث أقاموا جواسقهم على الساحل ، بمنأى عن شرور هذا الحى . واصطفوا كما بصطاف أفاضل القوم الآن في جهات الساحل النائية عن المدينة شرقاً .



ولا بد لمن يدرس الاسكندرية دراسة علمية ، أن يلم إلماماً دقيقاً بأشهر المواقع والأبنية في المدينة القديمة . ويكفيه من ذلك ما قدمنا كما لا بد لمن يدرسها من الوجهة المادية ، من أن يعرف شيئاً عن النهر الاسكندري ، « والفاروس » « منار الاسكندرية الأعظم » . كانت تقع أمام الاسكندرية جزيرة تعرف باسم « جزيرة فاروس »

رأى بطليموس « فيلادلف » أن يثشيء عليها مناراً لهداية السفن . . .
ونظراً لضخامة البناء ، وجد من الضروري أن تتصل الجزيرة بالساحل
ببرزخ صناعي ، حتى يصبح من السهل نقل مواد البناء إلى حيث اعتزم
إقامة المنار ، ولكي يسهل تموينه بما يلزم من الوقود ومواد الغذاء
التي تتطلبها إقامة حامية عسكرية على مقربة منه أو في بعض جهاته .
وعرف هذا البرزخ باسم « الهينستاديوم » . وبه انقسم الميناء
قسمين : يكون كل منهما قوساً عظيماً ، أحدهما — وهو الواقع إلى يسار
الداخل إلى الميناء من جهة البحر — عرف باسم الميناء الكبير — والثاني ،
وهو الأيمن ، عرف باسم ميناء « العود السعيد » تفاؤلاً . وهو فرصة
الاسكندنزنية التجارية على البحر الأبيض .

وحدث في القرن الرابع الميلادي أن هوى زلزال عظيم بالجزء
الشرقي من جزيرة فاروس حيث كان يقوم المنار ، فأصاب ذلك من
المنار ما أصاب — وبعد ذلك فعل به الزمن شيئاً غير يسير من
التدمير ، وأجهز عليه زلزال شديد في القرن الرابع عشر الميلادي
فأغرقه عن آخره في مياه البحر — وأغرق هذا الزلزال فيما أغرق
الجزء الشمالي الشرقي من الميناء الكبير ، بما كان عليه من بقايا قصور
البطالة . وبقى هذا الشق من الميناء غير واضح التقوس منذ ذلك
الحين وضوح الشق الآخر الغربي .

أقام بطليموس فيلادلف على الطرف الشمالي الشرقي لجزيرة

فاروس أكبر منار عرفه التاريخ الملاحى على الإطلاق ، بناء بأمره المهندس الملبطى « سوستراتس » فوق صخرة من الرخام الأبيض على مثال برج بابل ، ولكى تسهل عملية بنائه ، أوصلت الجزيرة بالساحل بمنبر عظيم الاتساع هو « الهبستاديوم » ، ووعى أن تتصل من تحته مياه جزئى الميناء ، فكان أشبه شئ بحجر (كوبرى) عظيم ، وثرأكت الرمال على مر الزمن ، فسدت الفتحات التى كانت تصل ما بين شقى الميناء تحت الممر ، فتحول إلى برزخ صناعى ، يصل ما بين المدينة والجزيرة .

ويرجح أن يكون مكان الهبستاديوم هو أكثر جهات المدينة دخولا فى البحر فى الوقت الحاضر — الأنفوشى ورأس التين . وكانت مهمة هذا الفئار العظيم هداية السفن القادمة فى البحر ، بوهج من النار الدائمة الاشتعال فى قوته .

وقيل أن بناء المنار كلف « فيلادلف » ما يقرب من مائتى ألف من الجنيهات . والذى يقيس هذا القدر من النفقات بعظمة البناء ، يعتقد أن السخرة لابد أن تكون قد لعبت دورا كبيرا فى تشييده . وقد صن « سوستراتس » مهندس المنار بهذا الجهد العظيم ألا يقرن باسمه . فنقش اسمه على قاعدة المنار وغطاه بطبقة من « الاسمنت » نقش عليها اسم سيده « بطليموس » ، مالبث أن أزالها الزمن وظهر اسم سوستراتس من خلفها . وقدر ارتفاع المنار بما يقرب من قامه الرجل مائة مرة . وكان بناؤه يتكون من طبقات أربع . ثلاثها

السفلى مربعة، تصغر ثانيتهما عن أولاهما ، وثالثتها عن ثانيتهما ، ورابعتهما مستديرة . وكانت تحيط بكل طبقة شرفة عريضة ، ولكيلا تتأثر قاعدة البناء بارتطام أمواج البحر به ، قيل أن الرصاص المذاب استخدم بدلاً من الأسمنت في بناء القاعدة . وقيل أن المنار كان يحتوى على ما يقرب لثلاثة حجرة ، تقيم به حامية عسكرية لأبأس بعددها . وكان الوقود يحمل إليه يومياً على عجلات تصل إلى الجزيرة بطريق الهيسناديوم ، ومن ثم يرفع الوقود إلى القمة ، بنوع من الآلات الرافعة عرفة المهندس سوسترانس إنداك .



وفي أساطير العرب عن منار الإسكندرية شيء غير قليل من المبالغة، إذ يقولون أنه أقيم على أساس زجاجي، لأن مهندسه جرب جميع المعادن ليرى أصلحها لبناء القاعدة، فوجد أن الزجاج هو المادة الوحيدة التي يمكن أن تصنع منها لثقله (كذا) .

وأهم ما استرعى نظر العرب الذين فتحوا الإسكندرية في القرن السابع الميلادى ، المرأة العجيبة في قمة المنار — تلك المرأة التي روى أن مناظر القسطنطينية كانت تنعكس عليها فيراها سكان الإسكندرية! كما روى أيضاً أن أشعة الشمس كانت تنعكس على المرأة، ثم تصوب بما يتجمع فيها من حرارة إلى سفن الأعداء في البحر فتحرقها وهي على بعد مائة ميل!! ولا شك أن هذه القوة الخارقة التي أودعها سوسترانس مهندس المنار في انعكاس الأشعة على مرآته .

إن صحت ، لكأن مما ينهر له العقل الحديث ، إذ يبعد أن تكون
نظرية العدسات قد عرفت في مثل ذلك الزمن المسمى في القدم .
فاذا صح أنها عرفت ، فلا بد أن يكون العلم اليوناني قد استنبطها
في « ميليطيا » Mileus أو في « مصر » ، قبل أن يعرفها الفسك
الحديث بآلاف من السنين .

وقيل ان العرب استخدموا المنار في أغراض دينية ضد
المسيحيين ، فاستغلوا هذه المزاي التي ترونها الأساطير عن المنار
للاتقام من عدوهم في البحر ، بالوقوف على حركاته وتسليط الأشعة
المحرقة على سفنه . وظل أمر المنار هكذا حتى أرسل أحد أياطرة
الروم إلى الخليفة « الوليد » من يخدعه فيفهمه أن قاعدة المنار تقوم
على كنز ثمين . ونجحت الخديعة بعض النجاح ، إذ أخذ العرب
يهدمون المنار — ولكنهم ما لبثوا أن فطنوا إلى الخديعة ، فأوقفوا
معول الهدم ، وعبثا حاولوا إعادة الجزء المتهدم إلى حالته الأولى .
وتهدمت المرأة الكبرى أثناء محاولة أرجاعها إلى مكانها الأول
في قبة البناء ، وما لم تعصف به يد الانسان ، عصفت به يد الزمن ،
فعملت الزلازل عملها السي . فيه في القرن الرابع عشر الميلادي ، فلم
تدع منه غير صخرة بيضاء ، غارقة في البحر في جهة « قايتباي » .

الباب الثانى

الجامعة فى المتحف الاسكندرى

٣٠٥ — ٤٨ ق م .

الفصل الاول

سوتر وثامس المتحف الاسكندرى - بعض معلوماتنا عن المتحف - نشأة الجامعة
فى المتحف على غرار الأكاديميات الاثنية - وجه الخلاف بينهما - الفرض من
اقامة المتحف - راعى المتحف - جامعة الاسكندرية وجامعات العصور الوسطى فى
أوروبا - كلية الملكة وكلية أول صول فى اكفور وجامعة الاسكندرية - النظام
الداخلى للجامعة - معاهد العلم اليهودية - اسكندرية سوتر المندثرة والمتحف - مكتبة
المتحف - بعض علماء العصر الأول من عصور الجامعة : فليتاس القومنى ، زونوداس
البيزطلى - زيارة ميناندر الاثينى واقتراح مسرح الاسكندرية - اكتشاف فيلون البحر
الاحمر الجوى - دراسة مايو ونيوثيروس وهيكاتيس للمقائد المصرية القديمة - إقليدس
وهيروفيلوس - سوتر يكلف بالدراسة والتأليف آخر الأمر - قبة كتاباته - الفن
الاسكندرى والفن الاغريقى .

فى عصر بطليموس الاول « سوتر »

(٣٠٥ — ٢٨٥ ق م)

ينسب بناء المتحف الاسكندرى خطأ إلى بطليموس الثانى
وفيلادلف ، والحقيقة أنه من منشآت بطليموس الاول ، أو بطليموس
« سوتر » ، أسسه بمشورة « ديمتريوس فاليريوس » Demetrios Phaleros ،
الحطيب الاثينى الذى استصحبه سوتر فى عودته من حرب « ديمتريوس » ،

ملك مقدونية ، تلك الحرب التي استعرت بينهما بسبب التنازع على
السيادة البحرية على البحر الأبيض الشرقى حوالى سنة ٣٠٧ ق . م .
وعما يؤيد صحة نسبة المتحف ، إلى بطليموس ، سوتر ، أن
تظيمه واعداده خليفان بأن يكونا من فكر رجل فيلسوف كديمترىوس ،
لا من عمل بطليموس ، فيلادلف ، رجل السياسة والحرب . وعما
نأسف له أننا لا نحصل الآن على كثير من معالم ذلك المتحف . في الوقت
الذى استطعنا فيه أن نلم بكثير من المعلومات عن المعاهد المعاصرة له .
ومن عجب أن يكون هذا ! لأن المتحف أنشئ في وضع التاريخ ، وفي
عصر ملك شهير ، وفي مدينة من أعظم المدن المطروقة في العالم القديم ،
فإذا ما أمكننا أن نكتشف عن بقايا الاسكندرية القديمة ، وهي الآن
غائرة على بعد عشرين قدما تقريبا من مستوى سطح المدينة الحالية ،
استطعنا أن نعتز — على الأرجح — على بعض معالم المتحف
الاسكندري . هذا ، وقد أمكن أن نصل الى شيء غير قليل من انتاجه
لحسن الحظ في النقد الأدبي وفي العلوم الرياضية والجغرافية وغيرها
من فروع العلم الذى كان يدرس فيه ، والذى كان من شأنه
أن ساعد على تقدم العلم الإنسانى بوجه عام . ولئن لاحظنا قصورا
ظاهرا في الشعر أو الفلسفة ، فإمنا يعزى ذلك إلى ضعف هذا
العصر الأول من عصور الجامعة في هذين النوعين من الانتاج —
بالقياس إلى أثينا ، و « أيونيا » اللتين كانتا في هذا العصر في
أوجهما العلمى .

اختتمت فكرة جعل الاسكندرية مركزا للتجارة ومستقرا

للعلوم والآداب والفنون تدريجاً في ذهن بطليموس « سوتر » ،
ويرجع زمن إنشاء المتحف كما قدمنا إلى الوقت الذي وصل فيه
ديمتريوس فاليريوس إلى مصر ، وهو الذي ساعد سوتر على اخراج فكرة
المتحف إلى حيز الوجود ، على غرار الأكاديميات الأثينية . وتسمية
هذه المؤسسة العلمية باسم المتحف ، ترجع إلى أصل « أتيكى » (١) . ولا
ترال تطلق كلمة المتحف على بعض الأندية الأدبية في ألمانيا حتى الآن .

وقد نشأت الأكاديميات الأثينية بأدى الأمر على شكل حلقات
للدروس ، تنظم حول معلم يتحدث إلى تلاميذه في ناحية من نواحي
المعرفة ؛ وما لبثت هذه الحلقات أن استعالت هيئات عليية منتظمة ،
عرف كل منها باسم « الأكاديمي » ، وتسمى باسم معلمه الأول . وقد
كانت هذه الهيئات في بلاد اليونان غير خاضعة لأى إشراف حكومى ،
إلا حين كانت ترى الحكومة ضرورة قصوى للتدخل في حريتها
العلمية ابتغاء الحد منها ، محافظة على سلامة الاداة الحكومية من أى
شطط قد ينتج عن التفكير الحر .

أما في مصر ، فقد ضمنت البيروقراطية الحربية أن يكون المتحف
تحت الإشراف الحكومى المباشر ، وفي رعايته . وهكذا كان المتحف
الاسكندري منذ بدء نشأته ، هيئة حكومية تستمد وجودها مباشرة من
الملك ، ويستمد كل فرد فيها حريته منه .

إذا كان هذا — فلأى غرض أقيم المتحف ؟

(١) نسبة إلى أتيكى Attica من مقاطعات بلاد اليونان

الحق أن بطليموس سوتر لم يكن يرمى من وراء إنشاء المتحف إلى أداء رسالة معينة للعلم تصدر عن ذلك المعهد . ولم يكن هو بدرى كثيرا أو قليلا من أوجه الفرق بين الجامعة التي خلقها بالمتحف ، وبين تلك الأكاديميات التي ازدهرت في أثينا ، كما لم يكن من المتعلقين بمذهب خاص من مذاهب الفلسفة يمكن أن يقال أنه أسس هذا المعهد ليكتفب فيه بتقصي مسائله الفلسفية .

لم يكن سوتر ذلك الرجل — وإن كان في ذاته شخصية من أعظم شخصيات التاريخ وأضخمها آثارا ، قصد سوتر ، إلى غرض قد يكون سياسيا وقد لا يكون — قصد إلى جعل المدينة التي أسسها الاسكندر الأكبر ، مقرا لحكم العالم الهليني ، ما استطاع إلى ذلك سبيلا . ومن أجل هذا كلف سوتر بالاستيلاء على مقدونية ، وفرض سيطرته المطلقة على البحر الأبيض الشرقي . ولا شك أن سياسته هذه كانت ترمي إلى مثل ما كانت ترمي إليه سياسة الاسكندر من التوسع ، مع فرق جوهرى — فقد كان الاسكندر يريد أن يجعل من مقدونيا نواة لامبراطوريته ، في حين كان سوتر يريد أن يجعل من مصر ، التي آلت إليه بعد وفاة سيده ، نواة لدولة هيلينية .

والذى يتأمل في شخصية سوتر ، لا يعجب من سعة دغباته ، ولا يرى غضاظة في أن يكون للرجل مثلها كان لسيده من الاطماع السياسية التي أصبح يحكم الظروف مركزها الطبيعي مدينة الاسكندرية . لهذا — لم يأل سوتر جهدا في توفير مظاهر الأبهة والعظمة لعاصمته الخالدة ، وكان غرضه الاول والاخير من إنشاء المتحف ، أن يجمع

في الاسكندرية جمهرة من العلماء — تفكر ، وتحاضر ، وتكتب
التوايف ، وتمتاز بتفوقها في الأدب والعلم بغية التشبه بأثينا . عاصمة
العلم الهليني ومستودعه — وهكذا كانت رغبات العاهل الكبير منحصرة
في أن يسلب ، ومقدونيا نفوذها السياسي ، ليتركز في مصر ، وه أثينا ،
نفوذها العلمي ، ليستقر في الاسكندرية .

وكانت هذه الجمهرة من العلماء تسكن المتحف ، تحت اشراف
رئيس ديني يعينه الملك من الكهنة ، ويجدر أن نذكر هنا أنه لم يكن
مصريا كعظم أعضاء المتحف . اقتصرت مهمته على رعاية المتحف رعاية
دينية ، وذلك تقليد نقلته جامعة الاسكندرية عن جامعة أثينا . مع شيء
من الاختلاف . هو أن راعي الأكاديمية الأثينية كان ينتخب انتخابا ،
أما راعي متحف الاسكندرية . فقد كان يعين تعيينا لمدة تطول
وتقصر تبعاً لارادة الملك .

ولما استطاع سوتر أن يجعل للاسكندرية مكانة سياسية ممتازة ،
وتمكن في الوقت نفسه من أن يهيئ لها جوا علميا خاصا ، أمضاها
الطلاب من كافة أنحاء العالم الهليني ، يطلبون العلم فيها على خير أساتذته .

واقتصرت الجامعة الناشئة على البحث العلمي الذي كان مظهره
أول الأمر النقد والنظر في مؤلفات السابقين ، دون أن تكون مبتدعة
أو مضيقة إلى الثروة العلمية جديداً . ويعوزنا الكثير من المعلومات
عن عدد الطلاب الذين كانوا يختلفون إلى حلقات الدرس بالجامعة ،

وعن نظام معيشتهم ، وعن العلاقة بين هؤلاء الطلاب وبين أساتذتهم . فاستشف من تلك العلاقة شيئاً يشي الغلة عن الروح الجامعي . .

أما عن عدد الطلاب فلم نهتد إلى إحصاء ، ولم نقرأ هنا أو هناك إلا شيئاً يفيد أن عدداً من الطلبة الغريباء أمم الاسكندرية طلبا للعلم . ولا بد أن يكون هذا العدد قد سكن المتحف أو سكن على مقربة منه ، حيث لم يكن له بالمدينة من غرض غير الدراسة .

حقاً لقد كانت بالمتحف أروقة ، الشائع أنها كانت لسكن العلماء ، ولكن حقيقة معينة تدعونا إلى الاعتقاد بأن الطلاب عامة ، سواء أ كانوا من الأجانب النازحين إلى الاسكندرية أو من الوطنيين ، كانوا يسكنون الاسانذة في أروقتهم ، هي تلك الحقيقة التي يذكرها الأستاذ « مافي » في كتابه « الحياة والعقائد الاغريقية » ، ويقرر بها أن نظام جامعة الاسكندرية كان كنظام « كلية الملكة » Queen's College في اكسفورد في أول انشائها ، أشبه شيء بمدرسة داخلية ، يختلف الطلاب فيها إلى دروس يلقيها الأسانذة ، ثم ينصرفون في أوقات فراغهم إلى الاستدكار في حجراتهم . وأقل ما يؤخذ من ذلك ، أن الطلاب كانوا يعيشون بحكم هذا النظام مع أساتذتهم في بناء واحد . ومن شأن هذا أن يفسح مجالاً للتعاون العلمي ، بين الطلبة أنفسهم من ناحية ، وبين الطلبة وأساتذتهم من ناحية أخرى — ومن شأنه في الوقت نفسه أن يظهر الجامعة بمظهر لا يتفق مع سمو النظام الجامعي الذي من أوضاع خصائصه والبحث العلمي ، وأخذ الطلاب به رويداً رويداً حتى تنمو فيهم ملكته .

وذلك ما فطنت اليه جامعة الاسكندرية فيما بعد . فقد نزلت عن هذا النظام العقيم تدريجاً ، واشترك الطلبة في الأبحاث العلمية ، وقاموا أحياناً بمهمة الاساتذة ، تدريجاً لهم على مواصلة التدريس الجامعي ، ووقعت جامعات أوروبا في القرون الوسطى لاسيما كلية الملكة بأكسفورد في مثل ما وقعت فيه جامعة الاسكندرية أول عهد لها بالحياة ، ولكنها أدركت ما في هذا النظام من قصور ، وجاءت كلية ه أول صولز ، All Souls في شكلها الأخير ، مصححة لهذا الخطأ في النظام الجامعي ، فتقرر أن يقوم الرفقاء ، بأبحاث علمية وأدبية ، بعد أن يحصلوا من جامعة أكسفورد على درجاتهم العلمية .

ويحق لجامعة الاسكندرية أن تفاخر جامعات العالم طرأ بما سبقت اليه من جمع الآداب اليونانية وتنقيتها من الشوائب ، بفضل ما توفر لعلمائها وطلابها في زمن بطليموس الثاني (فيلادلف) من المقدرة الفاتحة على النقد الأدبي .

ولم تكن جامعة الاسكندرية المعهد العلمي الوحيد في المدينة ، بل كان لليهود معاهد خاصة يتلقى أبناءهم العلم فيها على شرائعهم المتوارثة . وبقيت المعاهد اليهودية معاصرة للجامعة إلى أن قامت بالاسكندرية في عهد الامبراطور . كلوديوس . دور أخرى للعلم أهمها « الكلوديوم » لدراسة التشريع الروماني . والاشادة بمؤلفات الامبراطور في تاريخ الاتروسكين واثمراطاجين . وصحب دخول المسيحية إلى الاسكندرية . قيام مدارس نصرانية تاوأت الجامعة

الوثنية كما تارات المعاهد اليهودية على السواء . وفي هذه المعاهد ، وعلى
أيدى معلمها ، تمت القومية المصرية ، ونضج الشعور العام ، وانتفض
في الوقت المناسب على الآثار الاغريقية والرومانية .

ويذكر هاتفي ، في كتابه ، امبراطورية البطلمة ، أن جامعة
الاسكندرية اتخذت نموذجاً لكل الجامعات التي تلتها ، فعلى غرارها
نشأت جامعات أوروبا الوسطى في العصر الوسيط .

• • •

حشد ، سوتر ، في عاصمة ملكه جميع مظاهر الآلهة . وكان له
الشرف الأكبر إذ نقل جثمان الاسكندرية إلى مقبرة أقامها له بالاسكندرية
، السيام : أسس أعظم القصور ، وكون أروع بلاط ملكي عرفه
البطلمة . ذلك كله — إلى ما وفره المدينة من العتاد الادبي والعلمي بؤلام
الأكابر من رجال الادب والعلم ، الذين اجتذبهم إلى الاسكندرية
من كافة أنحاء العالم الهليني .

وبلغت الاسكندرية في عهد ، سوتر ، من روعة المظهر مبلغاً كبير
زائريها من المؤرخين . وصفها وأخيلس تانيوس ، وصفها هر جزياء ، اسكنه
بليخ ، شاد فيه يذكر أنماطها الهلنستية في البناء . تلك الأنماط التي امتازت
بالاعتماد ذات البائكات تقى المارة من حمارة القبط ، وتلك
الضوضاء التي امتازت بها الاسكندرية من أثر وقع سبابك الخيل تبحر
العربات على طرقاتها المرصوفة ، ومبانيها العامة البالغة حد الكمال في
المعظمة والروعة ، ومرحبا وطربها أيام الأعياد ، وأعضائها الساطعة
ليل نهار . وأسوارها التي أحاطت بها إحاطة السوار بالمعصم ، وتلك

البسائين النضرة تتخلل القصور الملكية ، وفرضتها العظيمة ، وساحلها الرملي الجميل الذى يتلاشى فيه اليبس فى الماء تلاشيا غير محس — فى طرقاتها تقابلت مختلف اللهجات والعادات ، اكتنفها الضاحيات الجميلة : كاثوب وإلوزيس ونيقوبوليس من الشرق — وجاورتها « نكروبوليس » مدينة الموتى ، من الغرب .

ومما يدعو الى الأسف أن أحدا من المعاصرين الذين رأوا الاسكندرية رأى العين ، لم يخلف لنا وصفا كاملا لها — فهذا وصف « سترابو » لها مشوه مختصر — ولم تصل إلينا صورة حية بعض الحياة ، سوى ما كتبه المؤرخ « بوليبيوس » فى فصل عقده عن تليويج « بطليموس الخامس » — ليس هنا مكان لدرده . وكل الأوصاف التى انتهت إلينا عن المدينة خالية من ذكر شئ . يشقى اللغة فى أمر المتحف الاسكندرى أو الجامعة .

ويرجح أن تكون أول مكتبة أنشئت بالمدينة قامت فى وقت واحد مع « المتحف » فى حى البروكيوم — « الحى الملكى » . ولا يذكر « سترابو » وقد زار الاسكندرية فى عهد « أغسطس » ، شيئا ما عنها أو عن احتراقها — يقال أنه سكنت عن ذلك عمدا ، تلبية لرغبة « إليوس جالوس » الوالى الرومانى . وكل ما ذكره « ديودور » الصقلى ، أنه اطلع على نشرات كانت تصدر فى البلاط الملكى . استقى منها بعض معلوماته التاريخية — ولم يشر قط الى « مكتبة » استمد منها معلوماته .

ويرجع « ما فى » Mahaffy أن تكون مكتبة الاسكندرية قد جمعت بطريقة مشابهة لتلك الطرق التى جمعت بها بعض المكتبات الانجليزية

الشهرة ، ككتبة «سندولاند» و«مكتبة» «سپنسر» وعلى نحو ما تجمع
وتقتنى قطع الخزف الثينة ، أو صور مشاهير المصورين .

فإذا ما كان الأمر كذلك - تعذر علينا أن نلم بفكرة واضحة عن
الحياة الأدبية في الاسكندرية في عهد بطليموس «سوتر» . والحق
أنه يصعب أن ننسب إلى عصر «سوتر» تلك النخبة من رجال الأدب
والعلم من يزخر العهد الأول باسمائهم . وتظل اسماؤهم مضطربة حائرة
بين أن تنسب إلى أواخر عصر بطليموس الأول (سوتر) ، أو أوائل
حكم بطليموس الثاني (فيلادلف) .

وإذا سلمنا بنتائج أبحاث الألمان في هذا الموضوع ، نسبنا هذه
النخبة في اطمئنان إلى عصر بطليموس الأول ، الذي يعتبره
«سوزميل» Susenmilt صاحب الفضل الأوفى في خلق حركة فكرية أدبية
علمية في الاسكندرية ، قام هر بحمايتها ، وترأس مجالسها ، وأصغى إلى
مناقضاتها المحتدمة التي خلت في بعض الأحيان من الفائدة العلمية ،
واقصرت على اللجاج وحج المناقشة — ولا غرابة ، فهو نليد
وصديق لآرسطو .

وكان بطليموس سوتر يعنى بتربية ابنه بطليموس فيلادلف عناية
فائقة ، عهد بتشدته إلى «فيليتاس القوصى» (١) وهو شاعر ينسب إليه
أول مجهرود أدبي عرف عن الاسكندرية في الشعر الرثائي — بل أول
مجهرود عرفه العالم القديم من هذا النوع من الشعر . وكان «فيليتاس»

(١) نسبة إلى جزيرة قوص من جزر بحر ايجة

الى هذا . من أشهر علماء اللغة الاغريقية الذين صنفوا فيها ، ووضعوا لها موسوعة حوت كل مصطلحاتها .

وفي هذا العصر تابع « زنودوتس البيزنطى » Zenodotus of Byzantium التأليف فى قواعد اللغة اليونانية ، وراجع مصنفات هومر — وامتاز عصر الجامعة الاول بالدراسات اللغوية ، أكثر من امتيازها . ويحتمل أن يكون بطليموس « سوتر » قد أسس مسرح الاسكندرية ، وأن يكون قد دعا إليه « ميناندر » الاثنى المؤلف المسرحى القند . ليشراف المسرح الجديد . باحدى مسرحياته تمثل فيه ، ويطوق جيد الجامعة الناشئة ، بزيارته لها .

ومن عجيب الأمور أن تكون جامعة « سوتر » قد قامت فى ذلك الزمن السحيق ، برحلات كشفية فى البحر الأحمر ، لاسيا فى الجزء الجنوبى منه — بفضل أمير البحر « فيلون » Philon ، تصحبه نخبة من رجال علم الجغرافية الملاحية — وهى رحلات تذكر له بالاعجاب البالغ ، إذا ما عرفنا أن اليونان لم يكونوا قد جاوزوا منطقة البحر الأحمر الشمالية ، فى تجوالهم فى البحار . وكان خليقاً حقاً بجامعة الاسكندرية أن تصيف إلى علم الجغرافية جديد .

وعنى هذا العصر فيما عنى ، بدراسة و العقائد المصرية القديمة . (الميثولوجيا) — فقد وكل بطليموس إلى « هكتاتيس الابدبرى » و « مانيتو » المؤرخ المصرى السنودى ، والعالم « تيموثيوس » أمر هذه الدراسة ، قصد تزويد الامبراطورية البطلمية الناشئة ، بما يحتاج

إليه تدعيم كيانه ، من العقائد المصرية القديمة .

والحق أن كل هذه الجهود الأدبية ، على ما لها من قيمة ، كانت دون ما بلغتة الاسكندرية في علم الهندسة على يد « اقليدس » ، Euclid ، وفي التشریح على يد « هيروفيلوس » ، Herophilos . وأشهر معلمی هذا العصر قاطبة « اقليدس » ، أبو الهندسة غير منازع . ومؤسس مذهب البحث العلی — وكتابه « المبادئ » ، أو « الاصول » ، أنماط في صميم المنطق ، أكثر منه موضوعات في الرياضیات . وإليه يرجع الفضل في جعل عصر « بطليموس » سوتر ، عصر تفوق ریاضی عظیم . له أثره البالغ في تقدم العلم والعقل البشري .

ويعتبر « هيروفيلوس » ، أباً « التشریح » ، على نحو ما يعتبر « ابقراط » ، أباً للطب . وبفضل « هيروفيلوس » ، سبقت مصر بلاد العالم طراً في دراسة الامعاء دراسة دقيقة . وكانت الحكومة تمده بالبحر من المقضى فيهم بعقوبة الاعدام ، كما أمدته حظيرة الحيوان الملحقة والمتحف ، بأنواع من الحيوان — ترحها ودرسها واستنبط من كل ذلك طريقة علمية للتشریح ، ساعدت على رفع شأن الاسكندرية القديمة في العلوم الطبية .

وتآزرت جهوده وجهود « اقليدس » ، على خلق تلك المكانة السامية التي بقيت مقترنة باسم المتحف الاسكندري حتى وقتنا هذا . وبينما كان الاسكندريون مشغوفين بمباحث العلوم البحتة ، كان

الاثنيون مشغولين بدراسة الفلسفة الرواقية والايقورية في بلاد اليونان ذاتها .

وهكذا كان عصر ه سوتر ، عصر نشاط أدبي ولغوي ورياضي وطبي عظيم - حقا لم تكن الاسكندرية بالفلسفة . عناية أثينا التي كانت مازال معقل الدراسات الفلسفية بأنواعها - ولكن ذلك لم يقلل من قيمة الدراسات الاسكندرية ، ولم يحط من قدرها .

انتهت شواغل ه سوتر ، بأنزاع السلطة البحرية من يد ديمتريوس المقدوني ، واستيلائه على قبرس ، وتفرغ للمدينة العظيمة يريد أن يجعل منها أعظم المدن الهلينية على الإطلاق . وإذا نحن أصغينا إلى رواية پلوتارخ ، عن نقل جثمان الاسكندر ، ضعف لدينا القول بأن ه سوتر ، هو الناقل له إلى الاسكندرية . وتتلخص رواية ه پلوتارخ ، هذه في أن بطليموس وفيلادلف ه هو الذي نقل جثمان الاسكندر إلى منف ، ومن ثم إلى الاسكندرية ، حيث دفن في السبا . ولكننا إذا ذكرنا حرص ه سوتر ، على أن يجمع كل مظاهر الآبهة حول اسمه الكبير ، شككنا في رواية ه پلوتارخ ، هذه . ومما إلى الاعتقاد بأن ه سوتر ، صاحب ذلك الاسم الضخم ، هو الذي أنجز ذلك العمل الجليل .

وما أن اطمأنت نفس ه سوتر ، بنقل جثمان سيده ، وخطا من شواغله الخارجية ، حتى عني بأمر المكتبة والمتحف ، واتجه آخر أمره إلى الدراسة والتأليف . وقد عرف عنه أنه وضع مصنفاً ، في

حروب الاسكندر الأكبر ، تلك الحروب التي ساهم هو فيها كأحد قوادها . ويضع «أريان» مؤلف «سوتر» هذا في رأس المراجع التي استمد منها تاريخه ، ويصفه بأنه خير مصدر رجع إليه !
والمذكرات الخاصة التي يكتبها القواد عن أعمال ساهموا فيها ، لا يمكن أن تكون مرجعا تاريخيا يعتمد عليه ، إذ النفس البشرية مجبولة على حسن تقديرها لذاتها ، ميالة في ذلك إلى المبالغة والاغراق والتورط في الكذب أحيانا . ولهذا لا يحمد أن تتخذ سندا من أسانيد التاريخ ، إلا بكثير من الحيطة والحذر . وينسب الى نابليون الأول شيء من هذا فيما كتب من مذكرات خاصة . وقلنا يكتب قائد أرسطو عن نفسه متحريرا الحقيقة ، ولم ينح «ديوليوس قيصر» من الوقوع في الخطأ نفسه ، حين كتب مذكراته الخاصة عن الحرب الغالية .

ويذكر عن «سوتر» أنه كتب عددا من الرسائل عن الشؤون العامة في عصره ، أشهرها «ديونيسيودورس» أحد تلاميذ «أرسطو» اللغوي — يؤسفنا أننا لم نقر بشيء منها حتى الآن .

وفي أواخر أيام «سوتر» ، كان لا بد له من تسوية مسألة وراثته العرش ، حيث كان له أكثر من وريث . وكان أشدهم بأسا ابنه بطليموس ، وهو ولد له من يونانية ، أخذ «ديميتريوس المقدوني» لمحمد أزره وبناصره على بطليموس «فيلادلف» . وكان النزاع بين هذين الوريثين نزاعا في الحقيقة بين اليونانية والمصرية . وكان انتصار

أحدهما على الآخر نفوقاً نهائياً لأحدى الساحتين . وكان هوى الملك المسن مع بطليموس « فيلادلف » ، إذ كان يرى فيه خير مثل سياسته ، سياسة أجمع بين اليونانية الهلينية والمصرية الفرعونية . وكان البطالة أحرص ما يكونون تمسكاً بالمصرية ، يقيمون على قواعدها ملكهم الجديد . لا مناص لهم من ذلك - خوفاً على دولتهم الناشئة من أن تنزعزع أركانها - فتتبدد .

والذى يتأمل كيف كان يعنى « سوتر » بترية ابنه « فيلادلف » على أيدي خير الأساتذة المربين ، يرى كيف كان يحرص الحرص كله على أن ينتهى ملكه إلى « فيلادلف » دون سواه . وأخيراً - نزل « سوتر » عن العرش « فيلادلف » ، وظل دائماً على الظهور في بلاط ابنه عامين ، كواحد من الرعايا . ومات سنة ٢٨٣ ق. م . تاركاً على الزمن تاريخاً حافلاً بكثير من الحوادث الجسام .

• • •

استطاع « سوتر » أن يركز دراسة العلوم والآداب والفلسفة والطلب في عاصمة ملكه - ولكن ، هل استطاع أن يجعل الاسكندرية كعبة الفنون في ذلك العصر ؟

— إذا جاز لنا أن نحكم بالشواهد التى بين أيدينا ، وهى تلك النقوش البديعة التى ترى على العملة المتخلفة من هذا العصر ، والمحفوطة فى دور العاديات ، لما توانينا عن الحكم بتقدم الفن فى عصر البطالة ، فى شتى نواحي الفنون الدقيقة ، المعروفة بالفنون التطبيقية .

غير أنه لا يجب أن يغيب عن بالنا ، ونحن نذكر الفنون ، أن الفن الاغريقى كان عليه أن يغالب في مصر فنا من أقوى الفنون التي عرفها التاريخ ، هو الفن الفرعونى — فأما أن ينتهى إلى التفوق عليه ، فيغلبه على أمره . وأما أن يدعى له في موطنه ، فيستدج فيه . والمشاهد بصفة عامة أن المباني التي أقامها البطلمة خارج الاسكندرية روعى فيها أن تكون فرعونية الصيغة — غير أنها لم تخل من التأثير بالفن الاغريقى .

ويمكن القول إجمالاً ، أن البطلمة تأثروا بالديانة المصرية ، أكثر مما تأثر المصريون بالفن الاغريقى — فأقاموا معابدهم على الطراز الفرعونى ، وهكذا طغت المصرية ، على الفن الاغريقى — اللهم إلا في الاسكندرية ذاتها ، حيث بقى كل شئ يونانيا صرفاً . وأقيم بالاسكندرية في ذلك العهد عدد لا بأس به من الابنية العامة كالمتحف والملاعب والمسرح والسيما (قبر الاسكندر) . وكانت كلها آية في إبداع الصنعة الاغريقية .

ومن الأدلة المادية على تقدم الفن الاغريقى في هذا العصر ما أبدعته يد نحات إغريقى لتابوت من الرخام ، لا يزال باقياً في متحف القسطنطينية ، ملك مجهول الاسم من ملوك (صيدا) ، هو تحفة من تحف فن الحفر وحذق الألوان — ومنها كذلك ، تلك المشاهد التاريخية التي ترى محفورة على الأحجار ، تمثل المعارك الحربية التي وقعت للفرس مع الاغريق ، وتلك الصور الرمزية التي أنتجها

خيال رجال الفن من الاغارقة ، وقصدوا بها أن تمثل امتزاج الغرب بالشرق بطريق الحضارة الاغريقية — وغير هذا وذلك من مناظر الصيد ، وزخرفة واجهات المعابد بالنحوت البارزة — وكلها آيات في الفن رائعات ، ماتزال باقية شاهدة بتفوق العصر في الفنون على اختلافها .

وأغلب الظن أن الاسكندرية ، بما توفر لها من سمو المسكاة بين مدن العالم الهليني ، لا بد أن تكون قد استهوت أمهر البنائين ورجال الفنون . وما من شك في أن عروس البحر المتوسط ، ووارثة أثينا في العمران والمدنية ، لم تكن إلا من صنع هؤلاء الفنانين وابداعهم .

ويحدثنا « شريبر » Shreiber عن فن نشأ في الاسكندرية ، وازدهر فيها ، وانفردت به ، هو صناعة الاواني الذهبية والفضية التي تتخذ عادة مقياساً لتقدم الحرف اليدوية . وهو يحاول جاهداً أن يثبت أن الاسكندريين كانوا أساتذة العالم في هذا المضمار ، وهو في الوقت نفسه يدل على أن المدرسة الشعرية الايطالية التي يحتتمها « بنقثيتوسليني » ، والمدرسة التي تزعمها « سلفيني » ، نفسه ، أخذتا ينصب وافر من الادب الاسكندري ، ويشير « شريبر » إلى حب الاسكندريين للطبيعة ومناظرها ، وتقديرهم لما فيها من روعة وجلال . وهو يحرص على الاشارة في حماس ، الى أن الاسكندرية كانت في هذا العصر نقطة التقاء العلم بالفن ، ومركز امتزاج الشرق بالغرب ، وبؤرة الجمع

بين القديم والحديث — أشبه ما تكون في هذا كله ، بثوب
، بزنتى ، محتاط الوشى .

وليس الفن ناحية من نواحي نشاط الجامعات ، ولا هو عادة
يتصل بانتاجها ، ولكننا عرضنا إلى الفن بهذه الكلمة القصيرة ، لنرى
مدى ما أثر فن الاغريق في مصر عامة ، وفي الاسكندرية خاصة —
ولا جدال في أن فن العمارة استدعى من الاسكندرانيين دراسة بدراسة
الاصول الهندسية . ونحن وإن كنا لا نحصل الآن على ما ثبت به
أن الهندسة التي اشتهرت بها الاسكندرية ، كانت تطبق أصولها ،
ويستفاد منها في فنون البناء استفادة عملية ، إلا أننا نرجح أن فن
العمارة لا بد أن يكون قد استفاد كثيراً من هندسة إقليدس .

تصويبات

صفحة	سطر	خطاً	ضوابط
٤	١٧	Achadémie	Académie (Akademia)
٤١	١٠	السيا	السوما
١١٦	٨	Portum	Partum
١٢٥	٩	De — جيد	Di — جيداً
١٨٧	١١	عنصران هامين	عنصرين هامين

Name	Age	Sex	Occupation
John Smith	25	Male	Farmer
Mary Smith	22	Female	Homemaker
James Smith	18	Male	Student
Elizabeth Smith	15	Female	Homemaker
William Smith	12	Male	Student

الفصل الثاني

في عصر بطليموس الثاني « فيلادلف »

٢٨٥ — ٢٤٧ ق. م.

فيلادلف نصير الحركة العلمية والأدبية - شغف فيلادلف بالدراسة الطبيعية ونشجته لها - السكف وخدماته المتحف - فيلادلف يرأس مجالس الأدب والمناظرة - الأدب الذي نتج لهذا العصر - نخاضم الفلاسفة والأدباء وأثره في الحالة الأدبية - بعض الآثار الأدبية لثيوكريتس وأبولونيوس وأراتس وكليماخوس وهيروداتس - العناية بالمكتبة - أثر تلك العناية في التزود العلمية اليونانية - طبيعة الشعر الاسكندري وأثره - ثيوكريتس - ماينتون يفتح تاريخه - ترجمة التوراة السبعينية الى الأوغريقية - البردي المكتشف من هذا العصر - الرعاء المادى في عصر فيلادلف وأثره في تقدم العلم - القاروس والمرأة ذات الأشعة الحارقة - إنشاء مكتبة فرعية في المريايوم

اعتلى بطليموس « فيلادلف » عرش مصر وسط عاصفة من المنافسة الشديدة بينه وبين أخوة له من يونانية — كان « ديمتريوس المقدوني » يشد أزرهم ؛ وقدر لفيلادلف أن يفوز بالعرش ؛ وكان ذلك من حظ مصر ، لأن فيلادلف كان من أنصار سياسة الإدماج بين الحضارتين اليونانية والمصرية .

وكانت نشأة فيلادلف العلمية وتربيته كفيلتين بأن يخلقاه منه نصيراً للحركة العلمية . وكان قد أظهر منذ الصغر ميلا إلى الدراسات الطبيعية كدراسة الحيوان والنبات . ويذكر « سترابو » ، و « ديودوره » كلف البطالة عامة وفيلادلف خاصة ، بالسكف وما يتبعه من

اجتلاء الحقائق الجديدة في عالمي الحيوان والنبات .

ويرجع الفضل في تنمية الرغبة في دراسة الحيوان والنبات إلى « ديمتريوس فاليري » الذي اضطلع في عهد « سوتر » بإنشاء الأكاديمية ، بمعاونة نفر من جلة رجال العلم المعاصرين له .

وأدى شغف البطالة بالحيوان إلى جمع عدد لا يستهان به منه في حديقة الحيوان الملحقة بالمتحف ، فقد كانت تحوى من عجيب الحيوان ٢٤ أسداً ، ٢٦ ثوراً هندياً أبيض ، ٨ ثيراناً إثيوبية ، ١٤ لبؤة ، ١٦ فهداً ، ودياً أبيض ، وعدداً وفيراً من الفيلة ، ١٤ وعلاً ، ٨ حمير وحشية ، وعدداً من القرود والجمال النينية ، وغير ذلك مما يستدل منه على أن سفن البطالة جاست خلال البحر الأحمر وبلغت بلاد « يونت » والسومال والمحيط الهندي حتى سواحل الهند ، وربما ارتحلت غرباً ، فشمالاً في المحيط الاطلسي ، حتى وصلت الأقاليم الباردة .

وأدت حركات الكشف والارتياح — فضلاً عما أسدت من خدمات للعلم في ميداني النبات والحيوان — إلى رواج التجارة بين الاسكندرية وتلك الانحاء النائية . وجلبت السفن إلى مصر ما كان يلزمها من الاخشاب والعطور والتوابل والابنوس وريش النعام وشن الفيل ، وهكذا كانت حركة التقدم المادى التجارية مصحوبة بحركة تقدم علمي — إذ لم تخل سفينة قادمة تحمل البضائع من جهات المحيط الهندي والبحر الأحمر ، من شيء تمد به المتحف ، من عجيب النبات أو غريب الحيوان .

ورغم ما صادف فيلادلف، من شواغل السياسة والحرب، فقد صرف عناية مشكورة في تشجيع دراسة الفلسفة والشعر والعلم البحت، وخص أعضاء المتحف بفضله العيم . ولم يدخر هؤلاء وسعاً بدورهم في تعليم الملك وتنقيفه ، وإدخال السرور على نفسه . ولم تخل مجالسهم من نقاش كان يخدم أحياناً إلى حد الماهرة ، وكان من شأن هذا الاحتدام أن خلق روحاً أدبياً صاخباً . امتاز به مجتمع الاسكندرية في ذلك العصر . واختصم رجال العلم بالاسكندرية فيما بينهم ، وتابذوا ، وتنافسوا بغية الحصول على الخطوة عند الملك الذي كان على ما يلوح يعجب بهذا النضال الأدبي بين فلاسفته . اعتقاداً بأن ذلك الوطيس الحامي بينهم . من شأنه أن يساعد على نضوج الادب ، وورق النقد الأدبي .

وأعظم مختصمين في هذا العصر « كليماخوس » Callimachus العالم الشاعر ، « وأبولونيوس » Apollonius of Rhodes الرودي وقد استفاد الادب من الحرب الشعواء بينهما أيماء استفادة .

كتب أدباء الاسكندرية في عصر فيلادلف كما كانت يكتب أدباء إنجلترا من « سبنسر » و « تايلور » و « سوفت » و « بركلي » لطبقة خاصة من الشعب ، أدباً متسامياً لا تتذوقه الطبقات الدنيا ، لبعدها بين لغتها الدارجة ولغة الادب الرفيع . ولذلك حرم الاسكندريون من عامة الشعب من ذلك الادب الذي كتب باليونانية

القصصى للبلاط الاسكندرى ، وخاصة المتكلمين باليونانية .

ولكن الحركة الادبية شامت بعض الشيء من جراء ذلك التنابد ، واعتكر جو المتحف ، الاسكندرى تلك الخلافات الشخصية ، ونزع الادباء إلى حب الظهور ، وتسقطوا الأخطاء بعضهم لبعض ، فضاءت الثمار الادبية ، وان لم تخل من جمال ، ومن أمثلتها فى هذا العصر أغاني « ثيوكرىس » Theocritus ، وقصائده عن حياة الرعاة فى صقلية ، موطنه الاول ، ومقطوعة « أبولونيوس » الرائعة Rhodius ومنظومة « أراتس » Aratus التعليمية فى الفلك والطقس ، وأنشيد « كليماخوس » للآلهة وعواهل البطالة ، وتصوير « هيرونداس » Hirondas للشخصيات البارزة ، وشعر الرثاء الذى ازدهر فى هذا الوقت وعظم أمره على يد أستاذة كليماخوس ، وكانت له منزلة رفيعة بين فنون الشعر فى ذلك الحين .

وكل فيلادلف أمر المكتبة الملحقه بالمتحف إلى زنودوتس ، البيزنطى Zenodotus of Byzantium وأمدّه بعلمين فى علم المكتبات يساعداه على تبويب ، الرواية ، وتقسيمها إلى « فاجعة » و « هازلة » — هما الاسكندر أنوتوليان وليسكوفورون ، فى حين قام « زنودوتس » منفردا بتبويب الشعر الغنائى والشعر الروائى .

من هنا نرى أن الاحتاج الادبى المحلى فى الاسكندرية كان بالإضافة إلى الادب الموروث عن اليونان ، يكون ثروة كبرى ، لا يقوى على تبويبها شخص واحد ، وكثيراً ما وكل أمر المكتبة إلى أكثر من

، أمينه واحد ، ويتضح من ذلك عظم محتوياتها وتشعب العمل فيها .
ولقد كان ذلك العمل الجليل الذى قام به « زنودوتس » ، ومساعداه
وتابعه من بعدهم الشاعر الفيلسوف « كليماخوس » ، عظيم الأثر فى
حفظ الثروة الأدبية اليونانية ، والتعليق عليها بما كفل لها حياة خالدة
أفادت الباحثين فى تراث الاقدمين فائدة كبرى .

ولم تنف جهود علماء هذا العصر عند التعليق والنقد ، بل تعدتها
إلى الوضع والتأليف . وكان العلماء يجدون فى جزيرة « قوس » Cos
من جزر بحر ايجه مهرباً من ضوضاء التجمع الاسكندرى ، وهناك
أخذوا ينتجون فى هدوء تلك الجزيرة ما قدر لهم أن ينتجوا . وما
يؤسف له أننا لم نفر بما كتب الاسكندريون فى نقد الأدب اليونانى ،
وإن كنا قد فرنا ببعض ما وضعوا من الأشعار .

وأقوى شعراء هذا العصر على الاطلاق « ثيوكرىس » Theocritus
الذى صنفته أن يذهب بحمالة ملق أو رياء ، فلم يسخره للمديح ،
وآثر أن يكتب عن الحياة الريفية فى صقلية ، فوصف وهاد الجزيرة
ورباها ومراعيها وغاباتها وصفاً رائعاً ، وصور حياة الرعاة فيها أدق
التصوير — تخلق بما كتب روحاً جديداً فى الشعراء الاسكندري ، بعد
كل البعد عن ذلك الزيف الشعرى ، الذى جرى على السنة كثير غيره
من شعراء العصر .

ويؤخذ على « فيلادلف » حبه الشديد للبلق ، وهو فى هذه
الناحية يشبه « لويس الرابع عشر » ، وكان فى بلاطه تنافس بين
النساء على نيل الحظوة عنده ، وتنافس بين رجال الأدب لىء

التقرب منه — وإلى هذا يعزى ضعف الأدب في جملته ، ويرجع السبب في قلة غنائه .

ومن مآثر « فيلادلف » على الزمن أنه كلف « مانيتون » Manethon بنقل تاريخ مصر إلى اللغة الأغريقية ، ولهذا العمل أهميته ، فقد ظلت المصادر اليونانية في تاريخ مصر العماد الوحيد في تاريخ البلاد إلى أن كشف « حجر رشيد » ، وأمكن الاتصال بأخبار المصريين القدماء اتصالاً مباشراً ، بطريق حذق « الهيرودوت » ، رأساً .

وفي عهد فيلادلف قام جماعة من فلاسفة اليهود بترجمة التوراة إلى اللغة الأغريقية بأمر من الملك ، فظهرت النسخة المعروفة باسم « التوراة السبعينية » ، ويونانيتها نموذج رائع من الأساليب اليونانية ، يرتفع كثيراً عن مستوى اليونانية التي كانت شائعة حينذاك في المستعمرات الأغريقية .

وعثر « سير فلندرز » على مجموعة من أوراق البردي في منطقة الفيوم تحمل الآن اسمه ، هي قطع من « هومر » و « أفلاطون » و « يوربيديز » و « الكوميديا الجديدة » وغير ذلك من الشعر والنثر اليوناني ، نسبها جميعاً إلى عصر « فيلادلف » ، حيث كانت تقيم بالفيوم على عهده جالية يونانية مثقفة ، تقرأ الأدب وتندوة — وهي محفوظة كلها بالمتحف البريطاني .

ولا مفر من أن نذكر هنا أن عصر بطليموس فيلادلف امتاز برخاء مادي منقطع النظير — ولا بد أن يكون اتفاقه على معاهد العلم

وأندية الأدب ، وشراء الكتب لمكتبة المتحف ، قد بلغ حدا كبيرا
من السخاء ويسط اليد .

هذا وقد أغراه تقدم المدينة التجارى ، على بناء أكبر «فئار» عرفه
العالم القديم — بل والعالم الحديث أيضا ، ذلك الفئار الذى ما يزال يعد
أعجوبة من أعاجيب البناء ، شاده له المهندس اليونانى «سوستراتس»
Sostratus فى مفرق المينائين الغربى والشرقى ، فى الطرف الشمالى
الشرقى من جزيرة «فاروس» Pharos واتخذ الفئار اسم «الفاروس»
واشتهر به .

والفئار فى ذاته — بغض النظر عما كان فى المدينة من الابنية العامة ،
نموذج فذ لتقدم فن البناء فى ذلك العصر الممغن فى التقدم ، وهو إلى
ذلك ، دليل على تقدم علم الهندسة العملية . وعلم الطبيعة الذى استعان
به «سوستراتس» على إقامة قاعدة البناء الضخم فى ماء البحر ، ووضع
المرآة الكبرى ذات الأشعة الحارقة فى قمته — بما كان لها من خصائص
أحاطتها الأقاصيص بكثير من المبالغات التى تجعلها فى عداد الأساطير .
ولكن — ترى هل كانت نظرية العدسات قد عرفت فى مثل
ذلك الزمن ؟ وإن صح أنها عرفت — فهل كانت معرفتها فى بلاد
اليونان — أم فى الاسكندرية ؟ وفى هذا يؤكد «ه . ج . ولز» فى تاريخه
قعود الاسكندر بنى عن الاستفادة العملية من نظريات علمائهم .
على أنه ليس غريباً فى عصر تقدمت فيه علوم الطب إلى حد ممارسة

نظرية التشريح الحي ، ورقت الهندسة إلى درجة العلوم الرفيعة ، أن تعرف نظرية العدسات ، وأن تستخدم أستخدما عمليا .

• • •

وهناك خلاف بين المؤرخين في أمر مكتبة أنشئت بالمدينة بعيدا عن البحر في موضع السرايوم . عند ما ضاقت أبنية المكتبة الملحقة بالمتحف بكتبها ، يؤكد كليل Klippel أنها أنشئت حوالي عام ٢٥٠ ق. م. — في حين يرى ماتر Matter أن الذي أنشأ هذه المكتبة الفرعية هو بطليموس أورجيس الثاني (١٤٦—١١٧ ق. م) والأرجح أنها أنشئت قبل عام ٢٥٠ ق. م بقليل . وأن منشئها هو بطليموس فيلادلف . وعرفت هذه المكتبة باسم المكتبة الوليدة . بالنسبة لمكتبة المتحف الكبرى التي ظلت تعرف باسم المكتبة الام .

الفصل الثالث

في عصر بطليموس الثالث «أورجيتس الأول»

(٢٤٧ / ٢٢٢ ق م)

أورجيتس وجاه عصره - إراتوستينس العالم الأديب - دوسيتيوس وكانون - قطنة من إراتوستينس بنصها اليوناني وترجمتها العربية - أدب هذا العصر بوجه عام - المجموعات الألمانية المختوية على أهم الآداب المتخلقة من عصر البطلمة - أرسططانيوس البيزنطي ونقد الاشتراك الهومري.

هذا العصر في رأي بعض المؤرخين أزهى عصور جامعة الاسكندرية إنتاجا إذ وكان المتحف والمكتبة أظهر ما في الاسكندرية في عهد بطليموس الثالث . ويذكر سوزمیل Susemihl أن هبول بطليموس الثالث «أورجيتس الأول» كانت عليه بحته ، فقد كلف بدراسة العلوم كلها لا أحد له ، في حين كان شغف سلاله « فيلادلف » قاصرا على علمي النبات والحيوان . ويرجع الفضل في كلف « بطليموس الرحيم » بالعلم إلى هذا الحد ، إلى « إراتوستينس » Eratosthenes العالم الرياضي الأديب ، الذي استدعاه «أورجيتس» من « أثينا » ليحل محل « كلياخوس » أمين المكتبة بعد موته ، وليكون أستاذا خاصا لولي العهد - و « إراتو » بعد بحق . لسعة معارفه ، وعلمه كعبة في العلم « أفلاطون » عصره ، فقد صنف في الهندسة والنحو والفلسفة إلى جانب الجغرافيا والفلك . شغل « إراتوستينس » وشغل معه أعضاء المتحف بمباحث الفلك

والجغرافيا الطبيعية بوجه خاص ، وهو أول من قاس محيط الأرض
وفد على الاسكدرية في هذا الوقت «ارثميدس» الطبيعي المعروف ،
ومكث بها مدة في صحة «إراتوستينز» . وفي نفس الوقت تمكن
«دوسيثيوس» Dosithios «وكانون» Canon وغيرهما من توسيع
دائرة العلوم الرياضية . وتبدت هذا العصر رغبة واسعة في جمع
المخطوطات ، أغرت كثيرا من الناس على تزويرها ، ومحاكاة أوراق
البردي القديمة ، طمعا في الكسب .

وتمتع هذا العصر بتقدم في الآداب ، سائر التقدم العلمي والرياضي ،
ففيه بذل العلماء جهودا لا بأس بها في الميدان الأدبي . وقد كانت
لأراتوستينز نفس شاعرة ، إلى جانب عقلية الرياضية . وقد وصلت
بعض المقطوعات الشعرية من هذا العصر ، أشهرها مقطوعة أراتوستينز
في بطليموس الثالث وولي عهده ، وهي اكتشاف كبير الخطر في دائرة
الآداب والعلم ، وهي تحمل تحية للملك العظيم . ودعاء للملك أن
تتوطد دعائمه ، كما تتضمن بعض أبحاثه العلمية — ففيها عثرنا على حل
عملي للمسألة الهندسية المعروفة بإيجاد الوسطين المتناسبين بين خطين
Finding two mean proportions between any two lines.

هذا إلى جانب أبحاثه في الفلك ، وأشهرها «قياس محيط الكرة
الأرضية» وجهوده في ناحية الجغرافيا الطبيعية ، والخريطة الدقيقة
التي وضعها للعالم المعروف إذ ذاك .

وقد يلى النص اليوناني الجزء من منظومة «إراتوس» :

Εὐαίω Πτολεμαίε, πατήρ δι παιδί συνηβὼν
 Πάνθ' ὅσα καὶ Μόνοαις, καὶ βασιλεῖοι Φίλα
 Αὐτός ἐδωρήσω ὁδὲς ὕστερου, οὐράνιε Ζεῦ,
 Καὶ σκήπτρῳ ἐκ οῆς ἀντιάσειε Χερὸς
 Καὶ τὰ μὲν ὥς τυλεοῖτο λεμοὶ δε τις
 αὐθέμα λεύσσῃ.
 Τοῦ κυρηναίου τοῦτ' Ἑράτσα θευεὸς

وترجمته العربية :

« أنت يا بطليموس حقيق بالمدح
 إذ جوت ابنك بما صبت اليه آله الشعر (١)
 وأنت ما تزال في شرح الصبا ، ومبعة الشباب .
 « أما أنه (٢) سليل السماء — حقى . . .
 ولسوف ينقل اليه ، جويتر ، صولجان الملك من يدك .
 « اللهم حقيق رجائي ، واستجب لدعائي !
 ان كل من يستع هذا الثناء عليك
 سوف يحبس : « هذا قريض الكرنبيوس اراتوسثينز (٣) .
 والادب الذي هذا شأنه ، أدب مادة لا أدب فن . وكنا نود
 أن نحصل على شيء مما كتب شاعرنا عن الحياة الريفية في حقلية ،
 فلا شك أن ما كتبه في ذلك المعنى ، كان أصدق تصويرا لشاعرية
 « اراتوسثينز ، وشعر الطبيعة . من هذا الشعر المادح .

(١) Muses (٢) ولي عهدك

(٣) لعل في ذلك إشارة إلى أنه كان شاعر البلاط .

وهكذا كان الآداب يتجه نحو الملوك مدحهم ، ويؤيد عرشهم ،
ويتملقهم رغبة في عطاء يئذل أو حظوة تنال .

ويحملنا « مافي » على مجموعات « ككتنوت » ، « ورتشل » ،
« وهولم » ، « وونجر » ، « وسوزميل » — وتحتوى جميعها على كل
ما أمكن الحصول عليه من الآداب اليونانية الاسكندرية .

ومن علماء العصر البارزين « أرسطفانيس البيزنطى » وهو
تلميذ للعالم « زينودوتس » الذى مر بنا ذكره ، والعالم « كليماخوس » .
وهو ناقد أدبى كبير ، نظر فيما كتب « زينودوتس » من نقد سابق
لأشعار « هوميروس » ، وزاد من فهرس الآداب اليونانية الذى
وضعه « كليماخوس » . وشغل أرسطفانيس وظيفة أمين مكتبة
المتحف ، وتبطل به أمر تربية ولى العهد .

الفصل الرابع

من بطليموس الرابع إلى بطليموس السابع

(٢٢٢ — ١١٧ ق. م.)

عصر انحلال - بطليموس الرابع يفرم بالآداب والتصنيف الأدبي - العناية بالعلوم -
الكشف والارتقاء - كراهية اليهود والتعجب إلى المصريين - أرسطو تم - التقرب من
الديانة المصرية - أرسار كاس القنوى - هباركس القلبي - بوليديوس المؤرخ .

كان بطليموس الرابع على خلاف من سبقه من ملوك البطالمة ،
ميلاً إلى اللهو والمجانة ، كثير الانفاق ، غير محبوب من رعيته ،
يحب الملق ويصغى إلى الأقاويل — ولكنه كان في الوقت نفسه
حريصاً على سمعة الدولة التي أنشأها جده « سوتر » ، حارب من
أجلها ، أنطيوخوس ، الثالث عام ٢١٦ ق. م. ، وهزمه في رافيا ،
ودفع خطره عن مصر .

وعنى عناية سلفه بأمر المتحف والمسكبة . ويذكر « كلبل » أنه
هياً لها حياة لأبأس بها ، باستدعائه نخبة من كبار علماء اليونان إلى مصر .
وكان كبير الشغف بدراسة « هومر » ، دعاه حبه للشاعر اليوناني الخالد أن
يقيم له معبداً بالاسكندرية تخليداً لذكراه . وكان بطليموس الرابع
أديباً : وضع رواية أسماها « أدونيس » ، Adonis ، حاكي فيها
الشاعر اليوناني « يوربيديز » ، علق عليها ومدحها وزيره المتأدب
« أجاثوكليس » Agathocles .

وفي هذا العصر مالت الاسكندرية ميلا ظاهرا إلى دراسة آثار
الاغريق الادبية والتعليق عليها وتقييدها وتخليصها من الشوائب —
واليه يرجع الفضل في تيسير الهومريات وتقريبها من أذواق العامة ،
وتعوزنا أسماء تلك النخبة من رجال الادب الذين اضطلعوا بهذا
العمل القيم ؛ وليست دراسة هومره وتيسير أشعاره بالأمر الهين ،
ولا شك في أن ذلك كان مجهودا ضخما ، يعترف به منذوقو اليونانية
الكلاسيكية . وعن هذه التيسيرات والتعليقات أخذت أوروبا في
العصور الوسطى وأذاعت بين أديرتها . ومنذ نشأت الجامعات
الأولى واستقرت برامج التعليم فيها ، كان هومره والأشعار الهومرية ،
وغيرهما ، موضوعات هامة للدراسة فيها . يقول « سوزميل » :
« ولولا جهود الاسكندريين في هذا السبيل ، لاستحال على العالم
الامسام بأشعار هومره ، سائغة مذلة الضعاف ، يتوارثها العالم
جيلا بعد جيل . »

==

وعنى هذا العصر فيما عني بالكشف والارتداد ، فقد فطن
بطليموس الرابع ، كما فطن بطليموس الثاني من قبل ، إلى فضل الكشف
في توسيع مدارك الاسكندريين عن العالم الخارجي والاضافة إلى علم
الجغرافية الملاحية والحصول على نماذج جديدة من النبات والحيوان —
ولهذا أوفد « بطليموس » الرائد ليخاس ، Lichas في رحلة ثانية إلى
« اثيوبيا » ، توجت بالنجاح ، وأحضر الرائد معه كل ما استطاع حمله من

أنواع النبات والحيوان، وأحضر فيها أحضر عددا من القبيلة الأثيوبية.

ويمتاز هذا العصر بكرهية الشديدة لليهود وكل ما هو يهودي،
ويميل واضح إلى التقرب من المصريين والتجيب إلى ديانتهم. ومن أدلة
ذلك إنشاء بطليموس معبدتين بالاسكندرية أحدهما للألهة «إريس»
والآخر للمعبود «أيس» ، — غير ما أقام من المعابد في الوجه القبلي.

ومن أشهر شخصيات الاسكندرية في هذا الزمن الشاعر الهازل
«أرسطونيم» Aristonime ، وقد كانت حياته مضطربة بين الإقامة في
الاسكندرية يقول فيها شعره ويعلم فيها فنه ، والارتحال إلى ملوك
«برجام» في آسيا الصغرى ، وكانوا ينافسون ملوك مصر ، وقد وكل
إليه في وقت ما أمر الاشراف على المكتبة العامة . لجأ آخر أمره
إلى آسيا الصغرى وعاش في كنف ملوك «برجاموس» حتى مات .

ومن أنجبهم هذه الفترة العالم الفلكي «هباركس» Hipparchus
(١٦١ / ١٢٧ ق. م) أشهر فلكي العالم القديم اطلاقا — أصلح
من أخطاء «أراتوستينز» . وقرر أول نظرية صحيحة لدوران
الأرض حول الشمس ، خطت أول الأمر ، ولكن الأيام أثبتت
صحتها . وهولذلك يعتبر المستدع لنظرية النظام الشمسي Solar System
اعترف بفضل أبحاثه العلامة «كوبرنيك» البولندي .

ومن علماء هذا العصر غير هذين ، الفيلسوف «سفيروس» Spheros

الذي جادل الملك المتأذب كثيرا . والذي كتب في الثروة والمجد والمقنوم وغيرها من الموضوعات الفلسفية . قضى آخر أيامه بعيدا عن مصر كما فعل « أرسطونيم » ، حيث لجأ إلى « اسيرطة » وأقام بها ونسخ ومات .

ومن العلماء المعدودين « أرسطاركاس » Aristarchus اللغوي الذي كان على رأس المكتبة الكبرى (٢١٧ / ١٤٥ ق. م) . عاونه في أمور المكتبة نفر من العلماء هم « دنيس » لوثريس Denys و « فلومين » Philomine و « ديديم » Didime . وكان أرسطاركاس إلى جانب اضطلاع به بأمر المكتبة محاضرا في علوم اللغة والأدب بالجامعة ، وأستاذا للملك وأولاده . عاش حتى أدرك عصر بطليموس السادس ، ونشر كثيرا من مؤلفات « نندار » و « سفوكليس » و « اسكليوس » ، وعلق على الأشعار الهومرية ، وله ترتيب خاص للإلياذة والاولديسى ، ومات في حكم بطليموس السابع في قبرس .

ومن أبرز الشخصيات المؤرخ (بوليبيوس) Polybius (٢٠١ / ١٢٠ ق. م) وهو ليس أسكندريا ، ولكنه اختلف إلى المدينة كثيرا . وله تاريخ عن « مصر » يتصف بالغموض ، أهمها فيه وأوضحه ، ذلك الفصل الذي عقده لتتويج بطليموس الخامس ، ففيه يرى وصفا دقيقا رائعا لمدينة الاسكندرية .

الفصل الخامس

من بطليموس السابع إلى كليوباترة

(١١٧ ق. م — ٤٨ ق. م)

أورجيتس ثلثي — نهضة علمية عامة في المستعمرات الهلينية — كراهيته ليهن رجال العلم وأهنته لهم — أثر ذلك التفتت — أوضاع سياسية الانتفاض على الحضارة الهلينية — تصهور المتحف الاسكندري بعدد مائة — الملك يولف وجمع عش الغدا حوله — هو تليد لارستاركس — التعليق على هومر — مجالس المناظرة — شغل أورجيتس بجمع الكتب ومناقشته ملوك برجاموس — جهود الحالة العلمية في زمن بطليموس الثالث عشر ووقوف دولاب العمل في المتحف — آخر عهد الاسكندرية بقوة الانتاج — عصر كليوباترة — الميل إلى الفلسفة — أثر اليهود .

يقول « أثنوز » Athenaeus نقلاً عن مؤرخ اسكندري يدعى « منكلير » Menekles إنه كانت هناك نهضة علمية في جميع أنحاء المستعمرات الاغريقية على طول عصر بطليموس السابع ، وذلك بالنسبة لما كانت عليه الحال في بلاد اليونان . وعلى الرغم من ذلك كانت في نفس الرجل موجدة لا يعرف سببها على رجال العلم عامة . ولعل الخلافات العائلية بين البطالمة هي التي أحفظت نفس بطليموس السابع على علماء عصر بطليموس السادس ، ففي منهم الكثير إلى الجهات النائية . وهناك أخذ الفلاسفة ورجال اللغة والهندسة والموسيقى والفن يعملون مأجورين على تعليمهم ، بسبب ما اعتراهم من جراء هذا التفتت من الفاقة وضيق ذات اليد — ويذكر « أثنوز » ان الاسكندرية كانت في

هذا العهد كعبية العلم ما تزال . يؤمها القصاد من بلاد اليونان ذاتها . ويقارن «شارب» Sharpe أثر هذا الحادث الذي دفع بهؤلاء العلماء الاسكندريين إلى خارج المدينة ، بالأثر الذي نتج عن فتح القسطنطينية على يد «محمد الفاتح» ١٤٥٣ م — ذلك الفتح الذي كان من أثره نشر العلم في أنحاء القارة الأوروبية ، بسبب هجرة العلماء من القسطنطينية . ويلحظ الباحث في تاريخ هذا العصر . أثر سياسة جديدة أخذت تعلن عن وجودها ، ترمى إلى «تصير» البلاد وازالة السبغة الهلينية عنها . وكان ذلك على حساب العنصرين اليوناني واليهودي معا . بدأت بوادر هذه الروح تدب منذ أيام «بطليموس الرابع» . ويعجب الإنسان إذ يلحظ هذا ، ويحار في تعليله — سيما ولم تكن قد مضت مدة طويلة على بذور بذور الحضارة الهلينية في البلاد — أما بطليموس السابع ، فقد خضع بمرور الزمن لتقاليد المصريين ، وانحاز إلى حضارتهم . واستسلم لسلطانها القاهرة .

والذي يهمننا من هذا نتيجة المحتومة — ألا وهي الغرض من شأن الثقافة الهلينية . وتعوذنا الأدلة على حيوية المتحف الاسكندري أو «الجامعة» في هذا العصر الذي ينسب إليه (رغم الروح الجديدة التي بدأت تسود البلاد) ظهور عدد من أقدر رجال العلم الاغريق ، هو المتحف من بعدهم هويًا شديداً — حتى لكأنما كانت تلك صحوة الموت !

وكان الملك نفسه فضلا عن حمايته للعلماء ، مؤلفاً وناقداً . «وأرستاركاس» Aristarchus أظهر شخصيات الأدب في هذا

العصر: وله تعليقات على الأشعار الهومرية . وكما وضع بطليموس
«سوتر» مذكرات عن مغامراته في الشرق ، وضع « بطليموس
السابع » مذكرات شبيهة بها عن رحلاته الجارية .

وعلى الرغم من أن بطليموس السابع استبعد عدداً من صفوة رجال
العلم أول عهده بالحكم ، فإنه عدداً آخر منهم بقي في الاسكندرية
مواثبات خدماته للشغف — يذكر « ماتر » Matier أنهم لم يكونوا
على جانب كبير من الثقافة ، واليهم يرجع الفضل في اكتساب
مجلس الملك روحاً أدبياً على كل حال .

وهاك قطعة منسوبة إلى بطليموس «أورجيتس الثاني» (المحسن).
فيها تعليق على بعض الهومريات التي شغف بها العاهل كل
الشغف — عرف فيه رجال بلاطه من المتأدبين هذا الميل ،
فكثروا ما كانوا يناقشون في مجلسه إلى ساعة متأخرة من الليل .
وهذه القطعة محفوظة ضمن مجموعة سوزميل (Sussemit) :

Πτολεμαῖος ὁ δεῦτερος Εὐεργέτης παρ' Ὁμήρου
(ε 72) ἀξιοῖ γράφειν « ἀμφὶ δὲ λαιμῶνες μαλακοὶ
οἶον ἤδε σελίνη ». οἷα γὰρ μετὰ σελίνου φύεσθαι
ἀλλὰ μὴ ἱα, (Athen. ii 61, C, and also) οὕτως δε και
Πτ. φιλομαθεῖν δοκοῦντι περὶ γλῶττην καὶ οἰκιστοῦ
καὶ ἱστορίας μαχόμενοι μέχρι μέσων νυκτῶν
ἀπέτειναν. (Sussemit, i. 9.)

اشتغل بطليموس السابع بالأدب ، ونقد الآداب اليونانية ، وهو في هذا يمثل شغف الاسرة عامة بالدراسات اليونانية القديمة ، وحبها لرجال الأدب وحماتها لهم - وليس من شك في أن ذلك قد ساعد على رواج الحركة الادبية في المتحف الاسكندري وفي بلاط بطليموس . وكان أرسطاركاس ، شيخ الأدباء النقاد في هذا العصر ، وهو من كبار المعلقين على اشعار هومر كما قدمنا ، ويعتبر استاذاً لسيده بطليموس في هذا المضمار .

وفي هذا النص المثبت في مجموعة « سوزميل » ، نرى بطليموس يحمل الناس على تفسير كلمة « ايون » التي في « هومر » بأنها نبات يكسو سطح الماء الراكد ، هو إلى فصيلة النباتات الدنيا (١) أقرب ، وهو هذا ، أبعد ما يكون عن فصيلة الأزهار — وبطليموس بتفسيره هذا يدحض آراء بعض النقاد شارحين لهومر .

وإن دل هذا على شيء ، فهو دال على أن البطالة الذين كانت « سوتره » أولهم شغفاً بالدراسة والبحث والتصنيف ، قد أفادوا كثيراً من اشتراكهم في مجالس المناظرة ، كحياة للأدب ، أو كأشخاص في الحوار — فأصبح من بينهم مع الزمن ، الباحث والناقد والأديب . ويشبه البطالة في تشجيعهم للأدب وترأسهم لمجالسه ، خلفاء العباسيين الذين كانوا يعقدون مجالس المناظرة ، ويصرفون في شهودها أوقاتاً طويلة — وكانما التاريخ يعيد نفسه في هذه المسألة ، شأنه

(١) هو الطحلب

في غيرها من المسائل : ففي عصر المأمون العباسي حين وطئ الجدل بين الأدباء والشعراء . ولذا للخلفاء أن يشهدوا هذا الوحش الحامي ، على نحو ما لذ لسابقيهم من عواهل البطالة أن يشهدوه سواء بسواء . ولعل هؤلاء وهؤلاء كانوا يقصدون بما فعلوا إلى اذكاء روح الجدل والمناقشة ، واستثارة القرائح — أو لعلهم كانوا يشبعون به رغبة خاصة في نفوسهم .

ولقد أفادت الحركة الأدبية والفلسفية في العصرين من جراء هذا التناظر كثيراً من أسباب نموها وازدهارها .

وعلى الرغم مما ينسب إلى بطليموس السابع من موقف غير محمود مع نفر من علماء عصره ، فإنه يتمتع بسمعة أدبية عجيبة ، فالمعروف الذي يذكره الرواة أنه كان حريصاً كل الحرص على تزويد مكتبة الجامعة بنقائس الكتب . وكثيراً ما أرسل الرسل من التجار وغيرهم يبحثون له عن المخطوطات اليونانية — وقد يكون السبب الدافع له على ذلك حبه لاقتناء الكتب . رغم ما انطوت عليه نفسه من كراهية لنفر من العلماء . كما قد تكون رغبته في منافسة ملوك «برجام» بآسيا الصغرى هي السبب . وكانوا في ذلك الحين يجمعون مكتبة كبرى في عاصمة ملكهم ، وليس أدل على ذلك مما يروى من أن «بطليموس السابع» منع اصدار البردي المصري إلى «برجاموس» — فاتخذ البرجاميون «الرق» Parchment بدلا منه في كتابة المخطوطات — وكان ذلك من خير العلم في مستقبل الزمن ، إذ

بذلك كسب العلم مادة أبقي على الدهر من البردى — كان لها فضل الاحتفاظ به قروناً عدة .

• • •

وليس صحيحاً ما يقال من أن بطليموس السابع أنشأ مكتبة السرايوم . وهي المكتبة التي احتفظت بعدد كبير من كتب القدماء في الوقت الذي أحرقت فيه المكتبة الكبرى في حي البروكيوم . عام ٤٨ ق . م . وقد أشرنا إلى ذلك عند الكلام على عصر بطليموس وفيلادلف .

ومنذ عام ١٠٧ ق . م . أي منذ قضي بطليموس وأورجيتس الثاني وقعت البلاد فريسة للخلافات الأسرية بين أفراد البيت الحاكم . وفي هذه الحقبة من الزمن تدخلت روماء في شئون البطالمة وشئون مصر الداخلية ، بسبب الاتجاه هؤلاء إليها ينتفون عندها حلولاً لمشاكلهم الخاصة . وفي هذا النزاع الذي طال أمده . أفقرت البلاد . ولم تعد قادرة على تزويد المتحف ، ومكتبته بالكتب . وشغل بطالمة العصر الأخير بالانقسام والتنافس على العرش عن أمور العلم . وكان هذا آخر عهد الجامعة والمكتبة معا بالقوة والاتاج .

وجرت الأمور على هذا المنوال حتى عصر بطليموس الثالث عشر ، وفي عهده جمدت الحركة العلمية في الاسكندرية . وفقد الجمهور السكندري صبغته اليونانية ، وغدا — وكان ذلك من حسن الحظ — مصرى النزعة . وكاد دولاب العمل يتوقف نهائياً ، في المتحف الاسكندري .

وعلى الرغم من كل هذه الاحداث الهامة، ظهر في عصر « كيلوباطرة »
الذي يعتبر بمثابة الحد الفاصل بين عهدين، نفر من تلاميذ
« اريستارخوس » أشهرهم « ديونيسيوس الثارسي » Dionysius
Le Thrace ، الذي درس أولا في روما، ثم رحل الى الاسكندرية
وعلم في جامعتها .

وفي عهد كيلوباطرة نشطت حركة كشف جغرافي ترأسها
« إيودوكس » Eudoxe الذي رحل الى الهند للتجارة والكشف .
ومن به ذكرهم في هذا العصر الطبيب « ديسكوريدس » Dioscorides
وله مؤلفات كثيرة في الطب . وهو غير ديسكوريدس الباقي
المعروف صاحب كتابات العقاقير الذي نقله العرب .

ويصف « مائر » Matter الاسكندرية في هذا العصر الجديد، بأنها
كانت وكرا لبعض فلاسفة اليونان ازوت فيه انخاصهم وجهودهم ،
لأن أعظم ما كان يشغل بال الاباطرة ، لم يكن علما ولا أدبا ولا فلسفة .
وانما كانت الإدارة والنظام واستتباب الأمن شغلهم الشاغل . وليس
بعريب ، والحال كذلك ، أن ينزع علماء الاسكندرية الى « روما »
موطن الاباطرة وكبار الرومان . وهناك استطاع هؤلاء أن يجدوا
شيئا من التقدير لادبهم وفضلهم ، وكان ذلك من سوء حظ الاسكندرية .
غير أن هذا التحول ، كان من شأنه اضطلاع نفر من فلاسفة اليهود
في الاسكندرية بأمور العلم والفلسفة . ولا غرابة ، فقد احتفظ اليهود
بكثير من كنوز العلم منذ فرق « أورجيتس » الثاني ، شمل علماء الاسكندرية ،
ومنذ مالوا هم الى دراسة الفلسفة وخطوها بتعاليمهم الدينية —

ومن زعماء هذه الحركة العلمية اليهودية «أرسطوبيول» Aristobule
و«فيلون» Philo الاسكندري، وتحمل مصنفاتهم في هذا العصر
اسم «الهيلينزم» Hellenisme .

شغلت الحروب بين مصر وسوريا وبطليموس الخامس، عن
الالتفات الى الشؤون الداخلية، كما شغلت المنازعات العائلية ومسألة
التنافس على وراثة العرش ملوك البطلمة عامة على طول القرنين
السابقين على الميلاد — ووربما عجز تأخر الجامعة وتدهور الحركة
العلمية الى هذين السنين دون غيرها .

وفي هذه الفترة بدأت الاسكندرية تفقد مكانتها العلمية والأدبية
وتتخذ مظهراً جديداً من مظاهر الفكر الانساني، فقد اتجهت منذ
الحلقات الأخيرة من القرن الثاني قبل الميلاد نحو دراسة الفلسفة،
 واجتمعت فيها في القرن الأول قبل ميلاد المسيح مذاهب متباينة
 منها مذهب الشك، ومذهب الفيثاغورية الحديثة ومذهب خاص
 اخذته الاسكندرية عن الأكاديمية الجديدة (فلسفة أفلاطون) .



ومنذ استلبت روما مكانة الاسكندرية العلمية بسبب سقوط
مصر في أيدي الرومان، ضعف بها شأن اللغة الاغريقية بالتدريج،
 وشاع استعمال اللغة المصرية «الديموتيقية» في أعقاب ذلك . ولكن على
الرغم من هذا التحول، بقي اليهود في مصر حافظة على العلم اليوناني
واللغة اليونانية، وعبروا بهما ميلاد المسيح، وعدت خزانة كنوزاً
للعلم اليوناني الوثني في العصور التالية للميلاد، وظهر منهم كثير من

المتصلين في نواحي العلم في أوقات مختلفة قبل الميلاد وبعده . وكان لهم أدب ديني يتفق كل الاتفاق مع تعاليمهم الدينية والأخلاقية ، ويتمشى مع ما تورههم من ، حكمة سليمان .

وكرّمهم لفضلهم ملوك البطالمة ، فيما عدا واحد منهم أو اثنين . وعاشوا في معزل عن جمهور الاسكندرية ، وسلخوا من حركة الانتفاض على الثقافة الهلينية ، وكان ذلك من حظ الاسكندرية ، إذ استطاع محبو العلم اليوناني أن يجدوا عند هؤلاء علماء أعادوا به إلى المدينة ، بعد انقضاء زمن على ذلك التحول السياسي الذي حرم الاسكندرية مكانتها العلمية الممتازة ورفع من شأن روما .

وكان أول أستاذ اسكندري علم الفلسفة ، بعد إذ انتقلت دراستها إلى روما ، « فيلو » اليهودي الاسكندري ، تلميذ عليه طلاب كان على يديهم أحياء العلم الوثني الذي فاضل المسيحية وناضله ، في القرون التي أعقبت الميلاد ، حتى عام ٣٩١ م ، وهو الوقت الذي اندك فيه صرح الوثنية نهائيا بتخريب « السرايوم » .

الباب الثالث

الجامعة في العصر الروماني الاول

« الجامعة في المتحف »

٤٨ ق م — ٢٧٣ م

الفصل الاول

حريق المتحف والمكتبة - مكتبة بروجاموس - اصلاح التقويم الروماني في الاسكندرية - اخذ علم المساحة عنها - نقل النظام المالي وتقاليده البلاط الى روما - تنوع عناصر الثروة العلمية اليونانية - الاسكندرية ما تزال وكر الدراسات اليونانية - انتعاش روما من الوجهة العلمية على حساب الاسكندرية - علماء عصر كليوباترة - الاباطرة ومدى موازرتهم للعلم - الامبراطور كلوديوس والسكودريوم - سوسيجين واسترابو واثينارفس - قنبازيان وهديريان وماركوس أوريليوس واهتمامهم بالعلم - كراكلا ومكتبة العلم الاسكندرية - الاراكاديوم والايفانجيليوم .

دب الخلاف بين أبناء بطليموس السابع (أورجيتس الثاني) ، وتأمر ابنة الاسكندر على أمه كليوباترة قتلها ومنذ ذلك التاريخ دب الانقسام الشديد بين البطالمة . وفي عهد بطليموس الحادي عشر تدخلت روما في أمور البلاد حين لجأ هذا إلى أشرفها ليعينوه على استرداد عرشه .

ومنذ ذلك الوقت ، وبسبب النزاع الذي قام بين كليوباترة (١)

وأخبرها بطليموس على العرش ، أتيح للرومان أن يتدخلوا في أمور البلاد بشكل عملي .

ولما انتصر قيصر على خصمه «يومي» في موقعة «فارسال» المعروفة ، هرب «يومي» إلى مصر وقدر له أن يقتل فيها . وحضر «قيصر» إلى الاسكندرية عام ٤٨ ق . م . مخفيا أغراضه الحقيقية الاستعمارية ، ولكن المصريين رأوا في مجيئه إلى بلادهم بجيش وأسطول اعتداء على العزة القومية ، فثاروا ثارتهم لذلك . وزاد الطين بلة أن كليوباترة التي كانت قد هربت إلى سوريا ، عادت فتسللت إلى الاسكندرية منتهزة فرصة وجود قيصر بها . متخذة منه عوناً لها على أخيها ومناصريه من الأوصياء عليه .

وانفجر بركان الثورة دفعة واحدة ، وجهز الأوصياء على الملك الصغير جيشاً يفوق جيش قيصر عدداً ، وتحرك مركز قيصر ، وانحصر بين الثوار في المدينة والبحر ، حيث كانت قطع الأسطول الروماني راسية في الميناء الشرقي . وفي هذا المأزق الحرج اضطر قيصر أن يشعل النار في السفن ، ليمتد منها لهيب يقضي البروكيوم والغوغا . انجتمعين فيه وامتدت ألسنة النيران في هذا الحريق التاريخي إلى مخازن الذخيرة البحرية ، ثم اتصلت توالاً بالآبنية العظمى في حي البروكيوم — فأصاب المتحف والمكتبة المحلقة به .

ومن أعجب الأمور ألا يشير إلى هذا الحريق «شسرو» Cicero

المؤرخ المعاصر لهذا الحادث الجلل، وهو لا شك ممن كان يحزنهم أمر هذه الخسارة الأدبية. وسكت عنه أيضاً مؤرخ آخر زار الاسكندرية بعد ذلك الحادث بخمسة وعشرين عاماً، هو «سترابون». والمقول أن سكوت «سترابون» كان بتحريض من الحاكم الروماني الذي حرص ألا تفرن خسارة جسيمة كهذه باسم قيصر الرومان. وأول ذكر صريح للحادث ورد على لسان الخطيب الروماني «سكنا». ولا بد أن يكون هذا الحريق قد أحدث أعظم الخسائر الأدبية، بأعظم مكتبة عرفها العالم القديم على الإطلاق.

واستولى قيصر بهذا الحريق على حى البروكيوم — وعهد إلى الاستيلاء على الميناء الغربي، ولكن جمهور الاسكندرية قام وعلى رأسه الأميرة «أرسنويه» شقيقة كليوباترة، يعبر عن روح السخط بين الاسكندرانيين، فأسرها «قيصر» على مشهد من أختها الملكة التي لم تحرك ساكناً.

ويذكر «بلوتارخ» أن «مارك أنطون» أهدى كليوباترة مكتبة «برجاموس» العظيمة لتعويض بها الخسارة الفادحة التي حلت بالاسكندرية من جراء الحريق الكبير في البروكيوم.

ولا شك أنه كان لهذه الحوادث المؤسفة أثرها السيء على سير العلم في الاسكندرية. ومهما يكن من الأمر فقد أفادت روما كثيراً على حساب الاسكندرية — على نحو ما سوف نراه مفصلاً فيما بعد.

ويذكرون أن قيصر استطاع بفضل علماء الاسكندرية وجامعتها

أن يصلح التقويم الروماني ، وأن يحقق طول السنة الشمسية ، التي حددت في الاسكندرية بثلاثة وخمس وستين يوماً وربع اليوم ، وعرف التقويم منذ ذلك الحين بالتقويم « اليوليوسى » نسبة إلى « يوليوس قيصر » . كما يذكر أيضاً أن قيصر نقل عن الاسكندرية وعلم المساحة ، الذى استخدم منذ ذلك الحين فى أغراض خاصة بتنظيم الامبراطورية الرومانية . وعن الاسكندرية استعمار الرومان نظامهم المالى الذى عم استعماله أنحاء الامبراطورية كلها .

وتقوم الشواهد على أن الرومان نقلوا بعض التقاليد الهلينية من بلاط الاسكندرية إلى بلاط روما — وغدا الاسكندر البطل الهلنى ، مؤسس الاسكندرية المثل الاعلى الذى احتذاه الرومان فى إقامة صرح امبراطوريتهم العظيمة .

وبهذا التحول السياسى الذى أخضع مصر لروما . بدأت الاسكندرية عصرأ جديداً من عصورها ، زالت فيه الصبغة الهلينية عنها زوالاً يكاد يكون تاماً .

ولا يذكر المؤرخون كثيراً عن حالة الاسكندرية العلنية فى هذا العصر سوى ما كان من أثر ذلك الحريق الذى قضى على المكتبة الكبرى ، وتلك الهدية القيمة التى قدمها (مارك أنطون) من كتب مكتبة (بروجاموس) لتعويض الخسارة الفادحة التى حلت بالمدينة .

ويذكر المؤرخ (شارب) Sharpe هجرة نفر من العلماء اضطروا

إلى ترك الاسكندرية بسبب اضطهاد أورجيتس الثاني ، وانتجاع جزر بحر ، إيجية ، التي اتخذها الفلاسفة الاسكندريون والعلماء مهربا من اضطهادهم .

ولاندري مدى لانتشار العلم الاسكندري على أثر ذلك ، لأن التاريخ لم يحدثنا عنه بأكثر مما يقرره « شارب » من ذبوع العلم على أثر هذا الحادث — على نحو شبهه بذبوعه في أثر فتح العثمانيين للقسطنطينية .

وقد مر بنا ذكر ما كان لليهود من فضل الاحتفاظ ببعض من الثروة العلمية ، عندما سلموا من الحركة العدائية التي قامت تعارض كل أثر هيلني في مصر . وبقى هؤلاء أمناء على العلم إلى ما بعد الميلاد ، حتى استطاع المشغوفون به أن يستردوا منهم الامانة التي حملوها ، وأن يفيدوا العالم بها — وهكذا ظلت مكاتب اليهود الخاصة تحتوى كثيرا من كنوز العلم الاسكندري ردها من الزمن .

هذا وقد أودعت كتب «برجاموس» ، وهي ذخيرة علمية يونانية عظيمة القيمة في مكتبة «السرايوم» ، فأضافت كتبها إلى هذه المكتبة الفرعية التي كان قد أقامها « فيلادلف » إضافة ذات بال . وبقيت هذه المكتبة مرجع العلم الوثني حتى أواخر القرن الرابع الميلادي . على أن جامعة الاسكندرية لم تعد من الاباطرة من ناصر الحركة العلمية بها . والمعروف أن الامبراطور «أوغسطس» (٣٠ ق.م/ ٤١ م) كان محبا لليونانية ، لغة وثقافة — اختار لحكم مصر واليا مشغوقا بالعلم محبا للأدب ، هو «كورنيليوس جالوس» ، وفي ولايته نالت الجامعة

قسطاً لا بأس به من العناية ، غير أنه تعوزنا الأدلة المصادية على غناء
الانتاج في هذه الفترة .

وكان الامبراطور « كلوديوس » (٤١ / ٥٤ م) محبا للعلم والتاريخ
بصفة خاصة . وكان له شغف بالغ بدراسة اللغة اليونانية ، وضع
مؤلفا في تاريخ القرطاجيين والأترويين باليونانية — والمعروف
أنه وسع الجامعة ، وأسس معهدا جديدا أطلق عليه اسم « الكلوديوم » ،
لعله كان معهدا يونانيا رومانيا يعني بالتشريع الروماني والدراسات
اليونانية في آن معا . كان موقعه بالقرب من عمود دقلديانوس .

ومن عرفوا بأبحاثهم الفلكية في هذا العصر « سوسيجين » Sésigène
ومن المؤرخين الثقات الذين أنجبهم هذا العصر « سترابون » Strabon
الاغريقى الذى جال في كثير من أنحاء الامبراطورية الرومانية وحضر
إلى مصر وزار دلتاها وصعيدها ، وصحب إليها في جولاته في
ربوعها مكرما ، كتب في الجغرافيا كما كتب في التاريخ . وعليه اعتمد
« بلوتارخ » ، « وچوزيفس » اليهودى — « يوزيب » من بعدهما .
ومن أسف أن كثيرا مما كتب في التاريخ قد هلك ، ولم يصلنا منه
شيء . وكل اعتماد المؤرخين على « سترابون » إنما هو اعتماد في الحقيقة
على جغرافيته ، لا على تاريخه .

وحاضر في الاسكندرية « اكنارقس » Xenarchus من اشباع

أرسطو، درّس فلسفته للاسكندريين في هذا العصر — وعليه تلذ
«أرسطون» Ariston الجغرافي والفيلسوف، الذي برع في فلسفة «أرسطو».

• • •

وفي عصر «ثيسباريان» (٦٨ / ٧٨ م)، وكان محبا للعلم والمعلمين،
تجلت عناية الامبراطور بجميع الكتب لمكتبة العاصمة الرومانية،
ويذكرون أنه أرسل إلى الاسكندرية من بنسخ الكثير من كتبها لتزويد
مكتبة «روما» بتفائس العلم اليوناني، وفي هذا ما فيه من الاشارة
بقيمة كتب مكتبة الاسكندرية في هذا العصر الذي لا يبعد كثيرا عن
عهد إحراق المكتبة الكبرى. وبما لا شك فيه أنه قد أصبحت
للالسكندرية المكانة الثانية بعد «روما» في كل شيء من سياسة أو علم،
ولم تعد مصدر النشاط الفكري في العالم القديم، وإن ظلت وكرا
من أفكاره على كل حال.

وعنى كل من الاباطرة الذين حكموا من القرن الأول حتى منتصف
القرن الثاني بأمر العلم، على نحو ما عني به «ثيسباريان». والمعروف
عن الامبراطور «هادريان» (١١٧ / ١٣٨ م) أنه كان من محبي العلم،
المؤلفين باللغة اليونانية واللغة اللاتينية، وأنه أسس المكتبات في
روما وأثينا، واستمع إلى علماء الجامعة في الاسكندرية عند زيارته
لها — حرص على أن يكون العدد الأكبر من أعضاء هيئة التدريس
في الجامعة من أعوانه، بغض النظر عن مقدرتهم العلمية.

ولم يقل التفات الامبراطور المستنير «ماركوس أوريليوس»
Marcus Aurelius (١٦١ / ١٧١ م) إلى الجامعة وعلومها، عما كان

من سلفه — فقد كان هو فيلسوفاً وناقداً من نقاد الأدب، وحامياً للعلم وأهله .

على أن الاسكندرية وجامعتها قد لقيتا هواناً شديداً على يد الامبراطور الموتور كراكلا (٢١١ / ٢١٧ م) ، فقد كانت في نفسه موجدة بالغة على الاسكندريين عامتهم وخاصتهم . وفي عهده فقدت المدينة حريتها ، وأحصيت حركات الناس وسكناتهم ، وأغلقت معاهد العلم ، ولا سيما القاعة العامة ، قاعة السُستياء (١) ، وشرد رجال العلم ونكل بهم ، ولا سيما أتباع أرسطو من المشائين . ويرى الدكتور بوتي ، Boti أن الجامعة التي كان قد أنشأها البطالمة في حي البروكيوم (في المتحف الاسكندري) . قضى عليها في هذا العهد القضاء الأخير ، وحلت محلها في الاضطلاع بمهمة التعليم مؤسسة « كلوديوس » (الكلوديوم) سالفة الذكر . ثم مؤسسة « أركاديوس » (٣٩٥ / ٤٠٨ م) الذي أطلق عليها اسم « الاركاديوم » ، ثم مؤسسة « جستنيان » (٥٢٦ / ٥٦٥ م) التي عرفت باسم « الايقانجيلوم » .

(١) وهي البقية الباقية من مباني المتحف الاسكندري بعد حريق ٤٨ ق . م .

الجامعة في المتحف ،

٤٨ ق ٠ م — ٢٧٣ م

الفصل الثاني

بولكس الخطيب - هليودور الشاعر - حفصة الشعر في العصر الروماني - ديس
الاسكندري - كلود جالين الطبيب - الدراسات الطبيعية - «ميتلا» و «سيربون»
الهندسيان - بايس يقرب ارشيدس و اقليدس من اهتمام الناس - ديوفانتس العالم
بالهندسة والجبر - كارديوس بطليموس الجغرافي - أبين المؤرخ - أديا لغويون
ومثقفون - «ثيون» أستاذ الآداب اليونانية بالجامعة والعالم في الجبر - ابنة الفيلسوفة
هباشيا - أبولونيوس ديوسكوليس الأجرى - مذهب الأفلاطونية الحديثة - سكاس
وأفوطيوس - بروفيري (فورفيروس) - سنت أناس من آباء الكنيسة يمارض
الرونة الحديثة .

ربما كانت الحياة العقلية في هذا العصر قوية في الاسكندرية ،
العاصمة الفكرية ذات المكانة الثانية في العصر الروماني بعد روما .
وبما يؤسف له أن الأدلة على قوة هذا العصر أو ضعفه تعوزنا ،
والتي لدينا منها ليس إلا تنها لا تقوم دليلاً متماسكاً على قوة العصر
أو ضعفه .

حقاً لقد وجدت الجامعة عناية من بعض القياصرة مثلما وجدت
من عواهل البطالة ، سيما وقد أصبح القياصرة حماة للعلم بحكم ما آل
اليهم من تراث . ولما كانت الاسكندرية تحكم من روما ، وكان القياصرة
يقيمون هناك ، فقد وكل أمر حماية العلم إلى حكام الاقاليم ، وهؤلاء عرفوا

بشيء غير قليل من القساوة وغلظة الطبع ، أقصى عنهم رجال العلم إقصاء . ورغم هذا فقد كان بالمدينة ذلك العنصر المتأدب ، الذي تابع الحركة العلمية وقصد إلى الانتاج الحر — واتسمت الحركة العلمية بمنافسة غير بريئة ، ألحقت بالعلم صغارا وضعفا شديدين . وكان أعضاء المتحف في هذا العصر يقيمون فيه ، ويتمتعون بمزايا مادية ، ويتملقون القياصرة بالمدح يتردد في أشعارهم وخطبهم .

وتدل الوثائق المحفوظة من القرن الثاني للميلاد على أن جمهرة من عليّة القوم ورجال الدين والضباط الرومانيين كانوا جميعا أعضاء شرف في المدرسة الفلسفية بالجامعة . وكان عميد الجامعة في هذا العصر موظفا حكوميا ذا كفاية خاصة في الإدارة ، ولم يكن يشترط فيه أن يكون ذا كفاية علمية فائقة .

وكان الامبراطور هدریان ، يختلف إلى المتحف ، ويشترك في المناقشات العلمية والأدبية كأحد الطلاب ، وكان اعتماد هذا العصر على مكاتب السراييم والقيصريون والمكاتب الخاصة ، فلما أن تلفت كتب المعابد من انقضاء المسيحيين عليها ، لم يبق ما يعتمد عليه سوى المكاتب الخاصة التي كانت تنفر من محب العلم — وقد وصلتنا أوراق بردية تحمل آثارا أدبية من هذا العصر والعصر السابق عليه . وبقيت الاسكندرية كعنة طلاب العلم من كل فج ، كما كانت في عصرها الأول ، رغم انصراف الانظار عنها إلى روما ، وذلك بالنسبة للمكانة الرفيعة التي كسبتها لنفسها ولم تستطع الأيام أن تنزعها . هذا — وقد كان لمدينة نقراسه الاغريقية في غرب الدلتا فضل

إبراز بعض رجال الأدب أمثال « بولكس » Pollux الخطيب الذي أنشأ له الإمبراطور هدریان « كرسيًا لتدريس فن الخطابة في الجامعة ، وهو أيضاً ممن اشتهروا بمعرفة تامة لقواعد اللغة اليونانية .

نعمت البلاد في بحوجة من الحرية في العصر الاغريق ، وكانت لتلك الحرية مزاياها التي عادت على الحركة العلمية فأكسبتها طبيعتها الحرة ، وباستيلاء الرومان على مصر . أخذت روح الانتاج تضعف بها تدريجاً ، لانعدام الحرية السياسية ، وشعور الاسكندريين بمهانة ليس من شأنها أن تساعد على الانتاج . وشابهت الاسكندرية في هذا العصر « أثينا » إبان خضوعها لروما — إذ شغلت بمصيرها السياسي ، أكثر مما شغلت بأمر العلوم والآداب .

وأشهر انتاج متوارث عن النصف الاول من القرن الاول الميلادي ، بعض كتابات أدبية عن علاقة حب نشأت بين « نيتوس » Ninus و « سميراميس » مدونة على قطعة من البردي ، وبعض أشعار تعرف « بالاثيوبيات » (Ethiopiques) لهليودور ، (١) كتبها في صعيد مصر .

ومهما قيل في الانتاج الشعري البطليموسي ، فقد كان على كل حال محتفظاً بأهم مزايا الشعر ، من طلاوة في العبارة ، إلى جمدة في الموضوع ، الى غير ذلك من مزايا الشعر الصحيح . أما في هذا العصر فقد تأخر الشعر تأخراً ظاهراً ، وانعدم فيه التجديد ، وهو

(١) Heliodore D'Emèse

وأن جرى في موضوعه على سنن الماضين ، إلا أنه حاكم محاكاة شكلية ، لم تنتج في النهاية أدباً حقاً .

وما يعرف عن هذا العصر أن كتابه كانوا من غير الاسكندرانيين . كتب منهم في عصر هدریان ، دنیس ، الاسكندري (Denys) الذي نظم بعض الحقائق الجغرافية في قالب شعري ، والذي وصف نقلاً عن خريطة بطليموس ، أرض ليبيا ، ومعظم أجزاء أوروبا وآسيا . وبقيت هذه المنظومة حتى نقلها إلى النثر اللاتيني « أفينوس » (Avienus) « وپرسین » Priscien .

تقدمت في زمن البطلمة دراسة الطب ، وعرف التشريح . وجاء هذا العصر فتابع دراسة الطب والتشريح . وفيه شرح « كلود جالين » Claude Galien المولود في « پرجاموس » ، والمتوفى سنة ٢٠٠ م في روما ، بعضاً من الحيوانات والخنازير والفردة والاسماك والأفاعي ، ووصل من ذلك إلى نتائج قيمة زادت من مكانة الاسكندرية في هذه الناحية .

وقد انتهت إلى العصر الحديث رسالتان في الطب من هذا العصر ، واحدة مأثورة عن الطبيب « بالكي » ، والأخرى تحتوي على مبادئ واضحة لعلم « الجراحة » ، لمؤلف مجهول الاسم . وعرفت الاسكندرية في هذا العصر بوجود بعض الاختصاصيين في معالجة الأورام وتجميع الكسور .

وازدهرت في العصر الروماني بوجه عام الدراسات الطبيعية والرياضية . ولولا احتقار الرومان (وهم شعب عملي) للعلوم البحتة ، اللهم إلا ماله مساس بإقامة صرح الامبراطورية — لحصلنا من مدرسة الاسكندرية الطيبة على نتائج أكثر قيمة مما انتهى اليها .

وأنجبت الاسكندرية في أواخر القرن الأول الميلادي ومنيلاس ، Menelas وهو هندسي صرف جهداً كبيراً في دراسة « الدائرة » ، و « سيرنوز » Sérénos المهندس الذي خطط مدينة « ارسنويه » (السويس) ، متخذاً من الهندسة التي حذقها أساساً عملياً لإنشاء المدينة — « وپاپس » Pappus أظهر شخصية علمية في أواخر القرن الثالث الميلادي ، وينسب اليه عمل من أجل الأعمال العلمية ، هو تنظيم المسائل الهندسية الموروثة عن سالفية من المشتغلين بهذا العلم تنظيماً دقيقاً ، والتعليق عليها وشرحها . وهو يعتبر بحق أول من قرب « أقليدس » ، و « أبولونيوس » و « أشميدس » إلى أفهام الناس . وكان بدوره مبتدعاً ومكتشفاً لعدة فروض علمية ، بقي بعضها قائماً يمهّد السبيل لفلسفة « ديكارت » .

• • •

ومن أعلام القرن الثالث ، « ديوفانتس » Diophantes العالم بالهندسة والجبر ويدين له العلم ، ولا سيما علم الجبر بأعظم الفضل ، و « كلوديوس بطليموس » الذي استوعب علم سابقيه ومعاصريه في الجغرافيا وأضاف اليهما جهوداً شخصية في موضوعها ، وهو استاذ من

اساتذة العرب ، نقلوا عنه تحت اسم « المجسطي » رسالة في « الفلك »
وهي رسالة جمعت كل إبحاته التي أجراها في معبد (كانوب) والتي
أخذها عن « هياركس » — وله جداول في حساب الخسوف في
رسالة « التتراييلوس » Tetrabilos — ولم تقف معارفه عند حد
الجغرافيا والفلك ، بل تناولت فن الموسيقى ، فوضع فيها رسالة في
(الهارموني) تعتبر إحياء وإضافة لنظرية « ارسطو كسين »
Aristoxine ، وله رسالة مترجمة إلى اللاتينية عن إسقاط الكرة :
(عمل مسقط لها) Sur le déploiement de la surface de la sphère
واعظم آثاره على الإطلاق كتاب « الجغرافيا » وفي هذا السردون
بطليموس كثيراً من آثار السابقين ولا سيما آراء « مارينوس الصوري »
Marin de Tyr الذي جمع معلوماته من الملاحين ومن تقارير البعثات
التجارية والجميلات الجارية .

وظل كتاب « اجاثوديمون » Agathodaemon الذي تنسب إليه
معظم المخطوطات الجغرافية خرائطها ، إلى جانب مصنفات بطليموس
في الجغرافيا عمدة المشتغلين بهذا العلم في العصور الوسطى .

ويعتبر بطليموس من أوائل واضعي الموسوعات ، وقد كان
شغوفاً إلى جانب الجغرافيا والفلك بدراسة التاريخ — وله فيه
جداول زمنية عن تواريخ الملوك Canon des Rois وهي سجل لتواريخ
ملوك آشور وبابل وميديا وفارس وأباطرة الرومان حتى عصر
« أنتونينس بيوس » Antoninus Pius غير أن ما كتبه في التاريخ

لا ينسأى إلى ما وضع في على الجغرافية والفلك .
ومن أشهر المؤرخين في هذا العصر «أبين» Appien الذى كان
أول أمره محامياً ، وانتقل إلى روما حيث أصبح حاكماً لاحدى
المقاطعات الامبراطورية ، ومات في حكم «ماركوس أورليوس» . كتب
تاريخاً حافلاً ، لم يصلنا الا في نصف حجمه ، ولم تتجاوز حوادثه
عصر «هدريان» — وهو تاريخ يعالج القوميات ، كما يتناول
الشخصيات البارزة . «وابين» لا يتصل كثيراً بالعلم الاسكندري ،
وضع تاريخه هذا باللاتينية والاغريقية . ولعله كتب هذا التاريخ
في مرحلة التحول ، أى في الوقت الذى تحول فيه العلم من
الاسكندرية إلى روما ، ومن صبغته اليونانية إلى صبغة لاتينية
رومانية ، وهو مؤرخ من الطبقة الأولى .



وانتج البحث الاسكندري في هذا العصر افذاذا من اللغويين
والبيداغوجيين ونقاد الآداب والاطباء والمهندسين والرياضيين
والفلاسفة .

ونفخت الاسكندرية من روحها المنتجة في البلاد التى أخذت عنها
وأهمها «روما» — فهذا «فيلوكسين» «دورامقيل» معاصره الذى جمع
التعبيرات النادرة في اللغة والآداب الكلاسيكى ، وه «أرستونيكوس»
Aristonicos الذى علق على «هومر» وشرح وأكمل ونقد الحواشي
التي وضعها «ارستاركايس» من قبل .

وفي نفس العصر قام «ثيون» Theon بوضع مفردات الرواية الجادة والرواية الهازلة ، وقد أسماه المؤرخ «تيدير» Tibère «ناقوس العالم» يريد بهذه التسمية الإشارة إلى نهاة ذكره .

وكان لثيون كرسى فى الجامعة لتدريس الآداب اليونانية ، وهو من العلماء المكثورين فى الدراسة والبحث . ولم ينصفه المؤرخ «أبين» Appien حين وصفه بالعليل الأجوف ، وضع فى التاريخ شيئا مشكوكا فى قيمته — وله شرح لمفردات هومر Glossaire homérique ، وقد أنحى على يهود مصر فى كتاباته ، ولذلك أنبرى له «چوزيفس» المؤرخ اليهودى بالرد المفعم فى فصل من فصول تاريخه .

و «لثيون» بمجودات تذكر فى علم الجبر ، سوف يأتى ذكرها فى موضع آخر ، ساعدته فيها ابنته «هيبشيا» الفيلسوفة الوثنية التى اضطهدتها مسيحيو الاسكندرية ، وقتلوها .

ومن أعلام هذا العصر «أبولونيوس ديوسكوليس» Apollonios Dyscoles الذى علم «الأجرومية» بطريقة النقد التى شاعت فى القرن الثالث الميلادى ، وله عدة مقالات فى أنواع الكمية Parts of Speech وفى مصطلحات اللغة Syntax ما تزال باقية الآن .

• • •

وفى هذا العصر نضج مذهب الاسكندرية فى الفلسفة ، وهو فى مجموعته فلسفة أخلاق وتصور ، أخذ على عاتقه اعداد النفس إلى حالة تجرد وتفكر فى ذات الله ، مستعيرا بذوره الأولى من تعاليم اليهود الدينية ومن فلسفة أفلاطون .

وزعيم هذه المدرسة الفكرية اللاهوتية « فيلو » .
ولد فيلو اليهودي سنة ٢٠ ق. م . وتغذى من لبانات الادب
الاغريقي ، ودرس الفلسفة الأفلاطونية ، وغاص غوصاً شديداً في
دراسة العهد القديم . فاجتمعت له من كل ذلك فلسفة مستمدة من
الكتاب المقدس ومن تعاليم « أفلاطون » . وامتزج الجانبان في عقله
امتزاجاً قوياً . وكونا نظاماً فلسفياً يهودياً يونانياً .

وكان « فيلو » يمتاز بعلم غزير وأخلاق فاضلة ، وحياة كلها طهر
وتقديس هيأت له مكانة سامية بين علماء عصره . شغل أول
أمره بتدريس تعاليمه شغوياً في الأوساط الخاصة والعامة ، ثم
دونها رغبة منه في إثباتها وإذاعتها . وبقي من عمله الضخم بعض النسخ
الخطية كاملة ، وبعض الآثار المتفرقة ، وترجمت مخططاته إلى اللاتينية .

وعلق فيلو على أسفار يهودية يجمعها اسم « البنتاتيكة » Pentateuque
(أسفار موسى) ، منها سفر خاص بالخلقة منذ وجودها إلى تأسيس
ملك بني إسرائيل ، وسفراً آخر خاص بخروج بني إسرائيل
من مصر ، وثالث عن الأعداد ، هو استعراض لقوى العالم المادية
المختلفة — وهي بالاجمال مجموعة أقوال دينية وفلسفية وتاريخية مأثورة .
وكتب « فيلو » رسائل عن حياة البطارقة ، وحياة موسى عليه السلام ،
ورسائل أخرى عرض فيها لبعض الفلسفات الرفيعة والأخلاق
الفاضلة ، بلهجة وميل مسيحي ظاهرين ، وقرأ آباء الكنيسة تعاليم
« فيلو » فاعجبوا بها وشاعت بينهم ، ومن ثم تأثرت المسيحية وعلى الأرجح
بفلسفة أفلاطون قبل أن تظهر في الوجود فلسفة الأفلاطونية

الجديدة — وبقول آخر ، قبل أن يتناول « أفلوطين » فلسفة « فيلو » ،
بذلك التنظيم الذي جعل منها نظاماً فلسفياً تصوفياً .

وأسلوب « فيلو » أول ضرب من ضروب الكتابة التعبدية ،
نقلته المسيحية فيما نقلت . وتعرض فيلو لحقوق الأفراد ، فكتب فيها
وفي المساواة الاقتصادية ، كما تناول فكرة الاحسان .

ولما انتشرت المسيحية في مصر في غضون القرن الثالث الميلادي
انتشارها الواسع ، نشأت في الاسكندرية حركة معارضة للمسيحية ، زعمها
« أمونيوس سكاس » المؤسس الحقيقي للمدرسة الفلسفية المعروفة
بالأفلاطونية الحديثة — وتلميذه « أفلوطين » .

تلمذ « أفلوطين » أحد عشر عالماً على « سكاس » (٢٢٣/٢٢٤ م)
وهو مصري النشأة والتربية والنزعة ، وفلسفته مصرية صهيبة .

ونافست الأفلاطونية الحديثة الديانة المسيحية منافسة حادة ،
وكان من أثر هذه المنافسة تلك الثورات المتوالية التي شهدتها
الاسكندرية ، معقل الديانة ومعقل الفلسفة في وقت واحد .

وتشيع لهذه الفلسفة تلاميذ أشهرهم « بروفيروس الصوري » ،
الذي كتب مؤلفه خصيصاً لمناوأة المسيحية ، وكتابه هذا أكبر عمل
عدائي ضد المسيحية . وكان « بروفيروس الصوري » خصماً عنيداً
للمسيحية في القرن الثالث الميلادي .

وحول إلى نهاية القرن الرابع الميلادي ، ضعفت الوثنية ، ولم تقم العقائد
المصرية القديمة على الوقوف في وجه المسيحية ، وأخذ بعض آباء الكنيسة

يتحدون الوثنية الهلينية ، ومن أشهر هؤلاء ، سنت الناس ، الذي كتب
 عام ٣١٨ م كتابه ضد الوثنية الهلينية Discour contre les Hellènes
 — ومن ذلك الحين أصبحت مصر معقلاً مسيحياً منيعاً ، وغدت
 لها مكانة ممتازة بين الأمم المسيحية .

الفصل الثالث

« الجامعة في السرايوم »

(من ٢٧٣ — ٣٩١ م)

معبد السرايوم — المكتبة التي ألحقت به — العلم يؤول إليه مرة بعد حريق المتحف
٤٨ ق.م — يؤول إليه مرة أخرى في عهد أورليان ٢٧٣ م — السرايوم بجامعة —
الذراع بين المسيحية والوثنية — أثره في السرايوم — العرب والسرايوم .

في المكان الذي لا يزال يشاهد فيه عموده دقليديانوس ، في الاسكندرية ،
كان يقوم معبد عظيم يعرف باسم معبد « السرايوم » حيث كان
يمجد المعبود « أيس » ، في العصر الأغرقي . يذكر المؤرخون أنه
كان يقوم على مرتفع من الصخر الطبيعي — وصفه الدكتور بطرس
وصفاً دقيقاً مسهباً في كتابه « فتح العرب لمصر » .

كان هذا المعبد يقع في حي « راقودة » الحي الوطني في المدينة ،
وينسب إلى بطليموس فيلادلف أنه أنشأ به مكتبة تذكر أحياناً
باسم المكتبة الكبرى (١) وعرفت أيضاً باسم المكتبة « الوليدة »
تميزاً لها عن المكتبة الكبرى التي كانت ملحقة بالمتحف في حي
« البروكيوم » ، والتي قضى عليها حريق سنة ٤٨ ق.م .

ويقال إن الذي أنشأ هذه المكتبة الوليدة هو بطليموس

(١) وهي ليست المكتبة الكبرى التي أحرقت في حصار فيصر للاسكندرية —
فذلك كانت في « البروكيوم » وهذه المكتبة التي يذكرها بطرس من الخبر أن تسمى
المكتبة الفرعية أو الصغرى — انظر ترجمة الأستاذ محمد فريد أبي حديد لفتح العرب
لمصر (ج ٢ ص ٣٥٧)

« فيلادلف » (١) رغبة منه في تثقيف جمهور الاسكندرية في حي راقودة الوطني . وهناك خلاف في الغرض من انشائها ، أحقا كان لتثقيف العامة من الوطنيين أم كانت مكتبة « السرايوم » هذه مكتبة خاصة ؟ يميل « برناردى » و « سوزميل » إلى اعتبارها مكتبة عامة أنشئت لسكان ذلك الحى . وينكر عليهما « مافى » فى كتابه « امبراطورية البطالة » ذلك الزعم — لاعتقاده أن البطالة لم يقصدوا إلى تثقيف الشعب الاسكندري خارج حدود المتحف .

وسواء أريد بهذه المكتبة أن تكون عامة أو خاصة ، فما لاشك فيه أنها أفادت العلم عند استقراره في معبد « السرايوم » . وفى عهد « كليوباترة » أهدى « مارك أنطوان » مصر مكتبة ملوك « پرجاموس » ويرجح أن تكون كتب هذه المكتبة قد أضيف بعضها إلى مكتبة السرايوم ، والبعض الآخر أودع فى خزائن معبد القيصر يون .

وبما حققه الدكتور « بطر » أنه فى أوائل العصر المسيحى أنشئت مكتبة لتخلف مكتبة المتحف المحترقة . أودعت كتبها فى (السرايوم) أيضاً ، وعرفت باسم المكتبة الوليدة (٢) . واذن يكون قد اجتمع للسرايوم مكتبات ثلاث : الأولى مكتبة « راقودة » التى أنشأها فيلادلف ، والثانية مكتبة « پرجاموس » كلها أو بعضها ، والثالثة هذه المكتبة المتأخرة التى أريد بها أن تعوض الخسارة الفادحة التى حلت بالعلم من جراء حريق البروكيوم .

(١) راجع صفحة ٥٩ (٢) هذه المسألة غل خلاف شديد بين المؤرخين

وايداع هذه الكتب في السراييوم، دون المتحف كبير الدلالة على أن أبنية المتحف لم تعد صالحة لأن تكون مكاناً للدراسة أو الاطلاع، وأن السراييوم أخذ يحل محل المتحف في الاضطلاع بهذه المهمة، وأن العلم الاسكندري أصبح يلتمس في بعض جهاته، في المكان الذي أعيد فيه حفظ الكتب، أو على مقربة منه.

ونحن لا نرى في وصف بطلر، للسراييوم ما يفيد أن المعبد كان يحتوي على قاعات خاصة بالدراسة العامة، أو أروقة لسكنى العلماء والطلاب. اللهم إلا بعض العبارات التاريخية التي يوردها بطلر عن أكتونيوس، الذي زار السراييوم، وعن روثينوس، الذي شهد تخريب المعبد، فأولها يلحق المكتبة، بالمعبد، وثانيهما يرى أن حجرات الدروس كانت على الأرجح موجودة في الأبنية الملحقة بالمعبد من الخارج.

ولم يرو كتاب النصف الأول من القرن الخامس الميلادي شيئاً قطعاً صريحاً في أمر المكتبة، وأكثرهم وضوحاً هو تيوفيلوس، الذي يذكر أن الأبنية المحيطة بالمعبد بقيت بعد التخریب قائمة بما كان فيها من قاعات الدروس وأروقة السكن، أما المكتبة، فلأنها كانت ملحقة بأبنية المعبد ذاته، فقد دمرت معه، وإن كان قد نجا شيء من كتبها فان بعض المؤرخين (١) يعتقد أن تلك البقية أرسلت إلى روما أو القسطنطينية — بينما يرى البعض الآخر (٢) أن المسيحيين دمروا

المكتبة عن آخرها في ثورتهم على الوثنيين بقيادة تيوفيلوس ،
وهم بذلك ينفون احراق العرب لها .

ويرى ماتر Matter غير هذا الرأي (ويؤيده دكتور «بوتي» Boti)
يرى أن التخريب الذي لحق « السرايوم » كان يسيراً بحيث
أمكن إصلاحه . وبقي « السرايوم » على هذا قائماً محل محل المتخف ،
في أداء مهمته العلمية ، حتى الفتح العربي .

ويشير الغرب إلى « بيت الحكمة » أو « قبة أرسطو » التي
وجدوها ملحقة بأبنية السرايوم (١) ، وفي هذه الإشارة دلالة على أن
فلسفة أرسطو كانت تدرس في « السرايوم » كما كانت تدرس من قبل
في « المتخف » . ومن عجب أن يذكر « ماتر » Matter عن « بليامين
التوديلي » أنه كان لا يزال يشاهد في الاسكندرية في بعض أطرافها
(في السرايوم ؟) في القرن الثاني عشر للميلاد (كذا) ! مدرسة
لأرسطو ليس هي بناء مكون من عشرين ساحة ، تتصل برواق ذي
عمد ، يذهب إليه الناس من كل أنحاء العالم يتلقون حكمة
« أرسطو » ليس . .

ولا نرى مناصاً من الاعتقاد بأن العلم الاسكندري وجد
سبيله بعد حريق البروكيوم سنة ٤٨ ق.م إلى مكان آخر أنسب
لاستقراره . ولم ينتقل إلى السرايوم من هذا العلم على الأرجح
إلا المكونون منه بين دقات الكتب أول الأمر — أما العلم على

(١) انظر توصف الاسكندرية عند الفتح لبطر

أقواه العلماء ، فقد بقى متداولاً في «السيستيا» أو القاعة العامة التي بقيت قائمة بالمتحف بعد حريقه الكبير — ظلت قائمة إلى عهد الإمبراطور «كراكلا» الذي أنزل بالمدينة نوازل عظيمة ، كان منها منعه للناس من الاختلاف إلى تلك القاعة العامة للدرس ، وقد تم تدمير بقية المتحف عام ٢٧٣ م على يد «أورليان» ، وذهبت السيستيا ، وبذلكها لجأ أعضاء المتحف الاسكندري إلى السرايوم ، أو فروا إلى البحر .

وعانى العلم الاسكندري أزمة حادة بسبب اصطدامه بالمسيحية ، فكان من ذلك نزاع عنيف بين العلم الوثني في معاقله الوثنية وبين الدين الجديد .

وشهدت الاسكندرية في القرون التالية لليلاد أشد المحن والثورات التي كان من أثرها ضياع كثير من الثروة العلمية ، واتجهت ثورات المسيحيين على الوثنيين إلى «السرايوم» باعتباره معقلاً هاماً من معاقل الوثنية ، كما اتجهت دون شك إلى غيره من المعابد . وأشجع هؤلاء المسيحيون غيظهم بتدمير الآثار الوثنية . وأقاموا على انقاضها كنائس مسيحية ، وعيشوا بمؤلفات الوثنيين ، أو حاولوا أن يتخذوا منها عوناً وسنداً للدين الجديد .

ومما يؤسف له أن هذا النزاع كان محتمداً لا يعرف سبيلاً إلى الرحمة والشفقة ، مثل المسيحيون فيه بالوثنيين المشتغلين بمسائل العلم أبشع تمثيل . وكان تمثيلهم بالفيلسوفة «هيباشيا» Hypatia ابنة «ثيون» العالم في الرياضيات والجبر ، ومعاونته في أبحاثه العلمية ، وزعيمة

من زعماء الأفلاطونية الحديثة بالغاغاية القسوة — فقد اتهمها غوغاء
المسيحيين بالسحر وقتلوا هاشر قتلة، ويعتبر تمثيلهم بها مضرب الأمثال في
الوحشية، فقد مزقوا جسداتها تمزيقا في أحد محاريب معبد القيصريون،
لا لذنوب سوى أنها وثنية العقيدة، مشتغلة بمسائل العلم والفلسفة.
وأشد هذه الثورات هولا الثورة التي تزعمها نيوفيلوس، في
أواخر القرن الرابع (٣٩١ م)، وفيها حطم المسيحيون المعبد تحطيا
تاما لم يبق على المكتبة، وأن أبقى على بعض الأروقة الخارجية.

بهذا نكاد نجزم بأن آثار العلم الاسكندري في السرايوم، وهي
كل ما كان قد بقي من عتاد الاسكندرية العلى، قد تلاشت في هذا
الخلاف المستحكم انتقاما من الوثنيين، وأن السرايوم كجامعة لم يعد
له وجود بعد الثورة التي قادها نيوفيلوس، والتي لم تبق على
شيء من الكتب ولم تدر وأن امتداد عهد الجامعة إلى الفتح العربى
أمر يصعب تصديقه، إلا إذا قامت عليه الأدلة المادية.

أما عن المكاتب، فقد ظل بعض المؤرخين على عقيدتهم — رغم
ما أثبتت الأدلة القاطعة من عدم وجود مكتبة عامة بالاسكندرية
عند الفتح — بأن العرب وجدوا مكتبة وأحرقوها بعد استئذان
عمرو بن العاص للخليفة عمر بن الخطاب في شأنها. ونحن نحيل
القارىء إلى القسم الثالث، وهو القسم الخاص بالشروح والتعليقات،
فهو واجد فيه بعض ما يشقى الغلة في مسألة كثر حولها اللغط — هي
مسألة اتهام العرب بحرق مكتبة الاسكندرية.

على أن الصراع الذي احتدم بين المسيحيين والوثنيين كان غرضه الأول القضاء على الوثنية باعتبارها ديناً — ولكنه ما لبث أن أصبح يرمى إلى خلق جبهة من العلماء المسيحيين الذين يرغبون في حذف فلسفة اليونان ، ابتغاء استخدامهما في الترويج للدين المسيحي ، إذ لم يكن لهم مفر ، وهم في الاسكندرية ، موطن الحياة العقلية ، من أن يتسلحوا بمنطق اليونان وفلسفتهم وعلومهم ، ليكونوا بذلك أقدر على الاقتناع .

والحركة الفكرية التي خلصت لهذا العصر لم تكن حركة ينظمها سياق واحد ، ولم تخضع لاشراف واحد ، على نحو ما تخضع الحركات العلمية في الجامعات . ومهما يكن من الأمر ، فقد أخرجت هذه الحركة « سنت كلمنت » الاسكندري Saint Clement و « أوريجين » Origene والبطريق « ثيوفيلوس » Theophilus ، وكانوا جميعاً حرياً على الوثنية . وينسب إلى الأول منهم أنه درس الفلسفة ، وجال في بلاد اليونان وإيطاليا ، وبلغ الاسكندرية وأقام بها ، وتزعم المدرسة المسيحية المتفلسفة فيها .

الباب الرابع

الجامعة في العصر الروماني الثاني

(في القرنين الخامس والسادس الميلاديين)

هل ما تزال الجامعة المتحف كائنين؟ - رأى بير جوجيه Jouget - غذاء في اللغة والفلسفة (ثيون) - وهاباشيا - وثيقة جديدة هامة - أساتذة وثييون في الجامعة يافتون علومهم الوثنيين - اعتلاء (زيدو) الوثنيين - حركة نهوض مسيحية - حنايونس العالم بالتوحيد - معارضته الأتلاطونية الجديدة - معارضة الطريق الثامين له - تأريخه لعدة حوادث - اسطقان الفيلسوف يجارب عقيدة الطبيعة الواحدة - أثر حرية الفكر في انقراض التعمور القوي - حركة النهوض القبطية - ظهور أدب قبطي وفن قبطي .

بما لا شك فيه أن المتحف ه خرب بعض الشيء في حريق ٤٨ ق. م ، وأنه إن ظل باقيا إلى أيام عهد و كراكلاء يختلف إليه الناس طلبا للعلم ، فإن هذا الامبراطور منع الجماهير من الذهاب إليه وأغلق قاعة السبستيا . عام ٢١٧ لليلاد - وتم تخريب المتحف في عهد الامبراطور هأورليان سنة ٢٧٣ لليلاد ، وفر علماءه إلى السرايوس ، حيث احتموا فيه . والمفهوم من هذه الحوادث الثابتة أن المتحف لم يعد له وجود بعد عام ٢٧٣ ميلادية .

ويعجب الانسان عند ما يرى بعض المؤرخين يصرون على بقاء المتحف ، والمكشبة الملحقة به حتى زمن متأخر كهذا ، مع قيام الأدلة

على فناء المتحف والمكتبة الملحقة به ، وانتقال الحركة العلمية إلى السراييم .

يقول دبير جوجيه : ما خلاصته أن الاسكندرية بقيت بفضل المكتبة والمتحف حاضرة العلوم والآداب ، ووسطا شهيرا بالبحث والاستقصاء العلمى الدقيق .

وفي العصر البيزنطى (١) ، احتفظت جامعة الاسكندرية بنفس المكانة الممتازة التى كانت لها فى سابق الزمن ، وكانت متاحف الحاضرة المصرية وكلياتها ذائعة الأذى فى كل أنحاء الامبراطورية .

"Capitale savante, lettrée et artiste, Alexandrie avait été durant des siècles, grace à sa **Bibliothèque** et à son **musée**, le centre d'un puissant mouvement scientifique, d'une grande école d'érudition, d'une activité intellectuelle prodigieuse. A l'époque byzantine encore, son **université** conservait sa gloire d'autrefois. Les 'Musées', les académies de la Capital égyptienne étaient célèbres dans tous l'empire."

وأما جامعة الاسكندرية طلاب من أهم الشرق المختلفة ، من فلسطين وسوريا وآسيا الصغرى ، تلقوا العلم فيها على أسانذتها . وكان الاسانذة معروفين فى ذلك الوقت باسم « المنسسطائين » ، يعلمون الطب والعلوم الرياضية والخطابة إلى جانب علوم اللغة والفلسفة .

(١) العصر الرومانى الأخير

ومن علماء اللغة في العصر البيزنطي « ثيودوت » Theodote
الاسكندري و « أوريون » Orion ، ومصنفون آخرون مكثرون من أمثال
« هسيخيوس » Hesychios و « هلاذوا » Helladois . ومن شغلوا
بدراسة الفلسفة « هباشيا » وكانت بارعة الجمال ، عالمة فيلسوفة ،
تلميذ عليها « سينسيوس القوريني » Synesius de Cyrene الذي جمع
كثيرا من المعلومات عن حياتها الخاصة ومباحثها .

ولدينا وثيقة ذات خطر من أواخر القرن الخامس كتبها
« زكري » عن حياة العالم « سفير » Severe تطلعنا على نواح من
الحياة العلمية في الاسكندرية في العصر البيزنطي . تذكر الوثيقة أسمى
« هيراسكوس » و « هورابولون » كأستاذين في الجامعة ، استطاع
أولهما أن يشيع بين تلاميذه من الشبان حماسا بالغاً للدراسة والبحث ،
لا فرق عنده بين مسيحيين ووثنيين . قرب منه هؤلاء وهؤلاء
يطلبون علمه ، واحتدمت المناقشات بين فريق الشبان ، واشتد بينهم
الجدل — ولا سيما في المسائل الدينية .

وكان كثير من الأساتذة في الجامعة في العصر الروماني المتأخر من
الوثنيين الذين لم يمتنعوا المسيحيين من الاستماع إلى علومهم . وكان أثر
هؤلاء عظيماً في الاسكندرية ، تمتعوا فيها — رغم وثنياتهم . ورغم
المسيحية الغالبة على المدينة بمكانة رفيعة في عالم الفلسفة والعلم البحث .
وكانت الفلسفة التي علمها هؤلاء وثنية طبعاً . سمح بدراستها في الجامعة
أخيراً . لأن الحساس الديني الذي منع من دراستها في القرون الأولى
للمسيحية ، يظهر أنه كان قد فتر نوعاً — أو لأن الحرية ربما عادت

سيرتها الأولى في الأوساط العلمية بعد أن حرمتها زمناً طويلاً — هذا ، ولم يخل الأمر من الانتقاص من وقت إلى آخر على الوثنيين وعلمهم . وبقى هؤلاء الوثنيون حملة للعلم الهليني ، وإلى جانبهم كان يوجد علماء من المسيحيين ، اضطرد عددهم منذ أواخر القرن الخامس بسبب اضطهاد الإمبراطور زينوف للأسماندة الوثنيين وتمثيلهم .

وفي أوائل القرن السادس ظهر « حنا » الملقب « فليونس » وهو لغوي وعالم من علماء التوحيد ، ومعلق على فلسفة أرسطو ، ومفكر حر رغم مسيحيته ، وكان يميل بطبعه إلى الأقيسة المنطقية ، والأدلة العقلية . وهو في مؤلفيه « أبدية العالم » و « خلق العالم » La création du monde & L'éternité du monde يميل إلى أنباع آراء أرسطو الحرة . كتب فيها كتب مؤلفات عارض بها الوثنيين والأفلاطونية الحديثة والأورثوذكسية ، إذ كان من المتحمسين لعقيدة « الطبيعة الواحدة » للإسماع ، والدليل على ذلك وضعه كتابه الضخم في التوحيد المسمى L'Arbitre وهو مفقود الآن .

وكانت للفيلسوف « حنا فليونس » مكانة ممتازة في جامعة الاسكندرية ، وكثيراً ما كانت كتابته تثير ضجة لاحتوائها على آراء نسبها بعض الاسكندريين وبعض البطارقة إلى الهرطقة ، وقام البطريق « بنيامين » يعارض آراء « فليونس » في كتابه « البعث » La Résurrection . وفليونس فوق هذا مؤرخ لعدة حوادث مصرية — شهدا بنفسه ، اعتمد عليه بطلار ، مؤلف « فتح العرب لمصر » في كثير من فصوله .

وفي خواتيم القرن السادس الميلادي ظهر أستاذ مسيحي آخر هو اسطفان، الفيلسوف الذي درس وعلق بدوره على مؤلفات أرسطو، وعمل جاهدا على إضعاف عقيدة الطبيعة الواحدة في المسيح، ولم تستعج الاسكندرية منه ذلك، وعاقبه بطريقتيها «دميان» على خروجه هذا، بإعلانه طريداً من الكنيسة الرئيسية، سيما وقد أضر أسطفان على رأيه — وأدى هذا الموقف إلى انقلابه «أورثوذكيا» متطرفا واضطر على أثر ذلك إلى مغادرة الاسكندرية.

وكانت منذ القرن الثالث الميلادي، قد بدأت تدب بين المصريين حركة مناوئة للثقافة الهلينية، ليست الأولى كما نعلم في الاسكندرية، تبعها حركة أحياء للعقائد والتقاليد المصرية القديمة. وقامت في نفس الوقت تقريبا حركات انتفاض مشابهاة في الشرق الأدنى عامة، ترمى إلى الغرض من شأن المدنية اليونانية في سوريا وما بين النهرين وآسيا الصغرى. والمرجح أن يكون الفرس هم الذين أذكوا نارها. وكانت مدن مصر العليا معقل هذه الحركة المعارضة. والحق أنه عند ما قبل الوطنيون المصريون العقيدة المسيحية، خلقت فيهم الديانة الجديدة شعورا بقوةهم وقيمتهم، كان من شأنه أن يحقر الوثنية الأخرى بقية أيما تحقير — وقام رجال الدين المصريون يعطون الجماهير باللغة المصرية بعد أن كانوا يعطونهم باليونانية. وأخذت الكتب الدينية تنقل إلى اللغة المصرية القبطية تباعا، ولم تقف حركة المعارضة عند هذا الحد، بل اتخذ المصريون لأنفسهم فنا قبطيا عارضوا به الفن

الأغريق ، ولكنه لم يخل من التأثير به على كل حال .

وكان انتصار المسيحية على الوثنية في حقيقة الأمر انتصاراً لمصر القبطية (الوطنية) على مصر البيزنطية ، وبدأ أقباط مصر يشعرون بقوميتهم ، وبالدور الهام الذي يحق لهم أن يلعبوه في شئون البلاد كورثة للفراعنة ، وأمتلات نفوسهم كراهية للرومان الذين ظالموا نكلوا بهم وساموهم سوء العذاب .

وبلغت روح التفاخر بعراقة الأصل المصري بين أقباط مصر أعظم شأولها في القرن السادس ، حين أخذ المصريون يشيرون أنهم أقدم شعوب الأرض ، وأن بلادهم اخترعت الكتابة والهندسة فضلاً عن غيرها من العلوم — وبعبارة أخرى أنها مهد المدنية . واعتقد الأقباط اعتقاداً جازماً ، إن خطأ وإن صواباً ، أنه ما من شيء عظيم الشأن في هذا العالم ، إلا كان من خلق متحمسيهم ، وبالفعل هؤلاء في تفاخرهم إلى درجة أخطأت الحقائق المقررة في التاريخ ، فانتحلوا لمصر شخصية الإمبراطور « دقلديانوس » والإمبراطور « ثيودوسيوس » والإمبراطورة « تيودورا » ، وذهبوا في حماسهم إلى اختراع دعوى ظاهرة البطلان مؤداها أن السيد المسيح لم يولد في « بيت لحم » ، وإنما ولد في « هيراقليو بوليس » في الطيبايد ، في صعيد مصر .

وكانت مصر في نظرهم بلاد الله المختارة ، وأقربها إلى قلب المسيح ، وأخلصها لعقيدته . ولا شك في أن تلك الحركة في جملتها إنما هي حركة انتعاش قومي ، بلغت منتهىها من الحدة خارج مدينة الاسكندرية ، وعمت المدن المصرية جميعاً ، وتكررت البلاد للأجانب .

وأنتظمت صلاتها الروحية، أو كادت، بالامبراطورية الرومانية، ولم يبق لها بها من علاقته سوى علاقة التبعية السياسية. وغدونا نرى في مصر منذ القرن السادس الميلادي شعباً مصرياً يحس لنفسه بوجود شخصي مستقل.

وكثيراً ما يلاحظ في الأدب المحلي في القرنين الرابع والخامس الميلاديين كلمة الأهلئ أو القومئ، صفة لكل شيء مصري، من علوم أو آداب أو ديانة — حتى لقد يحق أن يقال أن المسيحية المصرية «كلمة رادفت «القومية المصرية»، وأصبحت علماً عليها.

وفي القرن السادس الميلادي أخذ ظل كل شيء أغريقي أو روماني في النقص؛ ونلاحظ فيما كتب «ديل» Cii. Diehl الأستاذ بالسربون، في الفصل الذي عقده للأدب القبطي في مؤلفه «مصر البيزنطية»، رغبة الأقباط في تجنب اليونانية تجنباً تاماً كان من شأنه أنه قطع الصلة بين مصر والثقافة اليونانية قطعاً نهائياً.

وبدأ الأقباط يغفلون الآداب الأغريقية إغفالاً، ويكتبون أدبهم الخاص بلغتهم القبطية — فيها فدونيوا كتاباتهم الدينية عن حياة القديسين، وكتبوا بعض الأشعار وتواريخ الشهداء وسير مشاهير المترهبين في الأديرة، غير أن الحساس أخذ عليهم طريقهم فيما كتبوا، تجاوزوا الصواب وأخطأوا القصد.

ورغم هذا، فقد ظلت الاسكندرية محتفظة بمكانتها في عالم الفن، فلم يهبط بها فن العمارة، ولم تفارقها مهارة أهلها في صناعة المرمر وفن التصوير، وصناعة الفسيفساء الزجاجية. وظل الأقباط، على

الأرجح ، الأيدي العاملة في هذه الميادين حتى أدرك الإسلام البلاد ،
وحينئذ ساهموا في زخرفة المساجد التي ازدانت بها القاهرة منذ
العصر الطولوني — وهكذا كان الفن الاسكندري مقدمة لبعض فنون
القرون الوسطى الإسلامية في مصر .

وكانت صناعة الورق مزدهرة بالاسكندرية قبل الفتح العربي
بزمن طويل . والورق عماد الكتب كما هو معروف ، وقد برع
الاسكندريون في صناعته ، كما برعوا في تصوير المصورات الجغرافية ،
منذ وضعها « أراتوسين » و « بطليموس » الاسكندرانيان .

وحقق الاسكندريون فن تصوير الكتب ، وزخرفتها وإيضاحها
بالرسوم الدقيقة Miniature ، واستغانت المسيحية بهذه الصناعة على
شرح عقائدها ، كما استفادت صناعة النسيج زخارفها الجميلة من مهارة
المصورين — وكل هذه الزخارف أو جعلها مستمدة من الصور
الدينية المسيحية .

وازدهرت بالاسكندرية صناعة الزجاج والسفن والمنسوجات
الحريرية والكتانية . وعرفت المدينة بطرازها (١) الخاص في العصر
البيزنطي .

(١) الطراز مكان صناعة النسيج

الباب الخامس

آخرى العلم الاسكندري

الفصل الأول

بداية النهاية

آخر الزمان العلم اليونانى — حركة النهضة القويى ومناواة اللغة اليونانية —
 آداب قبطية — شيوخ اللغة البريانية — هي لغة العلم والطب خاصة — سنا القبطى
 يؤلف بالقبطية — ترجمة العهد الجديد — موقف المصريين الأباط من العلم
 الاسكندري — نفر عن علماء هذا العصر — ليس للجامعة وجود فى الغالب —
 المكتبات الخاصة هي اتحاد العلم — الحركة العلمية الحرة تمتلئ فى حنا مكوس
 وصفر ونيوس — بقية من الطب والهندسة والفن والفلسفة والآداب اليونانية —
 ترجمة النوراة إلى البريانية فى مصر — انطونينس العالم بالهندسة والفلسفة .

كان آخر عهد الاسكندرية بالعلم اليونانى فى القرن السادس
 الميلادى ذلك اللون من الجدل الفلسفى الذى اشتد بين أنصار
 المسيحية والوثنيين ، وهو نوع من فقه الدين احتاج إلى الاستعانة
 بالفلسفة والمنطق اللذين راجعت دراستهما فى العصر الرومانى الثانى
 مقترنة بحركة الجدل الدينى أشد الاقتران وأقواء .

وكانت لغة البلاد الرسمية فى العصر الرومانى هي اليونانية ، غير
 أنه منذ القرن الرابع الميلادى ، أخذت روح القومية المصرية فى
 الظهور والقوة . وكان من أثر ذلك أن بدأ رجال الدين المصريين
 يعطون الناس باللغة المصرية . بعد أن كانوا يعطونهم باليونانية

لغة الحكومة والكنيسة الرسمية . وبدأ القبط منذ ذلك التاريخ يخفون
الآداب الاغريقية ، ويكتبون أدبهم الخاص بلغتهم القومية ، فدونوا
بها تأليثهم في حياة القديسين وتواريخ الشهداء ، وكتبوا بها شعرا
ونثرا عارضوا بهما النثر والشعر اليونانيين .

• • •

وسارت اللغة المصرية (القبطية) جنبا إلى جنب مع اللغة اليونانية
التي بقيت لغة البلاد الرسمية إلى ما بعد الفتح العربي بزمان ليس
بالقصير . غير أنه على الرغم من نهوض اللغة القبطية في العصر
الروماني ، لم ينتج بها القبط أدبا ينافس الآداب اليونانية التي ظلت
صاحبة الغلبة والنفوذ — والحق أن اليونانية بقيت بالنسبة لجمهور
الأدباء طوال عصر الانقراض ، ضرورة ثقافية لا غنى عنها ،
وظل الأدباء يكتبون بها نثرا وشعرا . ومن أشهر كتاب القرن الرابع
الميلادي « لوسيانوس » صاحب كتاب محاورات الموتى ، وأخيلاس
ثانيوس ، المؤلف الروائي ، ومن أديبهم صيتا في القرن الخامس
الشاعر المصري « قيرس الاخميمي » . وفي القرن السادس الشاعر
الطبي « كريستودورس » ، ومن علماء هذا العصر المتأخر
« ديسكوريدس » النباتي المصري المعروف ، صاحب كتاب
خواص العسقاثير الذي حرص العرب على اقتنائه ، وصوروه
في العراق .

والى جانب اللغة اليونانية والآداب اليونانية ، كانت هناك لغة
ثالثة هي لغة السريان الذين هاجروا إلى مصر تحت ضغط الغزو

الفارسي على بلدان آسيا الغربية ، واحتسوا في وادي النطرون في غرب
الدلتا ، وعكفوا على العمل في هدمه . ومن عجب أن تصبح لغة
السريان هذه — لغة العلم ، ولا سيما العلم الطبي ، فيها دون سواها كانت
تدرس العلوم الطبية في القرنين السادس والسابع الميلاديين ، وإن
دل ذلك على شيء ، فدلالته قوية على أن هؤلاء السريان كانوا في نقلهم
لعلوم اليونان جبارة ، لم يدعوا منها بلغتها الأصلية شيئاً تقريباً . ثم
جاءت حوادث السياسة الهوج ، وفي أعقابها حوادث الفتح العربي ، فاختفى
من الوجود أو هلك كثير من كتب اليونان ، وعندما بقي منها من السككوز
التي لا يحمل أن تداول ، فاختفت عن الأعين — وكان للسريان على
الأرجح أكبر الأثر في اختفائها ، وراجعت ترجماتهم وارتفع شأنها
وارتفع معها شأن لغتهم ، ولا يبعد أن يكون السريان قد
اشتغلوا على طول هذه الفترة بتجارة المخطوطات ، وأن يكونوا قد
أثروا من وراء ذلك ثراء طيباً — إذ لا شك أن عودة المخطوطات
اليونانية إلى الظهور في عصر النقل الأعظم ، كان عظيم الوقع ، كبير
القيمة ، وكان حرص الخلفاء على اقتناء هذه المخطوطات بالغاً ، فلم
يدخر المغنيون منهم بمحركة نقل العلوم القديمة وسعاً في اقتناء
المخطوطات مهما غلا ثمنها ، إما للنقل منها رأساً ، أو لمراجعة المترجمات
السريانية عليها .

وبلغ من شيوع لغة السريان ومنافستها للغتين اليونانية والقبطية ،
أن ترجم إليها الكتاب المقدس — وكتب بها القسس والعلماء
الاسكندريين مقالاته في الطب ، وغدت السريانية بالاجمال ضرورة

من ضرورات العصر الأدبية ، لا تقل شأناً من حيث هي لغة علم
عن اليونانية ذاتها ، وحذقها كثير من محبي العلم ، وخدموا بها العرب
خدمة جلي في عصر النقل الأعظم .

• • •

وعلى الرغم من قوة هاتين اللغتين ، اليونانية والسريانية ، كانت
لغة البلاد القومية تكافح وتناضل ، لتتخذ لنفسها مكانة تليق بأمة تطمح
إلى الاستقلال ، ونعمل له جاهدة . وما لبثت القبطية أن استخدمت
في الوعظ والصلاة والتأليف . وكتب « حنا النقيوسي » ديوانه
المشهور بها ، وأن يكن قد دون جزءاً منه باليونانية ، وكتب بها
الرهبان توارخ القديسين والشهداء وأخبار البطارقة ، وترجم إليها
« العهد الجديد » .

ولكن الآداب القبطية لم تعد أن تكون آداباً دينية في مجموعها ،
وليس للقبط في حقيقة الأمر آداب يمكن أن يفخروا بها — اللهم
غير قليل من مآثور الحكم وبعض الأشعار .

وظلت غالبية القبط إبان حركة النهضة معزول عن الاسكندرانيين
ورثة العلم اليوناني . ولعلمهم كانوا مايزالون على اعتقادهم القديم بأن
العلم الاسكندري علم وثني لا يحمل بهم أن يتناولوه .

وأدرك العرب الاسكندرية وبها بقية من العلم اليوناني
أفسدها الزمن ، أهم ما فيها مقالات عن طب « جالينوس » ومآثور
من حكم « بقراط » ، وشئ كثير من التنجيم والمعجزات وعلم
الصنعة (الكيمياء) ، وفلسفة ممزوجة بالدين أشد الامتزاج ، ترى

إلى خدمة المثل الأعلى المسيحي ، على أساس من فلسفة أفلاطون وأرسطو .

وكان العلم الديني أهم ميدان جال فيه مسيحيو الاسكندرية وأغلب الظن أن الكثيرة من هؤلاء المسيحيين الذين اشتغلوا بمسائل العلم الاسكندري لم تكن من متعصي القبط ، فقد كره هؤلاء على ما يظهر دراسة فلسفة الاسكندرانيين ؛ ولم تحاول غالبية الأقباط ما حاول غيرهم من استخدام الفلسفة لتقوية العقيدة المسيحية ، خوفاً من أن تول قدمهم فيرمون بالهرطقة ، كما رمى بها « حنا فليونس » في دفاعه عن فكرة « الطبيعة الواحدة » المسيح ، إذ عارضه بالطريق « بنيامين » وسفه من آرائه في كتابه « البحث » — وكان لهم في الدفاع عن مسيحياتهم أسلوبهم الخاص في الاقناع . لهذا كله ، وفد العرب على القبط ، فلم يجدوا بين أيديهم علماً أو فلسفة . وإن وجدوا عندهم دراية بالفنون اليدوية لا تبارى ولا يجحد فضلها .

وجاء القرن الخامس وليس في الاسكندرية مكتبة كبرى عامة بل كان كل ما فيها مكتاب خاصة أشهرها مكتبة عالم يدعى « كرماس » جعل منها خير عوض عن مكتبة الاسكندرية العامة ، وكان يعير من كتبه نخب القراءة والاطلاع في كثير من الرغبة الصادقة في الافادة . وكان الرجل في ذاته مكياً على القراءة والتصنيف ، يجادل اليهود جدالاً عنيفاً ، ويرد على كتاباتهم .

وقد انتفع بعلم « كرماس » ويكتب مكتبته الخاصة ، المؤرخان
« حنا مسكوس » (٥٥٠ / ٦١٩ م) وتلميذه « صفرونيوس » ، وهما
لا يذكران شيئا عن مكتبة عامة كانت بالاسكندرية في ذلك الوقت .
ولا شك أن مبالفتها في تقدير قيمة مكتبة « كرماس » ، وسكوتها
عن ذكر مكتبة الاسكندرية ، بالإضافة إلى صمت غيرهما من المؤرخين ،
دليل قوى على خلو المدينة من مكتبة ذات صفة عامة ، كانت — إن
وجدت — خير عون لهما على البحث والإفاضة .

كتب حنا مسكوس كتابه « مسارح الروح » *Portum Spirituale*
وصكتب « صفرونيوس » مؤلفاته ، ولم يشرقا إلى ذكر مكتبة
« السرايوم » بكلمة يكون فيها فصل الخطاب في هذا الموضوع الذي
طال فيه الجدل ، وعزت الأدلة المادية .

وكان بالاسكندرية خلاف مكتبة العالم « كرماس » مكتبة أخرى
خاصة هي مكتبة « مطران » « آمد » التي ذاع ذكرها في أوائل القرن
السادس . ويذكر الدكتور « بطرس » أن هذا المطران استطاع أن
يجمع كتباً ذات قيمة أثناء مقامه بالاسكندرية ، مما يدل على أن
الاسكندرية كانت في ذلك الوقت سوقاً لتجارة الكتب . وبموت
اختفت هذه المكتبة من الاسكندرية ، حيث نقلت كتبها إلى كنيسة
« آمد » في شمال الجزيرة العراقية (١) .

يضاف إلى هاتين المكتبتين الخاصتين ، مكتبات الأديرة والكنائس .
وكانت الأديرة والكنائس مستودعاً للعلم في ذلك الزمن الذي

(١) بطرس : فتح العرب لمصر — التعريب

ندرت فيه الكتب وتفرقت أبدى سبباً ، ولكن الكتب الوثنية كانت قد فنيت كلها أو جلتها ، ومن غير المعقول أن تحوى الأديرة والكنائس كتباً للوثنيين ، وأغلب الظن أن محتويات هذه المكتبات الكنسية كانت إما كتباً مسيحية بحتة ، أو كتباً دينية استخدمت فيها أساليب أرسطو وأفلاطون في الاقناع ، لا تخرج في موضوعها عن أن تكون كتب دين ، أو علم لا يتعارض مع الدين .

على أن أكثر المكتبات شهرة كانت مكتبة دير « الهانطون » ، ومكتبة « دير السريان » من أديرة الصحراء في غرب الدنيا .

وكان العلم في هذا العصر يعتمد الاعتناء كله على محتويات المكتبات الخاصة ومكتبات الأديرة والكنائس . وكان العلماء أشبه ما يكونون بالهواة ، يقتنى الواحد منهم مكتبة يحرص عليها ، ويعير من كتبها لأصدقائه وعارفيه ، أو يتصل بعالم فيلسوف أو رحالة يحول في أرجاء الامبراطورية يثمد من شتات الكتب في أنحائها المختلفة ، أو يرتاد أديرة الصحراء ينهل مما فيها من آراء تؤيد الدين وتناهض الوثنية واليهودية ، ينتفع الواحد منهم بعلم الآخر ، على نحو ما انتفع « مكسوس » و « صغرونيوس » ، بعلم « كرماس » — بطريقة التلقين التي تسود عادة في عصور التأخر ، حين تندر الكتب ويصعب الحصول عليها بسبب قلتها — أو حين يحول دون الانتفاع بها عامل من عوامل الاضطهاد الديني أو السياسي .

والغالب على الظن أن الحركة العلمية الحرة كانت تتمثل في أولئك العلماء الذين كانوا ينتقلون من مكان إلى آخر ، من أمثال « حامسكوس »

و « صفرونيوس » الجاثلين اللذين ارتحلا من الاسكندرية إلى الجزائر
اليونانية ، وبلغا « روماء » حيث هذب « مسكوس » سكانه « مسارح
الروح » Partum Spirituale ، وهو عبارة عن قصص لشفاء الأمراض
بطريقة روحانية . وكان هذان العالمان صديقين « لنيودور الحكيم »
رئيس أحد الأديرة ، وكان عالما وفيلسوفاً بقدر ما كانت المسيحية
تتيح لرجالها الخوض في أمور الفلسفة . ومن معلّمى هذا العصر
« زويلوس » القارى . « ونكامن » شراح السكتب .



على أن الشيء الذى يستدعى الانتباه هو شيوع « السريانية » كلفة للعلم
في هذا الزمن — فكان لا بد لمن يطلب العلم من أن يحذق لغة السريان .
والعلاقة بين هذه اللغة وبين دراسة الطب وثيقة . وكانت آداب
اللغة السريانية شائعة تدرس في الاسكندرية منذ زمن بعيد قبل
الغزو الفارسى لسوريا وهجرة فريق من علماء السريان إلى مصر
تحت ضغط ذلك الغزو .

والمعروف أن أعظم ما كتب في الطب كان بالسريانية ، فيها
كتب القس « أهرون » الاسكندرى رسائل في الطب أفاد منها العرب
فائدة كبرى ، ويذكر « أبو الفرج بن العبري » أن مقالاته بالسريانية
تجاوزت الثلاثين مقالة .

ويلاحظ على هذا العصر أن رجال الدين فيه كانوا رجال علم ،
ومن هؤلاء « أهرون » الذى تقدم ذكره ، و « سرجيوس الرسغنى »

و « سعيد بن بطريق » المعروف باسم « يوتيوخوس » ، وكانوا جميعاً فقهاء في الدين و علماء في الطب في نفس الوقت .
هذا إلى أن الرهبان في الصحارى كانوا قد أخذوا يكتبون باللغة القبطية المحلية كتباً عن حياة البطارقة ، وعجالات في الخلافات المذهبية ، ولكنهم لم يكتبوا بها كثيراً في التاريخ ، وأشهر ما عرف عن هذا العصر من المؤرخات « ديوان بسكال » ، وفيه وصف لا بأس به لحالة الاسكندرية في أواخر القرن السابع الميلادي . ومن المراجع الهامة في تاريخ مصر بعد فتح العرب كتاب « حنا القيويني » ، وهو من أعظم الكتب التاريخية ، التي لا تزال حافظة لقيمتها العلمية حتى الوقت الحاضر .

وكان معظم الانتاج الاسكندري دينياً ، يعالج موضوعات في الدين ، أو موضوعات في العلم كتبها رجال الدين بروحهم الخاصة في التأليف ، فحين فيها منحي يبعد كثيراً عن أساليب التدقيق العلمي .
ورغم هذا فقد ازدهرت بالاسكندرية مدارس طيبة وفقهية وفلسفية . وكان طلاب العلم من كل صوب ما يزالون يقصدونها ، يتلقون العلم في مدارسها .

وعلى الرغم من أن حوادث الفتح العربي لا بد أن تكون قد قضت على كثير من الآثار الأدبية ، فقد أثر عن « بواص السلتيارى » أنه كتب شعراً هو مرياً من ذى المقاطع الستة في فضائل القديسة « صوفيا » وكتب « صفرونيوس » شعراً غزلياً حن فيه إلى الأرض المقدسة على نسق ما كان يكتبه الشاعر اليوناني « أناكريبون » .

ونحن نعلم أنه تحت ضغط الفتح الفارسي لسوريا ، فرّ جماعة من العلماء السوريين ، واتخذوا أديرة الصحراء في وادي النطرون مستجعا لهم . وهناك عكفوا على ترجمة « التوراة السبعينية » إلى السريانية ترجمة جديدة ، ومراجعة الترجمة السريانية للإنجيل . وزعيم هذه الحركة « توما الحرقلي » و « بولص التلوي » . وكان دير « اثناسطون » المكان الذي قامت فيه هذه الحركة وتمت .

ويلاحظ على الحركة الدينية في هذا العصر بصفة عامة أنها اصطفت بكثير من التلقيق الذي قصده تفريق مذهب ديني على آخر . وهذا العصر في جملته شہير بأنه عصر تفلسف وتفقه في الدين ، وميوله في مجموعها أدبية فصيحة ، ولذلك يصعب أن يتصور الانسان انه كان يجمع إلى جانب ذلك شيئا من المهارة العملية . ويذكر بين علماء هذا العصر اسم « انطونينس » Antoninus الذي أدركه العرب في الاسكندرية عند الفتح ، ويعتبر اسمها « لارشيميدس » و « اقليدس » ، وهو الواضع لمبادئ علم المساحة الحديثة ، يقال انه قاس سرعة المقذوفات ، وابتدع مضخة الحريق ، و « الهيدرومتر » ، وحاول استخدام البخار ، ووضع تصميما عمليا لبناء « الباكيات » Voûtes أخذ عنه « إيزيدور الميليطي » Isidore de Milet أحد مهندسي كنيسة « أيا صوفيا » . وهو أول من حاول استخدام الهواء المضغوط والتيارات الحارة والباردة في تحريك بعض الأشياء ، وبفضل محاولاته هذه أمكن انتفاع الماء من النافورات ، كما أمكن إسالة الدموع والعطور من بعض أجزاء التماثيل المقدسة !

الفصل الثاني

نهاية العلم الاسكندري

تحقيق هذه النهاية

نحوى نهاية الجامعة - كتاب مقارعة الاسكندرية بين الطريق - برودة عطية القيمة - محدثا عنها مايرهوف - الفلاسفة القلاوييون - الفلاسفة المعلقون - اختلافات مذهبية بين المسيحيين - حنا الأجرومي - اسطفان الاسكندري - شيوخ طريقتنا سطو في الافناخ وانرها في البيرو والمسلمين - الحركة الفلية - حركة فلسفية مسيحية تمثلها «حنا الآفامي» و «سرجيوس الرسفي» - اختلاط الفلسفة بالدين - الفارابي يروي شيئاً عن نهاية العلم الاسكندري - أثر الساطرة في حفظ العلم الاسكندري - احتفاظ مدارس حران وانطاكية وحنه إسايور بالتراث الاسكندري - وفاق عامة عن انتقال العلم الاسكندري الى انطاكية وحران - فضل الكتب العربية في الاحتفاظ بالتروة العلمية اليونانية .

غشيت سحابة كثيفة جامعة الاسكندرية آخر عهدها بالحياة . على ما كان لهذه المؤسسة من رفعة المكانة وعلو الكعب ورسوخها في شتى نواحي العلم الانساني . وبقيت تلك السحابة الكثيفة تعرف وجه العلم حطية القرنين الأخيرين من حياة الجامعة ، فتزيد من جهلنا بأمر نهاية هذه المؤسسة العلمية الخالدة . ولقد حفرت هذه النهاية الغامضة العلامة المستشرق الدكتور وماكس مايرهوف M. Mayerhoff إلى كتابة عجالة عظيمة القيمة ، حقق فيها أمر تلك النهاية ، معتمداً على مصادر عربية بحتة . ولقد أمدتنا عجالة مايرهوف ، بتحقيقتين كبيرتين الأولى ، أن رواية قيام جامعة الاسكندرية كانوا شهوداً عين

من العرب ، صادف انتجاعهم للاسكندرية زمن احتضار العلم الاسكندري في أوائل القرن السابع الميلادي . والثانية ، أن هؤلاء العرب ، فوق شهودهم أخريات أيام العلم الاسكندري ، ظلوا أمناء عليه ، حفظوا له ، ونقلوا لآرائه القيم إلى أنحاء من الشرق الأدنى ، حيث قدر له البعث في عصر أحياء علوم الأقدمين من فرس ويونان وهنود ، في خلافتي المنصور والمأمون .

وقد كفانا الدكتور « مايرهوف » Mayerhoff مؤونة بحث هذه المسألة ، وأمدتنا عجالاته عن نهاية الجامعة (١) بمسافية الكفاية .

يقول : يكاد يكون من الحقائق التي أجمع عليها المؤرخون أنه لم تكن بالاسكندرية مكتبة كبرى عامة بعد نهاية القرن الرابع الميلادي ، حيث كانت قد ضاعت معالم تلك المكتبة إبان الصراع الهائل بين المسيحية والوثنية ، على طول القرون الأربعة التي أعقبت الميلاد . وانطلق على تاريخ بطارقة الاسكندرية لمسيو ، جان ماسيرو ، لا يجد هناك مجالاً لحركة علمية يمكن أن تسير على أقدام في مدينة اتابها عواصف هوج من الفتن الدينية ، كان عمادها أكثر العناصر ميلاً إلى التخريب والاتلاف ألا وهو عنصر الغوغاء ، تحركه عوامل خللت من التعقل خلواً أكسبها عنفاً وقسوة بالغين . وقد أثار لنا ماسيرو السبيل بدراسته لورقة بردية على جانب

M. Mayerhoff : La fin de l'école d'Alexandrie d'après (١) quelques auteurs Arabes.

كثير من الأهمية بعده فيها «هورابولون» Horapollon عالم النحو المدارس والمتاحف التي كانت بالاسكندرية على عهده (القرن السادس) ويظهر بأنه من سلالة أسرة كل أفرادها من العلماء الذين تلقوا علومهم في مدرسة الاسكندرية الشهيرة .

يقول مايرهوف : ويعاصر «هورابولون» ، هذا ، عالم آخر هو الخطيب « زكريى » Zachari الذي كان يدرس بالاسكندرية مع زميله سفير Severe الذي أصبح فيما بعد بطريق « انطاكية » . وكان عضواً متحمساً في جماعة دينية مسيحية تعرف باسم « الفليونيين » Philoponois . (نسبة إلى فيلون ؟) ، كان دأبها مناوأة الاساتذة والطلاب الوثنيين ، والانقضاء على المعابد الوثنية من وقت إلى آخر ، وأعمال معاول الهدم فيها — كما يذكر أيضا أن شباب الشرق الأدنى كان ينفذ على الاسكندرية لدراسة الحقوق والطب والرياضيات والفلسفة والخطابة .

ومن المعروفين بتأليفهم في خواتيم عصر الانحلال « أمنيوس بن أرمياس » . وهو فيلسوف فذ من فلاسفة نهاية القرن الخامس الميلادى وأوائل القرن السادس . وهو اثرمن الذي يحدد آخر العهد بأخبار جامعة الاسكندرية . وكان على رأس جماعة فلسفية تناولت مؤلفات « أرسطو » بالشرح والتعليق ، وتسمى أشباغة بأسم الفلاسفة المعلقين ، ومنهم : « سيمبليكيوس » Simplicius و« دماسكيوس » Damascius و« اليميودور » Olympiodore الصغير

و « أسكليبيوس » Asklepios و « حنا فليپونس » Jean Philipponus ، وكان كل هؤلاء الفلاسفة أول أمرهم وثنيين ، ما لبثوا أن تحولوا بعد زمن إلى المسيحية ، وأصبحوا أعوانا لها ، أكثر حماسا من أبنائها الأقدمين . وشهدت الاسكندرية في منتصف القرن السادس الميلادي خلافات مذهبية بين المسيحيين أنفسهم ، وظهر بها ثلاثة بطارقة ، قوى النزاع بين اتباعهم حتى اتخذ شكلا عنيفا ، وتجلت في هذا العصر كراهية الأقباط الوطنيين للحكم البيزنطي والكاثوليكية الرسمية .

•••

ومن أشهر شخصيات القرن السادس الميلادي بالاسكندرية « حنا فليپونس » وهو المعروف عند السوريين والعرب بأسم « حنا الأجرومي » (Le Grammairien) ويعتبر حياته غموض كبير ، ولكن من المعروف أنه تزوج من الاسكندرية في أول القرن السادس ، واستمع « لامونيوس بن أرمياس » ، ووضع أول تعليقاته على فلسفة « أرسطو » ، حوالي ٥١٢ للميلاد ، ويحمل تعليقه المسمى « الطبيعة » تاريخ : ١٠٠٠ باخون من عصر الشهداء — ٥ مايو ٥١٧ ميلادية . وعلى هذا تعليقه المسمى « ما وراء الطبيعة » ، وهو لا يعرض في كتاباته بنانا إلى الآراء المسيحية . وهذا ما حدا « بجودمان » Gudeman إلى اعتبار « فليپونس » وثنيا بقى على وثنيته في ذلك العصر المسيحي حتى أرغم على اعتناق المسيحية سنة ٥٢٠ ميلادية . وبلغ مجموع تعليقاته على « أرسطو » أحد عشر تعليقا ، عدا ماله من التصانيف في قواعد اللغة الاغريقية والعلوم الرياضية . ومن

المحتمل أنه كان استاذاً من اساتذة جامعة الاسكندرية، ما لبث تحول
إلى المسيحية ووضعه كتاباً هاماً ضد التعاليم الوثنية أن أكسبه مكانة
سامية وشهرة فائقة. ومؤلفه «خلود العالم» Sur L'Eternité du Monde
حرب على الافلاطونية الحديثة. وهذا السفر مؤرخ في عام
٥٢٩ م، وهو نفس العام الذي أغلق فيه «جستيان» الامبراطور
مدارس أثينا الفلسفية. وشرذ أتباع «بروكلوس» Proclus
وه أفلوطين، Platon الذين كانوا ما يزالون يلقنون تعاليم الافلاطونية
الحديثة في الأكاديمية الأثينية شر مشرد. ولم يلبث «فليونس» أن
وضع كتابه De Opificio Mundi الذي دافع فيه دفاعاً مجيداً
عن كيان المسيحية وتحدى الآراء الدينية الوثنية. وكان في كل
كتابات يتبع أسلوب «أرسطو» في الاقناع بصحة الآراء الدينية
المسيحية، فكان بذلك أول من أخضع الدين المسيحي للقوانين المنطقية.
ومن بعده لعب المنطق دوراً هاماً بين اليهود والعرب المسلمين
والمسيحيين اللاتينيين في العصور الوسطى، وتاريخ حياته غير معروف
على وجه الدقة. ولكن «فورلاني» Furlani أثبت حديثاً أن كتاب
«فليونس» إلى الامبراطور «جستيان» دفاعاً عن فكرة الطبيعة
الواحدة للمسيح Le Monophysisme كان حول ٥٥٦ م.
ويعتبر المؤرخون السوريون والمؤرخون العرب حنا الأجرومي
أصدق مثل للحركة العلمية الاسكندرية، وآخر رجالاتها.
ويليه في نباهة الذكر «اصطفان» الاسكندري الفيلسوف السفسطائي،
والعالم الفلاسكى الذى عاش في أواخر القرن السادس. والذي انتقل

فما بعد إلى القسطنطينية يعلم هناك . وتاريخه لا يقل غموضا عن تاريخ « فليونس » ، عرف العرب اسمه عند فتحهم لمصر مقرونا ببعض الأسرار الكيماوية والتنجيم .

ويختلف اسم « أسطفان الاسكندري » هذا باسم « أسطفان » الطبيب الآثيني مؤلف « المحاضرات الإمبراطية » ، وصاحب التعليقات على بعض تصانيف « جالينوس » الطبيب الاسكندري .

أما « فليونس » فقد ثبت أنه ليس الجامع للمقالات الطبية التي ترجمت إلى العربية . وقد نفي الدكتور « تمكين » التركي نسبة كتابين يونانيين من كتب الطب إلى (فليونس) اعتاد الناس نسبهما إليه (١) . والحق أننا لا نكاد نعرف شيئا عن جامعة الاسكندرية في القرنين السادس والسابع الميلاديين سوى ما يذكره « حنين بن اسحق » من أعظم الناقلين لعلوم الاسكندرية في صدد نقله لمقالات جالينوس إلى السريانية والعربية . من أنه قبل الفتح العربي بقليل . تضاعفت جهود الأطباء الاسكندريين على جمع سبعة من مصنفات « الطبيب جالينوس » أصبحت أساسا ثابتا للدراسات الطبية .

ولم يكن للحياة العلمية من مظهر في المدينة في القرن السادس الميلادي ، سوى جماعات كانت تتذاكر بعضا بما كان « جالينوس » قد كتب في الطب . وكان هؤلاء يقومون في الوقت نفسه بنقل هذه المقالات إلى اللغات الأخرى ، من غير كبير تقيد بتعاليم « جالينوس » نفسها .

(١) مايرهوف : نهاية مدرسة الاسكندرية

ومن اشتركوا في هذا العمل الطبي آنف الذكر ، حنا فليونس ،
و أسطفان الاسكندري ، و « جسيوس » ، Gessius ، و « بيلاديوس » ،
Palladius و « مارينوس » ، Marinus ، وقد علقوا جميعا على مؤلفات
أبقراط و جالينوس كل بمقدار .

هذا في ميدان الطب ، أما في ناحية الفلسفة ، فقد نشأت بالاسكندرية
بعده أمونيوس سكا ، و أتباعه ممن وضعوا النواة لفلسفة الاسكندرية ،
مدرسة فلسفية مسيحية ، كان من أشهر فلاسفتها في القرن السادس
الميلادي الفيلسوف المسيحي السرياني « يوحنا الافامي (١) » ، والطبيب
« مرجيوس الرسعني » (٢) المعروف باسم « ثيودوسيوس بولس »
Theodosiopolis ، الذي نقل عددا كبيرا من مؤلفات « جالين » إلى
السريانية .

و أنتجت المدرسة نفسها في القرن السابع الميلادي أطباء
المصنفين « بولس الأجايني » Paul d'Aeginae و « أهرون »
Ahrôn صاحب « الحيل الميكانيكية » . ومن أشهر ما كتب هذا
الآخر كتابه « سبعة كتب في الطب » Sept livres de Médecine
باللغة اليونانية ، و كتابه الموسوم Les pandectes médicales باللغة
السريانية ، وقد ترجم إلى العربية وعرف فيها باسم « المجموعة الطبية »
وكان له أثره المحسوس في الطب الاسلامي في أوائل عهد العرب
بالاشتغال بالعلوم الطبية .

ويجدر بنا أن نعرف أنه بعد أقول نجم الفلسفة الوثنية بظهور

(١) Yuhannan d'Apamé (٢) رأس عين Râs 'Ain Sergius de

المسيحية وتغلبيها على كل ما هو وثني من علم أو فلسفة ، خضعت روح البحث العلمي في الاسكندرية لتعصب ديني ، اتخذ بعض الأحيان أشكالا غاية في القسوة والعنف .

ومما قد نلذ للانسان معرفته ، أن الحججة الذي يحدثننا عن جامعة الاسكندرية ومدارسها المنحلة ، في عصر من عصور الاضطراب والقوضى والركود العلمي ، هو المؤرخ العربي المسلم ، والفيلسوف البغدادى « الفارابى » فى منتصف القرن العاشر الميلادى (٩٥٠ م) . ومن سوء الحظ أن يكون كتابه عن الفلسفة اليونانية الذى كان يعرف باسم : *Sur les débuts de la philosophie grèque* مفقودا الآن — وصلتنا منه بعض عبارات تضمنها كتاب « تاريخ الطب » المعروف باسم « عيون الانبياء » لابن أبى أصيبعة — يقول الفارابى : « أن أعبأ بطور المسيحيين فى حربه على فلسفة الوثنيين وفلسفة أرسطو خاصة فى القرن السادس ، أباح دراسة كتب المنطق لارسطو حتى مسألة الاشكال الوجودية » *Des Figures de l'Existence* ، وحرّم ما عدا ذلك لتعارضه مع التعاليم الدينية المسيحية . ومن هذا نفهم أن الفلسفة أخذت منذ ذلك الحين تروح فى قيد شديد ، وظل الحال كذلك حتى ظهور الاسلام . ويضيف الفارابى : أن أستاذه المسيحى « يوحنا بن حيلان » *Youhannan b. Hailân* رفض أن يعلمه فصولا بذاتها من علم المنطق لارسطو ، كان محظورا على الفلاسفة الاسكندريين فى ختام القرن التاسع الميلادى تعليمها لغير المسيحيين — ثم غدا مباحا تعليم هذه الفصول بذاتها فى وقت ما لطلاب العلم من غير المسيحيين .

والظاهر أن الحركة العلمية كانت منذ القرن السادس وقفا على رجال الدين المسيحيين — ولا غرابة فقد كان سرجيوس، وءأهرون، قسيسين يعقوبيين . ولا يعزب عن البال أن انتشار النسطورية في آسيا الغربية، وامتدادها إلى جوف الأمبراطورية الفارسية الساسانية، أيقظ في تلك الأرجاء رغبة صادقة في العلم اليوناني في شكله المحلي السرياني . وكان قد حدث عام ٤٨٩م أن أمر الإمبراطور زينو Zenon بتحطيم المدرسة العلمية النسطورية التي كانت مزدهرة في «أداسيا» (الرها)، فلم تلبث أن قامت على إثرها مدرسة مماثلة في نصيبين Nisibis ببلاد الفرس .

وعاصرت هذه المدارس مدرسة طيبة ذات بال قامت في «جنديسابور» وظلت عامرة حتى القرن التاسع، وفيها تخرج كثير من الأطباء الذين خدموا بلاط الخليفة العباسي في بغداد وكلهم من المسيحيين . ولا يشق التاريخ غلطنا عن حالة الاسكندرية قبل الفتح العربي مباشرة، وما كانت فيها من المدارس، ولا هو يطلعنا على مدى غناء الدراسات الفلسفية والطبية فيها، ولا نكاد ندري مقدار ما كان جمهور المدينة العريقة يفيد من كتب المكتبات الخاصة فيها . ولقد استطاع «حنين بن اسحق» بعد ذلك بزمان أن يشتري كثيراً من المخطوطات الأغريقية لمكتبته الخاصة ببغداد . وهي المكتبة التي كان لها شأن كبير في حركة الترجمة والنقل إلى العربية .

هذا — والمكتب العربية والفارسية التي تعرضت لوصف حال الاسكندرية قبل الفتح العربي تحوى كثيراً من الأغلاط في التواريخ،

وتحاطب خلطاً ظاهراً عند الكلام على بعض الشخصيات ، فقد جعلت من « حنا فليونس » أو « حنا الأجرومي » شخصاً عاش حتى شاهد حوادث الفتح العربي (٦٤٢ ميلادية) واتصل بالقائد عمرو بن العاص . وقام الدليل على خطأ هذا الزعم ، ونفاه فيمن نفوه « فورلاني » الايطالي — ومن عجب أن يجعل منه المؤرخ الفارسي « ظهير الدين البهقي » (١١٧٥ م) شخصاً من الديلم عاش حتى أدرك عصر معاوية بن أبي سفيان (٦٦١ / ٦٨٠ م) ، وهو حين يزعم ذلك ، يعتمد على وثيقة مكذوبة وجدت في جيزة طيب مسيحي من طوس في بلاد الفرس ، قيل إنها من « علي بن أبي طالب » إلى « حنا فليونس » خطاب تقدير ورعاية لجهوده العلمية ؛ اطلع عليها « البهقي » ثم ساق روايته . وتضيف الرواية إلى ذلك أن الأمير « خالد بن معاوية » تلمذ على « حنا فليونس » هذا ، وتلك رواية شائقة حقاً ، ولكنها لا تعتمد على أي سند صحيح . ولا يخلو من الطرافة أيضاً ، ما يذهب اليه « عبيد الله بن جبرائيل » الطيب ، في مؤلف له عن الطب مفقود الآن ، من أن « حنا فليونس » كان ملاحاً يقوم بالخدمة في قارب صغير ، كان يروح ويغدو بين الاسكندرية وجزيرة فاروس الواقعة أمامها ، وكان في غدوه ورواحه ينقل العلماء الأفاضل (علماء الأكاديمية الاسكندرية) ، ويفيد من علمهم أيما فائدة ، بالاستماع إلى أحاديثهم ومحاوراتهم ، حتى أن ذلك أيقظ في نفسه شغفا فائقا بالاطلاع والمذاكرة . ولكن شكاً كبيراً داخل وحشاً ، أول الأمر في مقدرة على الاضطلاع بأعباء العلم ، غير أن طول تفرسه في غلة كانت تحاول

أن ترقى إلى قمة مرتفع، أخذت تصعد ثم تسقط، ولم تزل بين صعود وسقوط، لا تعرف للبلل سيلا، حتى استطاعت بفضل المثابرة أن تدرك غايتها. — رأى ذلك قنارت همه، وسرعان ما باع قاربته وتفرغ للأشتغال بالعلم، وبدأ جهوده بدراسة قواعد اللغة، ومن هنا جاءت تسميته باسم حنا الأجرومي « النحوي » (كذا)

• • •

درس الأستاذ ماكس مايرهوف، مسألة فناء جامعة الاسكندرية، وخص الكتب العربية بمزيد العناية مبتدئا بتاريخ ابن عبد الحكم « فتوح مصر » (٨٧١م) ومنتها بالخطط التوفيقية لعل باشا مبارك. وقد استطاع العثور على مذكرات شخصية هي بمثابة الوثائق، أمكنه أن يستخلص منها حقائق أربع ذات بال.

الأولى: عبارة منقولة من كتاب لابي نصر محمد « الفارابي » (٩٥٠م) مفقود الآن كان يبحث في أصل كلمة فلسفة تفيد أنه: بعد خضوع البلاد للإسلام، انتقل مركز العلم من الاسكندرية إلى أنطاكية، وهناك استقر طويلا حتى هلك معظم رجاله غير واحد كان من تلاميذه رجلان هجرا أنطاكية يحملان كتبهما، أحدهما من مواطني « حران »، وهي بلدة في أعالي أرض الجزيرة — والثاني من « مرو » في بلاد العجم، وكان من تلاميذه هذا الأخير « ابراهيم المروزي » و « يوحنا بن حبلان »، أما تلاميذه « الحراني » فكان منهم القس « اسرائيل » و « الكوري » (والكلمة على الأرجح تحريف للاسم السرياني « كيوريه » Qiyôrê أو « غيرس » Cyrus)

وهذان الأخيران رحلا إلى بغداد حيث انكب إسرائيل على ديانتهم
انكبابا ، أما الكويرى فقد ابتدأ يعلم الناس ، في حين انصرف
ابن حيلان بدوره إلى أمور الدين — واستقر « المروزي » ببغداد
وكان من تلاميذه « متى بن يونان » .

والثانية : تروى أن « الفارابي » كان نفسه تلميذا ليوحنا بن حيلان ،
ويؤكد هذا القول نفسه « ابن سعيد » المؤرخ العربي الأسباني في كتابه
طبقات الأمم Categories des Nations . ويشير « المسعودي »
صاحب « مروج الذهب » إلى ذلك عند كلامه عن الفلسفة في كتابه
مفقود بما معناه : « نحن تكلمنا عن الفلسفة وتحديداتها وانقساماتها ،
وذكرنا كيف انتقل مركز العلم (١) من أثينا إلى الاسكندرية ، ولأى
الأسباب كان ذلك الانتقال ، كما انتقل بعد ذلك بزمان ليس بالقصير
في خلافة « عمر بن عبد العزيز » من الاسكندرية إلى انطاكية ، ثم
إلى « حران » في زمن « المتوكل » العباسي ، وكيف انتهى العلم في
زمن « المعتضد » إلى عالين هما « الكويرى » و« يوحنا بن حيلان » الذي
قضى نحبه في بغداد في حكم « المقتدر » ، ومنهما إلى « ابراهيم المروزي »
ثم إلى « أبي محمد بن كرتيب » و« أبي بشر متى بن يونس » وهما
تلميذان للمروزي . وينسب إلى « متى » أنه علق على كتب « أرسطو » في
المنطق ، ذلك التعليق الذي لا يزال مرجعا من مراجع العصر الحاضر .
وتوفي « متى » ببغداد في خلافة « الراضى » ، فانتقل العلم إلى
« أبي نصر محمد بن محمد الفارابي » تلميذ يوحنا الذي كانت وفاته

(١) « مجلس التعليم » في النص الأصلي

بدمشق في رجب (٢٣٩ هـ / ٩٥٠ م) وهو أشهر من يرجع اليهم في الفلسفة من علماء العرب ، لم يزه فيها غير مسيحي من بغداد هو « أبو زكريا يحيى بن عدي » .

ويميل الدكتور مايرهوف إلى الاعتقاد على نص المسعودي أكثر من ميله إلى الاعتقاد على النص المنسوب إلى « الفارابي » ، ذلك لأن نص المسعودي في هذا الصدد أدق ، من حيث تحديده للزمان الذي تم فيه انتقال العلم من الاسكندرية إلى الشرق الأدنى .

أما الحقيقة الثالثة التي تهمننا في التدليل على انتقال مركز العلم من الاسكندرية ، فهي نص موجود في كتاب محفوظ بدار الكتب المصرية رقم (٤٨٣ ط ١) لعل بن رضوان ، طبيب الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله ، في الصفحة ٧ سطر ٤ وما بعده ما يفيد أن الأباطرة عارضوا بشدة حركة الاشتغال بالعلوم والفنون الطبية ، وأن الخلفاء على العكس من ذلك شجعوا هذه الحركة ، وأن الدراسة الطبية في الاسكندرية كانت قبل الفتح العربي تشمل أربعة مقالات لا بهراط ، وست عشرة مقالة لجالين ، وأن تلك الدراسة استمرت حتى زمن « عمر بن عبد العزيز » ، وفي هذا يتفق « ابن رضوان » مع غيره من الكتاب في تحديد الوقت الذي انتهت فيه الدراسات العلمية بالاسكندرية . والحقيقة الرابعة يعيها لنا كتاب « عيون الأنباء » لابن أبي أصيبعة ، وخلاصتها أنه كان بالاسكندرية في ولاية « عمر بن عبد العزيز » على مصر معلم للطب هو « عبد الملك بن أبحر الككناني » وكان يدرس في

الاسكندرية قبل فتح العرب لها ، ثم تحول إلى الاسلام على يد
عمر بن عبد العزيز وإلى مصر ، وأصبح له صديقا حميما . ولما أن صارت
الخلافة إلى عمر بن عبد العزيز ، وسكن الشام بحكم ما آل إليه من
خلافة المسلمين ، تحول مركز العلم إلى انطاكية ، حران ، وبقيت الصلة
وثيقة بين الخليفة و ابن أبحر الكنانى ، الذى أصبح طيبا خاصا له .
وهذه الرواية وإن كانت تتفق مع ما يذكره بعض المؤرخين ،
إلا أن بها اضطرابا ظاهرا ، هو أن ابن أبحر أدرك العصرين البيزنطى
والاسلامى ، وعاش حتى خلافة عمر بن عبد العزيز (٩٩ هـ) ، ولو
صح هذا ليفى عمر ، ابن أبحر ، على المائة . وفضلا عن ذلك فالرجل
يحمل اسما عربيا بحتا ، وينسب إلى قبيلة كنانة — التى لم تهجر
قط إلى مصر .

وتكاد تتفق المصادر الأربعة المتقدمة على أن مركز الثقافة اليونانية
ظلى بالاسكندرية مدة من الزمن بعد الفتح العربى ، وأنه انتقل منها
مهاجرا إلى انطاكية وحران حوالى سنة ٧١٨ ميلادية فى خلافة
عمر بن عبد العزيز ، وأن ذلك لم يكن بدافع القضاء على مكانة
الاسكندرية ، وإنما كان بحكم انتقال الخليفة إلى مقر حكمه فى الشام .
ولم تكن دمشق بأصلح الأماكن لتوطن فيها الحركة الثقافية ، لأن
العلم اليونانى كان قد وجد سبيله قبل هذا الوقت بزمن إلى معقلين
هامين ، هما أنطاكية وحران .

القسم الثاني

في النقل عن الاسكندرية

• وتأثر العقل العربي بعلومها •

الباب السادس

في النقل عن الاسكندرية

الفصل الأول

نقل اليعاقبة والنساطرة والبربر

الاختلاف بين المسيحيين على طبيعة المسيح — اليعاقبة والنساطرة وأثرهما في
الانفصال والنقل — البربر — وحركة النقل — امتزاج الفلسفة بالدين — المذهب
الاسكندري في الفلسفة وانتشاره في العراق وفارس — دراسة العرب له — آؤه
في التصوف الاسلامي — المسيحيون يخرجون كتباً دينية دعاتها الافلاطونية
الحدیثية — بعض النقلة من البربر — البربر هم الوسطاء بين اليونان والعرب
— النساطرة ونقل الطب الاسكندري — جامعة حران تحتفظ بالعلم اليوناني حتى
عصر النقل الأعظم .

انقسم النصارى فيما بينهم شيعاً اختلفت على طبيعة المسيح عليه
السلام ، فكان منهم « اليعاقبة » الذين انتشروا في مصر والنوبة
والحبشة ، وهـ النساطرة الذين انتشروا في العراق وفارس وانطاكية ،
لكل منهما رأي في المسيح : فاليعاقبة يعتقدون أن المسيح هو الله :
امتزج الانسان والله وكونا « طبيعة واحدة » — أما النساطرة
فيعتقدون أن للمسيح طبيعة متميزة تمام التميز عن طبيعة الاله :
فطبيعة المسيح « ناسوتية » (بشرية) صرفة ، وطبيعة الاله ،
« لاهوتية » صرفة ، ولا امتزاج بينهما البتة (١) .

وأدى هذا الانقسام إلى جدال شديد في هذه المسألة وغيرها

(١) نظرية الاتوتمين في المسيح

من المسائل المتفرعة عنها ، ولجأ كل فريق إلى المحاجة والمساجلة ،
يزيد التفوق على الفريق الآخر .

وكان اليعاقبة يحكم وجودهم في مصر ألصق بالفلسفة اليونانية
المصرية ، وبعبارة أخرى ألصق بفلسفة أفلوطين ، الاسكندري .
وسارع رجال منهم إلى الاستفادة منها في تقوية حججهم أمام
مخالفهم من النساطرة والوثنيين على السواء . واعتنى بعض رجال
الدين المسيحي مذهب الاسكندرية الفلسفي ، كالأب « اوغسطينوس »
فبدأ بذلك عصر جديد امتزجت فيه الفلسفة بالدين ، تؤيده وتناصره ،
وأصبحت الاسكندرية الوسط الطبيعي لهذا الامتزاج ، ففيها اجتمعت
آراء الغربيين والشرقيين على ما بينهما من تباين ، وحنمت الضرورة
هذا الجمع بين آراء الشرقيين ، ومعظمها الهام وتصوف ، وآراء
الغربيين ، وقوامها التفكير والتأمل — ووجد المسيحيون في فلسفة
الاسكندرية اجتماع هذين العنصرين معا . وانبعث عن الاسكندرية
امذهب والافلاطونية الحديثة ، قويا من جديد ، اعتنقه اليعاقبة وكأئنا
أخذوا على عاتقهم نشره في الشرق الأدنى ، فانتشر بادية الامر في
انطاكية ، حيث كثرت جدل اليعاقبة مع النساطرة ، ومن ثم تسرب
المذهب إلى نسطرة الموصل والعراق ، وجد سبيله إلى فارس .
وجاور العرب في العصر الأموي ، فكان لهم به علم — فلما أن مالت
نفوسهم إلى تعرفه ، لما فيه من تصوف ظاهر ، أخذوا فلاسفة
المسلمين من المعتزلة والمتصوفة ودرسوه ، وقروا به حركاتهم —
وهكذا كان لبعث هذا المذهب أثر واضح في الاسلام ، كما كان له

أثره البين في المسيحية ، في مصر وفي خارجها .

« ولما انتصرت المسيحية ، وجاء « جستنيان » وأغلق المدارس
اللاتينية . واضطهد الفلاسفة ، فمنهم من فر ، ومنهم من تنصر ،
أخرج المسيحيون كتباً في الأفلاطونية الحديثة ، مصبوغة بالصبغة
النصرانية ، ككتاب « ديونيسيوس » Dionysius الذي ألفه
« أفلوطيني مجهول » ، في منتصف القرن السادس للمسيح باسم
(ديونيسيوس) ، ادعى أنه من تلاميذ بولس الخواري ، وقد شرح فيه
أسرار الألوهية ودرجات عالم الملكوت ، والكنيسة السماوية على
المذهب الأفلوطيني الاسكندري ، وصار من ذلك الوقت عمدة
للمسيحيين — ثم دخل هذا المذهب في الاسلام ، عن طريق
فريق من المعتزلة والحكام والمتصوفة ، ومنهم أخذت جل أفكارها
جماعة « إخوان الصفا » .

وقام السريانيون بنصيب كبير في نقل آراء الاسكندريين في
الفلسفة لأمامهم باليونانية والعربية معاً . واليهم يرجع الفضل في ذبوعها
بعد اليعاقبة الذين أثاروها لأول مرة في جدلهم الديني مع النسطوريين .
أذاعوها في العراق وما جاورها — وأشهر الناقلين من اليونانية إلى
السريانية « أبو الفرج بن العبري » مؤلف كتاب « مختصر الدول »
الذي وفد في وقت ما على الاسكندرية ، ودرس فيها بعض العلوم
اليونانية : و « ابن الناعم » الذي نقل من السريانية إلى العربية كتاب
« فورفيروس الصوري » (بروفيري) ، أحد تلاميذ أفلوطين الاسكندري .
وقد طبع هذا الكتاب في برلين ١٧٨٢ م .

وظل السريان حملة للعلم اليوناني إلى ما بعد تمام انتشار الاسلام في الشرق الأدنى . وبقيت « حران » معقل الدراسات اليونانية من رياضة وفلك وفلسفة حتى العصر العباسي ، حيث اشتغل كثير من علماءهم نقلة للآمون من اليونانية والسريانية إلى العربية . وكانت السريانية فضل حفظ مادة الكتب اليونانية التي انعدم أصلها . وعلى ترجماتهم لكتب الفلسفة اعتمد العرب عند أول اشتغالهم بهذا العلم . وقد كان السريان نقلة مدققين في كل ما نقلوه من علوم المنطق والطب والطبيعات والرياضيات ، أما الروحانيات فقد نقلوها نقلا معدلا بحيث أصبحت تلائم تعاليمهم المسيحية ، وهم في هذا المسخ جعلوا من أفلوطين أحد مترهبهم ، وأسكنوه في البراري منعزلا يتعبد في معبد أقامه لنفسه (كذا) — ونحا نحوه المسلمون عند ما راحوا ينقلون بدورهم ، فقد أسقطوا من الروحانيات اليونانية كل ما يخالف تعاليم الاسلام ، غير أنهم حرصوا على نسبة المذهب إلى صاحبه أفلوطين الاسكندري ، الذي أطلقوا عليه اسم « الشيخ اليوناني » .

ويعتبر « سرجيوس الرسفي » المتوفى سنة ٥٣٦ للميلاد من أشهر الناقلين . ترجم عن اليونانية كثيرا من الكتب ، أخصها رسائل لأرسطو وفورفيروس وجالينوس ، ووضع في علم المنطق رسالة ناقصة وصلنا منها مقالات في الجنس والفصل ، والإيجاب والسلب ، والمقولات العشر . وله غير ذلك رسالة فلكية تبحث في حركة الشمس وفي تأثيرات القمر .

وهو عند اليعاقبة والنسطوريين عميد الباحثين في الطب اليوناني
والمنطق والفلسفة — ذاعت كتبه بينهم ذيوعا عظيما .
ومنهم غير « الرسعني » « حنين بن اسحق » « وابن أخيه ،
« وابن الناعمي » . ويتبين فضل النساطرة في نقل علم الطب
بوجود خاص ، وهم حلقة الاتصال بين الطب اليوناني والعرب . وأشهر
الناقلين منهم إطلاقا « حنين بن اسحق العبادي » الذي كان في وقت
ما في العصر العباسي زعيم المدرسة الطبية في بغداد .

الفصل الثاني

فيما نقل العرب عن الاسكندرية

الطب - الكيمياء - الفيلسفة - الهندسة - الجبر - الجغرافة - الفلك

في الطب والكيمياء

كان للطب شأن عظيم في عصر البطالمة ، وكانت مباحثه متنوعة .
عندهم . وأنجبت الاسكندرية أشهر جراحين في العالم القديم فاطبة ،
هما : هيروفيلوس ، و : إيراسستراتس ، ، وعلى ايديهما تقدم فن
التشريح تقدما عظيما في المتحف الاسكندري .

ولما أدرك الضعف جامعة الاسكندرية ، وشغلت عن متابعة
التقدم العلمي بالفلسفة في عصورها المتأخرة ، انحط شأن الطب
واعتراه قصور بين ، تناول مادته وطريقة تدريسه .

وصادف العرب عند فتحهم للاسكندرية ، آخر ممثل للدرسة
الطبية ، وهو : بولس الأجايني^(١) ، يلقى محاضراته التي لم تعدت
عشرة مقالة مأثورة عن : جالينوس ، ومقالات جالينوس هذه كانت
تعتبر الحجة لدارسي الطب جميعا . ولم يتعد منهج دراسة الطب
بجامعة الاسكندرية في آخريات أيامها تلك المقالات .

وهكذا صادف العرب الطب الاسكندري في آخر مراحلها ،

Paul of Aeginae (١)

ولم يدركوا شيئا من الآثار الطبية القديمة لتقدم العهد عليها .
وأول ما نقل العرب من طب الاسكندرية مقالات جالينوس
هذه ، وما أثر من حكمة ، بقراط ، ، وخلاصة آراء د بولس
الاجانيطى ، ، ولا سيما فى فن التوليد .

ويختلط العلم عادة فى عصور الضعف بكثير من الخرافة —
والمرجح أن يكون العرب قد نقلوا الطب الاسكندرى مشوبا بالتنجيم
والشعوذة والسحر ، فى عصر انفسح فيه المجال لكل هذه الأباطيل —
وسرت هذه الروح نفسها من جامعة الاسكندرية إلى جامعة بادوا ،
الاطالية التى أخذت نظامها عن جامعة الاسكندرية .

• • •

وللا سكندريين مباحث قيمة فى علم الكيمياء ، ارتبطت بآدى .
أمرها ارتباطاً وثيقاً بالطب ، لما لها من وثيق الصلة به ، ثم عادت
فتأثرت بالروح التى سادت فى عصر ضعف الجامعة ، فامتزجت
بالشعوذة ، ونقلها العرب بصفتها هذه ، وزادوا عليها من مباحثهم
الخاصة ، وسخروها لخدمة الطب ، فى استنباط العقاقير ، (كما
سخروها لكشف حجر الفلاسفة الذى زعموه يحول جميع المعادن
إلى ذهب !)

ومن أوائل النافلين للطب الاسكندرى الطبيب وابن أبحر الكنائى ،
الذى استخدمه الخليفة ، عمر بن عبد العزيز ، فى نقل الطب
إلى العربية ، ومنهم كذلك ، سرجيوس الرسعى ، . من رأس
عين ، ومن أشهرهم فى عصر النقل الأعظم أبو زيد ، حنين ابن اسحق ،

العبادي، المتوفى ٨٧٦ م، وهو نسطوري جال في جمع كتب الطب اليوناني، وانتفى إليه كثير من طب الاسكندرانيين، ثم استقر في بيت الحكمة في بغداد وترجم جالينوس و وأبقراط إلى العربية. ولم تقف جهوده حين في الترجمة عند حد الطب، فقد ترجم أيضاً بعض مؤلفات أفقليدس و أبولونيوس و أرشيدس في الهندسة والطبيعة.

في الفلسفة

لعل أحب الاشياء إلى العرب هو هذا الجانب الفلسفي من علوم الاسكندرية، المعروف بالأفلاطونية الحديثة، لأنها فلسفة تصوف، والعرب بطبيعتهم يميلون إلى التصوف ويحبون مباحثه.

نقل اليعاقبة هذا الضرب من الفلسفة إلى سوريا وغيرها من بلاد الامبراطورية، مستعينين به على نشر مذهبهم الديني، فوضعوه بهذا على مرأى من العرب في عصر ازداد فيه تشوق هؤلاء إلى الاطلاع على آثار الاعاجم.

ونقل هذه الفلسفة إلى السريانية ابن الناعمي في ترجمة غير دقيقة خلطت خلطاً ظاهراً بين أفلوطين شيخ هذا المذهب وأفلاطون الفيلسوف اليوناني — وبهذا الخلط سبب ابن الناعمي للفارابي متاعب جمة، إذ حاول الفارابي أن يوفق بين تعاليم أفلوطين باعتباره أفلاطون، وتعاليم أرسطو.

ونتج عن دراسة العرب ونقلهم لأرسطو أن اكتسبوا

أسلوبه المنطقي في الجدل — كما نتج عن دراستهم ونقلهم للأفلاطونية الحديثة، أن اكتسبوا روحها التصوفية، فكان من أثره أرسطو، عندهم نشوء مذهب « الاعتزال »، كما كان ومن أثر دراسة الأفلاطونية الحديثة، تقوية روح « التصوف » الإسلامي.

وللعرب أسلوبهم الخاص في نقل الفلسفة — من ذلك ما نقله الشهرستاني عن الشيخ اليوناني (١) (أفلوطين) في فصل بسيط فيه فكرته في الآله والعقل والمادة، وأورد فيه كثيراً من الرموز الفلسفية التي أثرها لشرح الفكرة (٢).

في الهندسة

بلغت الهندسة شأوا عظيما على يد « اقليدس » الرياضي الاسكندري (٣٠٦ / ٢٨٣ ق م) مؤسس المدرسة الرياضية بالاسكندرية. والمعروف ان « اقليدس » وضع في هذا الباب ثلاثة عشر كتابا، عصففت يد الزمن بعضها، وأبقت على البعض الآخر (٣).

(١) ليس افلوطين يونانياً — إنما هو مصري ولد في أسيوط، ولعل الخطأ الذي وقع فيه الشهرستاني، راجع إلى الخطأ الذي شاع في وقت ما، من أن أفلوطين هو أفلاطون.

(٢) ومن رزموه وأمثاله التي توضح أسلوبه الفلسفي قوله :

« أن أمك روم ، لكنها فقيرة رعاة ، ولأن أبائك لحدث ، أمك جواد مقدور ، ففصد بالأم الحيولي وبالأب الصورة ، وبالروم انقيادها ، وبالفقر احتياجها إلى الصورة ، وبالرعيونة فلة ثباتها على ما تحصل عليه — أما حدادتها الصورة فهي أثرانها بتلاية الحيولي ، أما جودها فالقصود به أن النقص لا يعترضاها من قبل ذاتها ، فهي جواد ولكن من قبل الحيولي ، « ا » عن المال والتحل.

(٣) خمسة منها في مكتبة « لندن » أخذت لها صور فوتوغرافية محفوظة بدار الكتب المصرية .

وقد ترجم هذا البعض إلى العربية، وعرف باسم «الأصول» Elements وله غير الأصول الهندسية مصنقات أخرى .

عنى العرب بنقل «أقليدس» وظهرت أول ترجمة عربية لمؤلفاته في عهد أبي جعفر المنصور ، ترجمها «أبو زيد حنين بن اسحق العبادي» وترجم معها رسالة «أبولونيوس» في المثلثات وبعض آثار أرسطيدس في القوانين الطبيعة .

ثم نقلها لهرון الرشيد «الحجاج بن يوسف بن مطر» (٧٨٦/٨٠٩ م) الذى نقلها مرة ثانية للهاون (٨١٣/٨٣٣ م) .

وترجمها أيضا «ناصر الدين الطوسي» و«ابن الهيثم» وعن هذه الترجمات العربية نقلت آثار «أقليدس» إلى اللاتينية ، وأشهر ترجمة لاتينية لأقليدس هي ترجمة «كساندينوس» Contmandinos وأول ترجمة الإنجليزية لأقليدس قام بها سير «هنرى بلنجستى» Billingsley عمدة لندن ١٧٥٠ م .

وتسابق الأفرنج في نقل «أقليدس» من العربية ، مرجعه الوحيد ، بعد أن عفت مؤلفاته الأصلية ، وبلغ عندهم الشغف بنقله إلى حد أن تسكر «أتلارد» Athelhard of Bate في زى طالب عربى ، ونقل إلى اللاتينية نسخة عربية كانت في بعض مكتبات الأندلس .

وطبعت جامعة أكسفورد (١٧٠٣ م) مؤلفات «أقليدس» الاغريقية واللاتينية ، طبعا ، «ذافيد جرجورى» David Gregory ثم أعيد طبعا بالاغريقية مرة ثانية (١٨١٤/١٨١٨ م) ، طبعا «بيرارد» (Peyrard's Greek Text) في ثلاثة مجلدات .

وبقيت مؤلفاته الهندسية أكثر من التي عام خالدة على الدهر،
لم تظهر في خلالها أية حركة مناهضة، إلا في منتصف القرن التاسع
عشر، حين ظهرت في إنجلترا حركة قصدت إلى الغرض من شأن
الهندسة الاقليدية. ولا تزال هندسة « اقليدس » قيمة حتى وقتنا
هذا — يدل على ذلك أن ملخصا لبعض هندسة اقليدس ما يزال
يستعمل الآن ككتاب مدرسي يدرس في المدارس الانجليزية وغيرها
من مدارس العالم.

في الجبر

من أساطين الرياضة في مدرسة الاسكندرية « ثيون » Theon
وابنته الرياضية النابتة « هيباشيا » Hypatia . علقت ثيون على
ما وضع « اقليدس » في الهندسة، وما كتب « كلوديوس بطليموس »
في الفلك، واشتركت معه في هذا العمل الجليل ابنته.

وعلى « ثيون » وابنته هيباشيا، بعلم الجبر الذي وضعه « ديوفانتس »
من قبل . و« ديوفانتس » هذا رياضي يوناني في نظر البعض، وعلى هذا
تسكون نشأة الجبر يونانية تبعا، وهو في نظر البعض الآخر اسكندري،
عاش في القرن الخامس الميلادي، وعلى هذا الزعم تكون نشأة علم
الجبر اسكندرية متأخرة، لا يونانية قديمة.

ومهما يكن من شيء، فقد نشأ الجبر متأخرا عن الهندسة مراحل
واسعة، فقد عرف التحليل في الهندسة قبل أن يعرف في الجبر.
وظل علم الجبر متاقلا حتى أدركه العرب ففعلوا ما أثبت فيه « ديوفانتس »
من ناحية، ووضع « محمد بن موسى الخوارزمي »، في عصر المأمون

مقالة مبتدعة فيه ، نقلت إلى اللاتينية في عصر النهضة الأوربية . وما تزال النسخة العربية ترى في إحدى مكتبات أكسفورد حتى الآن . وعلى هذا يكون العرب قد أضافوا إلى الجبر شيئا ونقلوا شيئا آخر . وربما كانت هذه المقالة الجبرية التي وضعها الخوارزمي ، نقلا عن الهنود ، والمعروف أنه أخذ كثيرا عن هؤلاء ، وكانوا على دراية تامة بالجبر والحساب .

وفي نهاية القرن العاشر الميلادي ، استطاع محمد أبو الوفاء ، أن يتناول كتاب ديوفانتس ، في الجبر بالنقل والتعليق . وبعد الخوارزمي ، و « أبي الوفاء » ركزت ربح هذا العلم .

وينسب إلى محمد بن موسى الخوارزمي أنه أول من نشر بالعربية مصطلح هذا العلم واسمه الذي نقل واستعمل في اللغات الأوربية ، في مؤلف له كان محفوظا في خزانة كتب المأمون . وعن الخوارزمي ، ترجم الجبر إلى لغات أوربية مختلفة — وتناول مؤلفه هذا الجمع والطرح والضرب الجبري ، والمعادلات الآتية من الدرجة الثانية ، والجذور ، ورفع الكميات ذات الحد الواحد .

وأول من ربط الجبر بالهندسة ، وبرهن على إمكان استخدامه في الحلول الهندسية ، ثابت بن قرة ، من رياضي العصر العباسي . وكتب العرب بعد ذلك في علم الجبر ، ولكنهم لم يضيفوا شيئا إلى مجهودات الخوارزمي ، و « أبي الوفاء » و « ابن قرة » .

في الجغرافيا والفلك

أشهر ما كتب في الجغرافيا والفلك في الاسكندرية ، ما وضعه

فيهما « إراتوستينز » و « كلوديوس بطليموس » .

وأول ما نقل العرب منهما كان في زمن « أبي جعفر المنصور » ، حين ترجم « المجسطى » : Almageste ، أعظم مؤلفات بطليموس ، إلى اللغة العربية . وما يؤسف له أن الترجمة العربية لكتاب « المجسطى » ليست موجودة في أية مكتبة من مكاتب الغرب أو الشرق (١) .

ولكن « محمد بن موسى الخوارزمي » (٢) « الفلكي الشهير » أمين دار كتب المأمون الذي تقدم ذكره في علم الجبر ، وضع كتابا في الفلك استفاد من « بطليموس » ، وفيه يتفق مع أستاذه في مسألة درجات الطول ودرجات العرض . ويعرف كتاب « الخوارزمي » هذا باسم « السند هند » ، وهو خلاصة آراء « كلوديوس بطليموس » . — وكان هذا الكتاب موضوع الدراسات الجغرافية والفلكية على طول العصور الوسطى ، وهو المرجع الوحيد الباقي للآن من آثار بطليموس .

وأضاف « الخوارزمي » إلى الجغرافية إضافة قيمة ، فله فيها نظرية تقسيم الكرة الأرضية إلى سبعة أقاليم مناخية متباينة .

ومنذ أخذ « الخوارزمي » عن بطليموس ، بدأ فلكيو العرب يشتغلون بوضع علم الهيئة ، ويبحثون في الأفلاك والنجوم ، فوضع « الفرغاني » (٣) ،

(١) وأنهم ما كان يحتمى « المجسطى » زيج زمني . وحساب لحركات الشمس والقمر . وجدول بسما النجوم الشمالية ، وحركات الكواكب .

(٢) والخوارزمي هو الواضع لعلم اللوغاريتم Algorithm ، والكلمة تحريف لاسم هو — « رقائدة اللوغاريتم » في الجبر معروفة . وبه أضاف الخوارزمي إلى مادة الجبر إضافة ذات بال .

مؤلفا يحتوى على ثلاثين مبحثا فى الهيئة . والافلاك . وحركات النجوم ، أساسها كلها معارف بطليموس الفلكية .

وتناول « البتاني (٢) » بعض مقالات بطليموس فشرحها ، ووضع « زيجاً » يعرف باسم « الزيج الصائى » وهو أدق من زيج بطليموس المثبت فى « المجسطى » .

وترجم « زيج البتاني » إلى اللاتينية ، وهو محفوظ فى مكتبة الفاتيكان ، ومنه نسخة أخرى فى مكتبة الأسكوريال فى أسبانيا .

ونعتبر الحقائق التى قررها البتاني فى الفلك أدق حقائق وصل إليها الفلكيون حتى العصر المتأخر . وقد حسب مقدار ميل دائرة فلك البروج ، وقرر أنه يبلغ $23^{\circ} 25'$. وهو لا يختلف كثيراً عما قرره أخيراً العالم الفلكى « لالاند » وهو $23^{\circ} 25' 41''$ — كما حقق أيضاً طول السنة الشمسية ، وخالف فى تقديره بطليموس بعض المخالفة . ولم يسلم تحقيقه من الخطأ بسبب اعتماده على أرصاد هذا الأخير .

وجاء بعده البتاني كثيرون اشتغلوا بمسائل الفلك والجغرافية ، منهم « ابن يونس المصرى » ، صاحب الزيج الحاكى الذى اشتغل بالفلك فى عصر الحاكم بأمر الله ، وه البيرونى « المؤرخ المعروف » ، صاحب

(١) احمد بن محمد الفرغانى ، أحد العلماء المشتغلين بالنجوم فى عصر المأمون ، ومؤلف كتاب « المدخل » .

(٢) محمد بن جابر بن سنان ، أحد المشهورين برصد الكواكب وحساب النجوم فى العصر العباسى .

كتاب « التفهيم » ، وكتاب « القانون المسعودي » الذي وضعه بأمر من السلطان « مسعود بن محمد ابن سبكتكين » الغزنوي .
واشتغل فريق من فلكي العرب بقياس الدرجة الأرضية ، متخذين من معلومات « أراتوسثينز » أساساً لأبحاثهم ، وقدرها بعضهم بستة وخمسين ميلاً ، والبعض الآخر بستة وخمسين ميلاً وثلاثين ، وفريق ثالث قدرها بسبعة وخمسين ميلاً — اختلفوا في تقديرها بسبب افتقارهم إلى آلات الرصد الدقيقة . وكانت المحاولة الأولى لقياسها في عصر أبي جعفر « المنصور » .

ومن اشتغلوا بقياس الدرجة الأرضية « سناد بن علي » و « خالد ابن عبد الملك » ، و « علي بن عيسى الاسطرلابي » و « علي بن البحري » في عصر المأمون — وكانت برية « سنجار » مسرح أعمالهم الفلكية . وهكذا كانت جهود بطليموس « وإراتو » الاسكندرانيين أساساً لكل مباحث العرب في علم الفلك والهيئة .

وقدر لعلم بطليموس وإراتوسثينز أن ينتقل مندجاً في أبحاث العرب إلى أوروبا ، حيث ترجم إلى اللاتينية والأغريقية ، وحفظ في مكتبات الجامعات ، حتى تناوله يد البحث الحديث ، فاستفادت منه استفادة كبرى في وضع « الفلك الحديث » .

انصرف العرب في العصر العباسي ، بفضل موازنة الخلفاء إلى النقل من اللغات الإجمية : من الهندية والفارسية والسريانية ، واليونانية ، فاجتمعت لديهم بهذا ذخيرة علمية لم يسع مثلاً إلا في عصر

النهضة الأوروبية . واكتسب العرب من هذا النقل ملكات خاصة ، استطاعوا بها أن يضيفوا إلى كل ما نقلوا شيئاً جديراً بالتقدير ، خليفاً بالعجاب .

واعلم الأوروبيون في عصر أحياء العلوم بهذا التراث الغني القيم . فنقلوا منه الشيء الكثير إلى اللاتينية والأغريقية ؛ وعينت الجامعات الأوروبية في أنحاء القارة ، بالتسابق إلى اقتناء المخطوطات العربية أو ترجمتها — وعلى المستشرقون أخيراً بنقل هذه الآثار إلى لغاتهم .

وحفلت دور الكتب في الخواضر الإسلامية بهذه الذخائر منها: بغداد ، والقاهرة ، ودمشق ، ونيسابور ، وقرطبة ، وغيرها ، ثم شاعت منها في أنحاء أوروبا بطريق النقل . ونزحت إلى الأندلس خاصة طوائف من محبي العلم ، من إيطاليا ، وجرمانيا ، وفرنسا ، وبلاد الإنجليز ، نهلت من علومها العربية أو المعربة . ثم عادت إلى مواطنها ، وعرضت ما تلقفت من كنوز العلم على جماهير الراغبين فيه . فانظر كيف كان فضل الإسكندرية على العرب ، وكيف كانت فضل العرب على أوروبا الحديثة ؟؟

الفصل الثالث

في الاقتباس والنقل غير المباشر

نقل العرب — الاقتباس من الاسكندرية — جمع المخطوطات القديمة للنداء
الاسلامية — ثم كتب مكتبة الاسكندرية إلى أوروبا — ثمرب العلم الاسكندري
إليها — وسافر ذلك القرب — تفصيل ذلك — نقل النظم الجامعي .

منذ أسس البطالمة في الاسكندرية جامعة ، ومنذ تركزت الثقافة
الهلينية فيها ، أمها طلاب العلم من كل صوب وحذب ، لدراسة الطب
والرياضيات والفلسفة والفلك وغيرها من شعاب المعارف الانسانية .
وفي عصر قوة الجامعة ، كانت « أثينا » ما تزال عاصمة الفلسفة
فلم يكن بد لحبي العلوم البحتة من الاستماع إلى أساتذة الاسكندرية ،
وفي عصر ضعفها ، كانت ربح الزمن قد عصفت بكل مافي « أثينا » من علم
وفلسفة . ورغم هذا الضعف الذي منيت به جامعة الاسكندرية على
أثر دخول المسيحية ، ظلت وحدها في العالم القديم قاطبة مهبل العلم
حتى القرن السادس الميلادي .

وأم الاسكندرية في هذا العصر الأخير راغبون في العلم من كل
جنس ، وأفادوا من علمها الشيء الكثير . وكان من هؤلاء الوافدين على
جامعة الاسكندرية في عصرها المتأخر ، لساطرة من انطاكية ، وعرب
من بغداد ، ويونانيون وأيطاليون ، تزودوا جميعاً بثروة طيبة من
اللغة الاغريقية — لغة العلم والثقافة . ونقل هؤلاء عن الاسكندرية
نقلاً مباشراً ، وأذاعوا كل ما نقلوه في في بلادهم ، غفقت ألوية العلم

على ربوع البحر الأبيض الشرقى ، وعمرت خرائن بغداد بنفائس
اليونان عامة ، والاسكندرية خاصة . وأخذ العرب يضيفون إلى
ما نقلوا ، ويوفقون بين شوارده ، فرادى وجماعات — وأنشأوا
المعاهد العلمية لتدريس العلوم في العصر الاسلامى . وأول من
أنشأ المدارس في الاسلام « نظام الملك » الطوسى ، وزير ملكشاه
السلجوقى ، في أواسط القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) ،
وأقدم هذه المدارس جميعاً كانت « المدرسة النظامية » في بغداد ،
بناها « نظام الملك » وجعلها مركزاً لدراسة العلوم الدينية والكلامية .
وكان لهذه المدرسة وغيرها من المدارس في مصر وسوريا والاندلس
شأن في العلم الاسلامى في العصور الوسطى يشبه شأن جامعات
« سالرنو » و « بولونيا » و « بادوا » الايطالية . وتضافرت جهود هذه
المعاهد ، كل في زمنه وموطنه ، على الاحتفاظ بالثروة العلمية القديمة
المنقولة عن اليونان والهنود والفرس والاسكندرانيين ، إلى أن
أدركها العصر الحديث ، فألقى عليها من نوره ضوءاً وهاجاً . واستغلها
في تكوين المعارف الحديثة .

وعلى نحو ما فعل « نظام الملك » الطوسى . أسس أنصار العلم
المدارس في كل ناحية من نواحي الدولة الاسلامية ، في الاندلس ،
في أشبيلية وقرطبة وغرناطة وطليطلة — وفي مصر ، في القاهرة ،
والاسكندرية — وفي الشام ، في دمشق وحلب وحمص وبعبك .
وأسس العرب « دور الكتب » بعد أن توفر لهم من الكتب عدد
يحل عن الحصر ، ومنها « بيت الحكمة » في بغداد ، دار كتب

الرشيد والمأمون ، ودار الكتب في قرطبة ، وهي التي أنشأها ، الحكيم ابن الناصر . . وكانت لا تقل عن دار كتب بغداد شأنها ، ويقال إن الحكيم ابن الناصر . كان يرسل التجار في طلب الكتب من كل أسواق العالم المعروف . وفي مصر كانت قصور الموسرين حافلة بنقائس الكتب ، وكانت كذلك دار كتب الحاكم الفاطمي التي سميت أيضاً باسم بيت الحكمة . .

تقدم بنا ذكر موجز لاشهر ما نقل العرب من علوم الاسكندريين ، وليس ثمة شك في أن ما نقلوه ظل محفوظاً في خزائهم إلى أن نقله عنهم الأفرنج . من مكاتب الاندلس بادي الامر ، ومن بلدان الشرق الأدنى أبان الحروب الصليبية . وعن غير هذين السبيلين . بطريق تجار الكتب ، والباحثين عنها من المستشرقين وهواة القديم . وعلينا الآن أن تناقش الوسائل الاخرى التي يمكن أن يكون قد انتقل بها تراث الاسكندرية إلى أوروبا . ورجح أن تكون هذه الوسائل منحصرة في ثلاثة أمور :

الاول — ما يمكن أن يكون قد تسرب إلى « بزنطة » و « روم » من تراث الاسكندرية مدة الهدنة التي منحت الروم ، عند تسليم الاسكندرية للعرب .

الثاني — ما انتهى إلى بعض الجامعات الاوربية من هذا التراث بطريق النقل والاقتباس ، وأعلى الجامعات كعباً في هذا المضمار ، الجامعات الابطالية .

الثالث — ما يمكن أن تكون قد احتوته الاذيرة الاوربية من آثار العلم الاسكندري عامة والفلسفة خاصة .

أما عن الأمر الاول — فالمطلع على شروط تسليم الاسكندرية للعرب ، يرى أن العرب قد شهدوا مع الروم أحد عشر شهرا ، سمح فيها للروم بنقل متاعهم بحرا إلى القسطنطينية . ولا يكاد المرء يتردد في الاعتقاد ، بأن كثرة هائلة من كتب الاسكندرية ، مما كان مملوكا للأفراد ، أو مخبوءا في الاذيرة والكنائس . لا بد أن تكون قد تسربت إلى أوروبا ، مع ماخرج من المدينة من متاع مدة الهدنة .

يؤيد هذا الرأي ما هو شائع الآن بين مؤرخي الفلسفة عموما ، من أن أساس الحركة الفلسفية «المدرسية» ، يلتمس عادة في جهتين : احدهما بيزنطية والثانية الاندلس — ولو عرفنا أن هذه الحركة الفلسفية تعتمد في جوهرها على أساس اسكندري من فلسفة افلوطين وأمونياس سكاس ، لاتجه الفكر بنا إلى أن الفتح العربي لا بد أن يكون قد دفع بنصيب وافر من تراث الاسكندرية ، بما فيه من فلسفة الافلاطونية الحديثة . إلى بيزنطية وغيرها من جهات أوروبا .

أما عن الأمر الثاني — فقد كانت الاسكندرية ، مستقر العلم منذ نشأت الجامعة فيها ، واستمرت كذلك زماما طويلا حتى الفتح العربي . وكان العالم الغربي وثيق الصلة بالاسكندرية طول هذه المدة ، ينقل عنها نشاطها الفكري ، وكانت أكثر دول الغرب أخذاً عنها ، إيطاليا ، بحكم ما كان بين إيطاليا ومصر من العلاقات القديمة . وبعد زمن أصبحت جامعة وسالونو الإيطالية أوثق الجامعات الإيطالية صلة بالعلم الاسكندري ، ورأت

الكثير من ثروتها العلمية، بطريق الاخذ غير المباشر. والمعروف أن جامعة بادوا، وغيرها من جامعات إيطاليا قد تأثرت على نحو ما بروح الاسكندرية العلمية في عصورها الاخيرة، وهي روح مشوبة بشيء غير قليل من التنجيم في ثنایا الفلك، والخرافات في ثنایا الطب — وكان شأنها في هذا النقل المشوب، شأن العرب في نقلهم عنها. ومهما يكن من أمر تلك الشوائب التي لحقت بالعلم الاسكندري، فقد أمدت الاسكندرية أوروبا بغذاء فكري طيب، في وقت كانت فيه الجامعات الاوربية الناشئة أحوج ما تكون إلى مادة علمية.

وكانت فلسفة أرسطو وأفلاطون، وآراء افلوطين في الفلسفة والتصوف، وغير هذه وتلك بما انتهى إلى الجامعات الإيطالية، سبباً في انتعاش الجامعات الاوربية في العصور الوسطى، الامر الذي كان من أجل نتائجه، أن غدا العلم في مشاغل الجماهير، بعد أن كان وقفاً على الآباء المسيحيين في الاديرة والكنائس.

وما تزال بعض مؤلفات الاسكندريين منذ ذلك العهد موجودة في مكتبة « الفاتيكان » وغيرها من المكتبات الاوربية، في « ليدن » و « الاسكوريال » وغيرها، بالشكل الذي صاغه فيها المترجمون العرب.

أما عن الامر الثالث — فالمعروف أن مذهب الافلاطونية الحديثة، خرج من الاسكندرية، وتشكل في أثينا بشكل وثيق متطرف، وفي سوريا وغرب إيران امتزج بالزرادشتية والمسيحية الشرقية. وفي روما كان أقل اعتماداً على التصوف وأقل غموضاً،

— وفي القرن السادس الميلادي ، انحلت كل الآثار الوثنية الفلسفية ، ونحلت محلها آراء ومذاهب دينية ، تمت إلى المسيحية بأقوى الاسباب ، اتخذت لها من أرسطو وأفلاطون ، ومن فلسفة « أفلوطين » سنداً تحيا به . واستقرت الثروة الفلسفية اجمالاً في الاديرة ، فعمرت خزائنها بآثار أفلاطون وأرسطو وأفلوطين . وشغف آباء الكنيسة بالمجادلات الدينية ، من أثر أتباعهم أسلوب أرسطو المنطقي (١) . وحاولوا جهدهم أن يقيموا المسيحية على أساس من العقل ، فظهرت في الاديرة حركة تشبه حركة الاعتزال التي ظهرت في الاسلام في العصر العباسي . مرجعها الرغبة في استخدام أفلاطون وأرسطو لتدعيم التعاليم المسيحية . وظهر جنباً إلى جنب مع هذه الحركة العقلية في الدين المسيحي ، حركة تصوفية ، دفع إليها شغف رجال الدين بالأفلاطونية الحديثة التي كان من أثرها نشوء التصوف المسيحي ، كما كان من أثرها في الشرق مؤازرة التصوف الاسلامي .



هذه الوسائل الثلاث ، تسرب العلم الاسكندري إلى أوروبا ، وعن الطريق الأخير ، شاعت آراء أفلوطين ، ولم يقتصر أثرها على الاديرة ، بل كونت النواة لفلسفة العصور الوسطى ، وهي الفلسفة

(١) ومن أشهر فلاسفة الآباء الكنسيين وأكثرتهم اشتغالا عمائل الفلسفة ، بقية لقائمة المسيحية على أساس من العقل « سنت كلاً » الاسكندري (١٦٠ / ٢٢٠م) وفلسفته خليط من مذهب الشك والأفلاطونية الحديثة . ومنهم كذلك « سنت أوغستين » (القرن الخامس م) .

« المدرسية » ، Scholastic Philosophy ، التي نشأت بآدى الأمر في
الآديرة ، ثم خرجت من الآديرة فلسفة عامة ، لها مثلوها من غير
رجال الدين .

اتسمت الحركة المدرسية بوجه عام بميسم دينى . وكانت هم
الفلاسفة المدرسين دراسة الفلسفة اليونانية دراسة عميقة . لادخال
عنصر التعقل على المسيحية . التمس هؤلاء أصولا لفلسفتهم فى
كل من القسطنطينية والاندلس والاسكندرية على السواء .

وتقع حركتهم هذه فى فترتين : الأولى ، من القرن السادس إلى
القرن الثالث عشر تقريبا ، وفيها شغف « المدرسيون » بدراسة
« أفلاطون » بوجه خاص ، واكتفوا من « أرسطو » بأسلوبه المنطقى ،
وربما كان ذلك لانهم وجدوا فى أفلاطون مادة عقلية تناصر المسيحية ،
وفى أفلاطون الاسكندرى عقلا ممزوجا بالتصوف . وفى منطق
« أرسطو » الحجة التي يتذرعون بها فى الاقتناع .

وتمتد الفترة الثانية ، من القرن الثالث عشر إلى عصر النهضة
الأوربية ، وهو العصر الذى تحللت فيه الفلسفة من جميع القيود التي
رسفت فيها زمتا ، وأخصها قيود الدين . وأشهر فلاسفة الفترة
الأولى ، « أنسلم » و « أبيلارد » ، ومن فلاسفة الفترة الثانية « البرنس
ماجناس » و « توماس أكويناس » .

والناظر فى فلسفة « المدرسين » ، يرى جهودا قيمة لوضع مثل عليا
أخلاقية للمسيحية ، ويرى تصوفا مسيحيا ظاهرا — وما أوضح ما يشاهد
أثر أرسطو وأفلاطون ، وأثر فلسفة الاسكندريين فيما كتب

الفلاسفة المدرسيون جميعا بلا استثناء .

وتأزر في هذه الحركة كل من الفلسفة والتصوف والمنطق وآراء أفلاطون فيما وراء الطبيعة على خدمة المسيحية . ولحق أن هذا العصر خدم المسيحية من نواح كثيرة . وأضر بها كذلك في نواح أخرى ، إذ أدت المناقشات الجدلية إلى خلق طوائف مسيحية ذات آراء متشعبة في طبيعة الاله ، وغيرها من أمهات المسائل الدينية . وفسدت العقيدة الدينية أو كادت من أثر ذلك ، فتداركها الاصلاح الديني ، وقضى على البدع السائدة ، وخلص الدين من شرور الخلافات ، ووضعت للدين المسيحي منذ ذلك الوقت تعاليم جديدة ، فضله فصلا تاما عن الآراء الفلسفية — وبدأ في تاريخ كل منها بهذه المفارقة فصل جديد .

• • •

وعلى نحو ما ذاعت عن الاسكندرية معارفها بطريق الاقتباس والنقل المباشر وغير المباشر . كذلك يرجح أن يكون نظامها العلمي قد انتقل إلى أجزاء من حوض البحر الأبيض المتوسط بطرق مشابهة . والصلة بين أقدم الجامعات الاوربية في إيطاليا ، والمدارس التي كانت مزدهرة في أثينا وفي الاسكندرية في القرن السادس الميلادي (وهو الزمن الذي يحدد آخر العهد بحياة النظام التعليمي اليوناني) ليست واضحة ، ولا يستطيع الانسان أن يحزم فيها برأى — لأن فترة طويلة لا بد أن تكون قد انقضت بين انهيار النظام القديم ، وقيام أولى الجامعات الايطالية وأقدمها في سالرنو ، في القرن التاسع الميلادي .

على أنه لا يبعد أن تكون الجامعات الإيطالية الأولى . وهي
 وسالرنو ، و « بولونيا » و « بادوا » قد اضطلعت بأمر إحياء العلوم
 القديمة وإشاعتها في أوروبا بحكم تلك الصلات القديمة التي كانت بين
 إيطاليا والاسكندرية . والمتصفح لتاريخ الجامعات ، لا يرى
 مناصاً من الاعتقاد بأن الجامعات الإيطالية الأولى ، ليست إلا
 صوراً متداعية للجامعات التي كانت مزدهرة في أوقات مختلفة في أنحاء
 العالم الهليني . وقدّر بهذا أن تحتفظ إيطاليا بما بقي على الزمن من نظم
 الجامعات وعقائدها وروحها ، في زمن فسدت فيه أمور العلم ، وكادت
 تمحي من الوجود كل بارقة من بوارقه . والحق أنه لم يكن عجيباً في
 زمن انحطاط فيه عود العلم ، وسقطت ألويته أو كادت في الاسكندرية
 التي غدت كالآتون يغلي بالاضطرابات على طول القرون الستة التي
 أعقبت دخول المسيحية مصر ، من أثر النزاع المميت الذي احتدم بين
 الوثنيين والمسيحيين في المدينة — لم يكن عجيباً والحال كذلك ، أن
 يقر رجال العلم إلى حيث يجدون الحياة أكثر أمناً وأوفى طمأنينة ،
 وأن يهاجر من المدينة كلها سنجت الفرصة ، كل عنصر من عناصر
 الخير ، ليظهر أو ليختفي في مكان يكون أقدر على إظهاره أو إخفائه
 — ولا بد في مثل هذه العصور ، من أبطال يضطلعون بهذه المهام .
 وذلك ما حدا بالإيطاليين ، وصاتهم بمصر في العصور الأوربية المظلمة
 وثيقة كما هو معروف ، إلى الاحتفاظ بشيء غير قليل من علوم
 الاسكندريين ونظامهم في التعليم .

ومن جامعات إيطاليا ، شاع في أوروبا الوسطى نظام تعليمي مشابه لنظامها . وأقدم « جامعة » نشأت في قلب القارة الأوروبية متأثرة بنظام الجامعات الإيطالية جامعة « هيدلبرج » الألمانية التي تعتبر أمّاً لجامعات وسط أوروبا في العصور الوسطى .

هذا ويحمل بنا ونحن نذكر الجامعات ، أن نتحلى بشيء غير قليل من التسامح في إطلاق كلمة « الجامعة » على المؤسسات العلمية التي نشأت في الأزمنة القديمة . والأزمنة المتوسطة — فلم تكن هذه وتلك جامعات بالمعنى الذي نفهمه الآن ، لأن الفكرة الجامعية لم تنضج في أوروبا إلا في القرن التاسع عشر ، قرن الجامعات . وقبل ذلك كانت الجامعات الأوروبية أشبه شيء بالحلقات التي تنظم حول معلم يلقى تعاليمه ، أو حول متجادلين ، يلد للناس شهوة الخلاف المحتدم بينهما . وقد كان ذلك بعينه هو الشأن في الأكاديميات اليونانية الأولى . على أن هذا النظام البدائي لم يلبث أن تحول إلى نوع من المدارس المنتظمة ، يشرف عليه مشرف كان في الغالب من رجال الدين ؛ أطلق عليه اسم « راعي المدرسة » Rector Scholarium وهي تسمية متأثرة بالنظم القديمة ، فقد كان مدير جامعة الاسكندرية قديماً يعرف براعي الجامعة وكان من رجال الدين أول الامر . وتأثرت الدراسة في تلك المؤسسات المبكرة تأثراً ظاهراً بالروح اليونانية في الحوار ، إذ كادت تقتصر الدراسات فيها على « الجدل » Dialectics الذي سلطوه على كل ما انتهى اليهم من المعارف الانسانية ، وبقي الحال على ذلك حتى أوائل القرن الثالث عشر الميلادي . ومن أشهر

تمثل الحالة العلمية في العصور الوسطى : « لانفرانك » Lanfranc و « برنجار » Berengar الفرنسيان ، وقد أدى بهما أسلوب العصر العلمي المفرط في الاعتماد على التعليل — إلى الجدل والاختصاص الشديدين اللذين يذكران بجدل علماء الاسكندرية واختصاصهم في قديم الزمن . ومنهم كذلك « روسلينوس » Roscellinus و « أنسلم » Anselm ، وهما من كبار المحاجين الذين أغرموا بأسلوب التعقل والتعليل في فرنسا في القرن الثاني عشر ، احتدم بينهما الجدل على نحو ما احتدم بين « لانفرانك » و « برنجار » من قبلهما .

هذان من أقدم الجامعات الأوربية في أوروبا الغربية في العصور الوسطى جامعة باريس ، وتعتبر « الجامعة الأم » بالنسبة لكل جامعات القارة التي تطورت فيما بين القرنين الثاني عشر والثامن عشر حتى انتهت إلى الأوضاع الجامعية الحديثة التي تدين بوجودها وتنام تكوينها للقرن التاسع عشر (قرن الجامعات) . وليس أدل على ذلك من انتشار نظامها شمالي « اللوار » ممتدا إلى الأراضي الواطئة ، وشرقي « الرين » متوغلا في أوروبا الوسطى ، وكانت جامعة « براغ » في القرن الثالث عشر تعرف باسم « الاستوديوم » Studium وهي تسمية تشعر بتأثر هذا الوسط العلمي بنظام جامعات الجنوب التي كانت معاهد للدراسة العامة Studia generalia ، والظاهر أن جامعات أوروبا الوسطى كانت قبل القرن الحادي عشر الميلادى تدين بنظامها وروحها للجامعات الإيطالية ، ومنذ نهضت جامعة « باريس » بعبد النظام الجامعي ، سرت روحها وبرامجها إلى أوروبا

الوسطى عامة ، وتأثرت بها تأثراً مباشراً جامعات أكسفورد وكمبريدج
الانجليزيتان . ونظام الاولى منهما اقتباس صريح من نظام جامعة
باريس . وكانت تتميز جامعة أكسفورد ، عن غيرها من الجامعات
الانجليزية بجامعات لندن ومانشستر وليربول بأقامة الطلاب فيها .
ومن عجب أن يكون ذلك هو نفس النظام الذي التزمته جامعة
الاسكندرية القديمة . وهو شيء يعاب على النظام الجامعي ، إذ هو يدخل
الجامعات في عداد المدارس الداخلية ، ويظهرها بمظهر لا يليق بها —
ذلك كان شأن كلية المللكة ، في أكسفورد . أول عهدها بالحياة ،
ولم تلبث جامعة أكسفورد أن فطنت إلى عيوب هذا النظام ، فعدلت
عنه . وجاءت كلية أول صولز ، فيها مصححة لهذا الوضع المعيب .

□ □ □

ويكاد الانسان يلتمس في كل ما تقدم تأثر المعاهد العلمية سالفه
الذكر . كل بدوره بطريق مباشر أو غير مباشر ، بنظام جامعة الاسكندرية ،
وهو نظام يوناني في جملته وتفصيله ، بقي على نحو ما قائماً على الزمن ،
حتى تسلسل إلى أوربا بتأثير عوامل شتى : منها هرب العلماء من أثر
اضطهاد أوقسر ، ومنها الاقتباس ، وهو أظهر العوامل وأقواها
وأبعدها أثراً ، واقتباس ايطاليا من الاسكندرية من الأمور الطبيعية
المختلطة ، ومنها كذلك هجرة التيارات الثقافية هجرتها التي لا تحس
ولا يكاد يدرك مداها .

□ □ □

وعلى نحو مشابه تأثر الشرق الأدنى قبل ظهور الاسلام وبعده

يعلم الاسكندرية — وإن تكن لا ندري مدى تأثير معاهده بالنظام
الاسكندري، والأغلب المعقول إلا تتأثر الأوساط العلمية في الشرق
الادنى : في إنطاكية وحران وجنديسابور بالنظام الاسكندري
بتفصيله ، لاختلاف العقلية الناقلة في الشرق عن العقلية الأوربية
التي لم تكن غريبة عن العقلية اليونانية . ومهما يكن من الأمر ،
فقد كانت عقلية الناقلين من النساطرة واليعاقبة والسريان عقلية
منسشفة مستوعبة لعلوم الأقدمين ، أمينة لم تغير ولم تبدل فيما
أقدمت عليه : أما العرب فقد كان لهم نهجهم الخاص في استيعابهم
وتعلمهم — ذلك النهج الذي يتبين في أسلوبهم المنفرد في النقل ، وفي
نظامهم المتميز الذي أنشأوا عليه مدارسهم ، وأن يكن أسلوب الجدل
اليوناني قد لعب عندهم دوره المعبود ، على نحو ما فعل تماماً عند
الغربيين .

الفصل الرابع

تأثر العقل العربي بالاسكندرية

شبهه الثقافة اليونانية - الثقافة العربية مدينة هذه الطبيعة - قدم اختلاط العرب بالأمم المجاورة - تصرب الأفكار اليونانية الى جوف شبه الجزيرة العربية - أثر الأفلاطونية الحديثة وأسلوب أرسطو - حركة النقل الضرورية وحركة النقل العربية وأنهما في تكوين العقيدة العربية - تبع العقل العربي بالعقل اليوناني - تأثر العقل العربي بنهج البحث اليوناني - الاعتزال أثر أمن آثار اشتغال العرب بالفلسفة والمنطق - تصحيح المأمن لحركة الاعتزال - اضطهاد بعض الخلفاء للمعتزليين - اختفاء الفلسفة وانقراض جماعة الخوان الصفا - التصوف الاسلامي وأثره بالأفلاطونية الحديثة .

لا جدال في أن الثقافة التي أبدعها العقل اليوناني وأفرغها في قالبه الخاص هي أقوى الثقافات التي عرّفها التاريخ . قدر لها الانتشار والذبول مصاحبة لغزوات الاسكندر المقدوني ، وظلت هذه تسود العالم في وقت سيطرة « هلا » و « أثينا » ، ومن عجب أن تبقى لها السيادة على العقل البشري حتى في الأوقات التي ضعفت فيها بلاد اليونان ضعفا سياسيا معروفا ، منذ انتقلت مقاليد الأمور من أثينا إلى غيرها من كبريات مدن البحر المتوسط ، ومنذ ما ميزان القدر ، ففقدت عاصمة الفكر مكانتها في عالم السياسة والثقافة معا . وارضع شأن الاسكندرية و « روما » على أثر ذلك .

والثقافة اليونانية بطبيعتها ثقافة غازية ، نشرتها قوة السلطان الحربي دون أن يقضى عليها زوال ذلك السلطان . ولقد جعلت منها هذه الصفة

النفادة ثقافة تقوى على الحياة في أشد الظروف وأعنفها. وليس أدل على ذلك من سيطرتها على عقول البطالة والرومان من بعدهم، وبقائها رغم قيام المسيحية ونضالها القوي معها، وتسربها إلى الأديرة والكنائس وخزائن العلم الأوربية في العصور الوسطى. وما ذلك إلا لأنها ثقافة غالية، فيها من صفات الحيوية والقوة ما يجعلها صالحة لكل زمان، صامدة لا تؤثر فيها عاديات الزمن — ولا غرابة، فهي ثقافة إنسانية قويت على الذبوع والانتشار بدافع من طبيعتها ونسكوتها الخاص.

والثقافة العربية. وهي في مجموعها ثقافة وليدة، كبيرة الشبه بثقافة اليونان: لها من الصفات ما للثقافة الأم، من ضخامة الإنتاج ونشعبه وتداخله وقوته، ولا غرابة فهي آخذة منها، مسرقة في أخذها. ومن ثم كانت قوتها ومقدرتها بدورها على الذبوع، وخلودها وحمودها على الزمن.

وأدى منطق الحوادث أن يكون العرب ورثة للثقافة اليونانية على الشكل الذي انتهت إليه تلك الثقافة على يد الرومان، فلما أن دالت على يد العرب دولة الروم، قدر هؤلاء العرب أن يتناولوا مافي الخزائن الملوكية من تراث، وكان ذلك الميراث، على الرغم من أحداث الزمن الجسام كبيرا عظيم القيمة، بالغ النفع.

وأخذ العرب عن اليونان قديم يرجع إلى وقت تأثرهم في عقر دارهم بالتيارات الدينية والثقافية التي وجدت سبيلها إلى شبه الجزيرة العربية قبل الاسلام. بطريق اليهود والمسيحيين المنبشرين في

شبه الجزيرة ، والمساكنين للعرب في بلادهم . ومن قبيل ذلك
الاتصال المبكر اتصال الاعراب النازحين شمالا بعرب سينا ،
وورودهم أرض فلسطين والجزيرة ومصر يلتمسون فيها القوت
على عادة البدو المتقلين سعيا وراء الرزق .

ولا بد أن يكون العرب قد شهدوا في تجوالهم هذا أحوال الأمم
المجاورة ، وأفادوا من الارتحال دراية ، لا نقول أنها أكسبتهم
ثقافة أو علما ، فليس من شأن الجماعات المتبدية التي تجول بحثا عن القوت
أن تفيد في تجوالها علما أو ثقافة — وإنما أكسبتهم دراية بأحوال
الأمم التي نزلوها بنوا ، أو تجارا ، أو فاتحين بعد ذلك . وليس منا من
يجهل ارتحال العرب ، قرشيين أو غير قرشيين يقصد التجارة ، وما أفاده
القرشيون خاصة من المعارف التي لا تتوفر عادة إلا للتجار من
احتكاكهم بأضرابهم في الأمم الأخرى . وأول ما استفاد العرب
الحجازيون من أسفارهم هذه كان دراية بالكتابة وحساب التجارة .
استعاروها من بني عمومهم من الانباط الذين كانوا يسكنون سينا
وأطراف الحجاز الشمالية ونجوع حوران وقنشرين على الفرات .
ومن شأن هذه الاسفار التجارية أن توسع الأفق الفكري وأن
تهيئ العقل لقبول الجديد . ومرتجع ذلك فيما يظن ما يكتسبه التجار
عادة من المرونة الفكرية بسبب كثرة اختلاطهم بالغير ، وتخطيهم
للفوارق الإقليمية

تكونت هذه الطبيعة للعرب مبكرة قبل الاسلام ، فكان من
شأنها أن مكنتهم في الوقت المناسب ، وعند ما تهيأت لهم

حياة الاستقرار التي لا بد منها لتهيئة حياة علمية من أى نوع ،
 الاشتغال بمسائل العلوم — والمعروف المتداول أن آراء النساطرة في
 الدين، وهى مزيج من المسيحية وفلسفة الأفلاطونية الحديثة ، كانت قد
 تساقطت الى جوف شبه الجزيرة العربية، منذ زمن مبكر قبل الاسلام ،
 وأن العرب المسيحيين لا بد أن يكونوا قد اشتغلوا بدورهم هناك
 بالمسائل الجدلية الدينية ، ولا غرو ، فقد كان منهم فى شبه الجزيرة
 العربية نساطرة تأثروا بالفلسفة اليونانية بشكها النسطورى .
 ومسيحيون مختلفون فيما بينهم على بعض المسائل اللاهوتية : وما
 يستتبعه العقل أن يكون النساطرة ، وهم يحدون فى نشر الفلسفة
 اليونانية فى الشرق الأدنى ، قد اتجهوا بأفكارهم فيما اتجهوا نحو قلب شبه
 الجزيرة العربية ذاتها ، وكانوا جد حريصين فيما تعلم على ابلاغ آرائهم الى
 جوف الامبراطورية الساسانية وجوف شبه الجزيرة العربية على السواء .
 ووجد النساطرة محالا خصبا لنشر الفلسفة اليونانية فى الشرق
 الأدنى ، حيث أنشأوا مدرسة فلسفية فى نصيبين . واستطاعوا أن
 يصبغوا مذهب (التأله) هناك بصبغة من الفلسفة اليونانية . وما
 لبثت مدرسة نصيبين الفلسفية هذه أن أغلقت أبوابها وهجرت وخلفتها
 مدرسة قامت فى الرها ، لأسباب دينية خاصة تتعلق بزراع النساطرة
 مع المذهب الرسمي للكنيسة .

وقام النساطرة بحركة ترجمة قصدوا بها أول الامر خدمة مذهبهم
 الدينى ، فترجموا كتب زعمائهم الدينيين الى السريانية . وإذ هم كذلك ،
 ترجموا أيضا الى هذه اللغة نفسها كتب « أرسطو » والسكبت التي

علقت عليه ، استعان بها على فهم العقائد اللاهوتية التي كانوا يبشرون بها .
ومهما قيل في قيمة ما نقل النساطرة من منطق وفلسفة في دعوتهم
لذهبهم الديني ، فهو بلا شك ابتداء حركه النقل الكبرى ، ومقدمة
لأثر العقل العربي بأراء اليونان .

ومما يؤخذ على هذا النقل المبكر أنه كان أول الأمر لا يخدم العلم
لذاته ، لأنه كان مستغرا لخدمة العقيدة النسطورية المسيحية دون غيرها .
وبدأت عند المسلمين حين اصطدموا بالثقافة اليونانية في مواطنها
التي استقرت فيها وقبعت آخر أمرها رغبة قوية في الوقوف على
عقائد العقل اليوناني ، وكان نزولهم الاسكندرية ، مستودع البقية
الباقية من العلوم اليونانية ، متيجا لهم تحقيق هذه الرغبة الملحة . بأكثر
مما أتيج لهم ذلك في سوريا .

وفي الاسكندرية صادف العرب نخبة من أواخر العلماء يدرسون ،
أشهرهم : « بولس الأجانيطي » آخر مثل للحركة العلمية في الاسكندرية .
وفيهما صادفوا مذاهب فلسفة « أفلوطين » . وخلاصة من تعاليم
« جالينوس » في الطب . وأدركوا شيئا كثيرا من الكيمياء والفلك
والتنجيم . وكان معظم أخذهم (فيما عدا الفلسفة) من الطب والفلك
والكيمياء . وكانت هذه تكون في الذهن العربي مثلنا متعاسك
الاضلاع . بسبب ما تخيله العرب من العلاقة الوثيقة بين الفلك
والطب ، وبين الطب والكيمياء .

ومما هو جدير بالذكر أن «اليعاقبة» قاموا بدور في النقل يشبه الدور الذي قام به النساطرة . ويرجع الفضل في نقل هؤلاء . وهؤلاء جميعاً ، الى حركة الانشقاق التي اعترت الكنيسة المسيحية ، ففرقت أتباعها شيعاً وأحراباً ، اتمسك كل منها وسيلة لاختلاف مسائله الدينية بظهور قوى مقنع ؛ ولم يكن لهم جميعاً يد من الاستعانة بمنطق «أرسطو» في الاقتناع ، وبفلسفه «أفلوطين» في اكساب المذاهب الدينية صبغة من العقل المتصوف .

ذلك كان المنهج المشترك بين النساطرة واليعاقبة — ومما يلتفت النظر أنه هو بعينه منهج المسلمين في الاقتناع ، فقد استعارت بعض الفرق الإسلامية بدورها فلسفه «أفلوطين» لما فيها من تصوف ظاهر — كما استعارت أسلوب «أرسطو» بقصد مراجعة الدين على العقل ، ونشأت فرق «الاعتزال» في الاسلام من أثر ذلك .

واتبع العرب طريقة النساطرة في التعليق على «أرسطو» ، فقد كان من عادة هؤلاء عند نقلهم أرسطو من اليونانية الى السريانية ، أن ينقلوا عبارة صغيرة منه ، ثم يعلقون عليها بأسباب . وشاعت طريقتهم هذه في التعليق . واتبعها العرب في تفسير القرآن وشرح الحديث .

ونقل العرب عن اليعاقبة والنساطرة والسريان ما كان هؤلاء قد نقلوه من علوم اليونان ، ونهلوا بدورهم من حياض الاسكندرية العذبة غداة الفتح . وأتاح العرب هؤلاء المسيحيين جواً حراً

واصلوا فيه جهودهم بنفس الحماس الذي كانوا مأخوذين به قبل ظهور الاسلام ، وعاش هؤلاء في كنف العرب آمنين يتمتعون بحرية سياسية ودينية بالغة . وانتجوا في هذه الجبوحه الفكرية ما وسعهم الجهد الجبار .

ومن أديرة اليعاقبة في قنشرين وغيرها ، ومدارس النساطرة في الشرق الأدنى ، ومن الاسكندرية معقل البقية الباقية من الثقافة اليونانية ، تعلم العرب ما تعلموا من طب « جالين » ومباحث المنطق والفلسفة ، وعن هذه المصادر نقلوا مختصر « فورفيروس » الضروري المعروف باسم « إيساغوجي » ، وتعليقات « بروبس » على الإيساغوجي . وكتب أرسطو الأخرى ، وعن اليعاقبة نقلوا جهود « مرجيوس الرسعي » العراقي اليعقوبي . ولا سيما مترجماته من طب « جالينوس » التي لا يزال معظمها محفوظا حتى اليوم بالمتحف البريطاني ، ومقالاته في المنطق في المقولات ، وفي « تحليل الكون » على ضوء من آراء أرسطو .

وفي منتصف القرن الثامن الميلادي بدأت الحركة الفكرية العربية تنهض بكلياتها وجزئياتها نحو العلوم والفلسفة ، وبدأ ظهور الآثار اليونانية بلغة العرب ، إلى جانب لغة السريان . وتوجت الحركة بأعظم حفظ أتيح للنقل ، حين أنشأ المأمون العباسي معهدا للترجمة ، استخدم فيه نخبة من أعظم الناقلين من النساطرة : أشهرهم « حنين بن اسحق » : وعاونته في مهمته هذه ابنه « اسحق بن حنين » وعدد من المترجمين منهم

« ابن أخته » حيش الأعسم الدمشقي .

وفي هذه الحركة الواسعة ظهرت النسخ العربية « لايساغوجي »
وه «أرمانوطيقا» «أرسطاطاليس» . وجزء من كتابه «أناطوطيقا» ومقالة
«أرسطو في الروح» وجزء من «المتافيزيقا» و«تلخيصات» «نيقولاوس»
الدمشقي و«ديوسكوريدس» ، و«بولس الأجايطي» و«أبقراط» .
وتعتبر المقالة التي ترجمها «حنين بن اسحق» عن «الروح» أو التي
ترجمها ابنه اسحق وراجعها أبوه ، من أهم المراجع في دراسة الفلسفة
وعلم النفس عند العرب .

ومنذ ذلك التاريخ . أي منذ بدأت حركة النقل الكبرى أيام
المأمون ، أخذ العرب إلى جانب النقل يضعون بالعربية كتاباً في
نواحي العلوم التي عرفوها عن اليونان . ومن هؤلاء «محمد
بن موسى» الذي نسب إليه العرب وضع «الجبر» ، له فيه
أبحاث خاصة قيمة ترجمت إلى اللاتينية اشتهرت في عصر النهضة في
أوروبا ، و«محمد أبو الوفا» الذي ترجم كتاب «ديوفانتس» في
الجبر ، وعلق على المؤلفات الرياضية التي وضعت قبله . وكان ذلك
حوالي أواخر القرن العاشر الميلادي ، و«أبو معشر البغدادي»
المتوفى ٨٨٥ م صاحب كتاب «الزيج» ، وهو المعروف بين الأفرنج
باسم Abumazar . ومن بعد هذا جاء «محمد بن جابر» (٩٢٩ م)
المعروف بالبتاني . وهو عند اللاتينيين مشهور باسم Albatagnius

صاحب « الزيج الصافي » المحفوظ بمكتبة « القاتكان » . وقد علق
 البتاني على « المجسطي » لبطليموس ، وشرح مقالاته ، وليست له
 تعديلات على زيج بطليموس ، وأضاف إلى هذا كله عدة تحقيقات
 رياضية وفلكية ذكرناها في موضعها من الكتاب . ودرس البتاني
 في أوروبا في العصور الوسطى ، واشتهر باسم « بطليموس العرب » .
 وكتب في الطب « جبرائيل بن بختيشوع » ، فأخذ عن « ديسكوريدس »
 صاحب كتاب خواص العقاقير ، كما أخذ عن « جالينوس » و« بولس
 الأجايطي » .

وأشهر من كتبوا في الطب إطلاقاً من العرب أبو بكر محمد بن زكريا
 « الرازي » المعروف عند الأفرنج باسم Rhazes ، أخذنا عن اليونانيين
 والهنود وعن ابن سينا — وموافاته عظيمة القيمة ، بحكمة الوضع ،
 أفاد منها طلاب الطب فائدة كبرى .

• • •

« كان الطب معدوماً فأحياه جالينوس » ، وكان متفرقاً بجمعه
 الرازي ، وكان ناقصاً فكمّله ابن سينا — ذلك واضح الدلالة على أن
 العرب يدينون بأصول طبهم لجالينوس ، وبأكمال نفسه لابن سينا ، ويجمع
 شتاه للرازي ، وهو أعظم من تناولوا الطب القديم بالاضافة . وله
 كتاب « الشفاء » (طبعة طهران ١٣٠٣ هـ) . وكتاب « القانون في
 الطب » (طهران ١٢٧٤ هـ — وبولاق ١٣٩٤ هـ) ، ولم تقتصر جهوده
 على الطب ، بل تعدته إلى الفلسفة والطبيعات واللاهيات . واتجه ابن سينا
 اتجاهها فلسفياً نأثر فيه بما كتب أساتذه « الفارابي » ، فظهرت في

آرائه أصول من فلسفة الأفلاطونية الحديثة أو (فلسفة الاسكندر بن) وتعليقهم على كتب أرسطو (١). ويظهر أثر الأفلاطونية الحديثة في فلسفة ابن سينا ، في نظريته القائلة بأن الأحداث الأرضية تنأثر بالأجرام السماوية ، لا عن طريق الحرارة المنبعثة عنها ، وإنما عن طريق ما تشعه من الضوء . وآراؤه في العقل ، شديدة الشبه بما تقرره الأفلاطونية الحديثة في شأنه — وهي آراء لم يوفق فيها ابن سينا ، مع ما له في علم النفس من الآراء القيمة التي تشهد ببراعته (٢).

• • •

ولعل من أجل الأمور التي ساعدت على تكوين العقلية العربية الجارية إنشاء دار الحكمة ، في بغداد — أنشأها المأمون ، ووكّل أمرها إلى يحيى بن ماسويه ، المتوفى ٨٥٧ م. وكان عالماً بالطب ، كتب مقالا في الحيات ، نقل إلى اللغتين اللاتينية والعربية : أنتج تلاميذه إنتاجاً ضخماً ، لا سيما حنين بن اسحق العبادي المتوفى ٨٧٦ م أكبر المترجمين وأشيعهم ذكراً ، وهو طبيب سرياني ، نقل غير ما نقل في الطب كتاب المنطق المعروف باسم «الأورجانون» لأرسطاطاليس ، وهو من جمعوا بين ثقافة اليونان في الشرق الأدنى وثقافتهم في الاسكندرية التي زارها وأفاد منها كل ما كان معروفاً فيها في وقته من علم ، وهو الذي ترجم أفلاطون ، إلى العربية ، كما ترجم إليها بعض مؤلفات أرسطيدس وجالين وأبقراط .

(١) دائرة المعارف الإسلامية مادة ابن سينا .

(٢) دائرة المعارف الإسلامية مادة ابن سينا .

وترجم ابنه ، اسحق ، كتاب « الجمهورية » لأفلاطون ، وكتاب
« الأخلاق الكبير » ، وغيرهما من كتب أفلاطون ، كما نقل تعليقات
على المقالة الثلاثين من كتاب « المتافيزيقا » ، وترجم الأنجيل كاملا
إلى العربية .

وللعرب إضافات ذات بال في الهندسة ، فلهم علم باسقاط الكرة ، مع
الاحتفاظ بالدوائر والخطوط المرسومة عليها ، وأن يكن هذا عند البعض
من مباحث « علم الهيئة » ، وتقدم على أيديهم علم حساب المثلثات .
ومن إضافاتهم إلى الهندسة « الجيب والمماس » . وصفوة القول أن
العقل العربي الذي كان النقل عن الأقدمين ديدنه وهمه الأول ،
ما لبث أن غدا عقلا مبتدعاً جباراً في ابتداعه ، فلم يخل علم تناوله
العرب أول الأمر بالنقل من إضافة ذات بال أضافوها إليه ، ففي
الكيمياء ، كما في الهندسة ، نشأت لهم إضافات هامة كونت فيهما فصولا
قائمة بذاتها ؛ وفي الجبر ، كما في الحساب ، كانت لهم أبحاث جديدة ،
وتناولوا الفلسفة ، وكان لهم في تناولها أسلوب خاص يوضحه
كتاب « الملل والنحل » للشهرستاني ؛ وفي الموسيقى ظهرت للعرب
ابتكارات خاصة ، فقد أضاف عرب الأندلس وقرأ خامساً إلى
الأوتار الأربعة المعروفة ؛ وفي علم الضوء كانت « الحسن بن الهيثم »
جولات مشكورة أضافت إلى ما عرف من هذا العلم على يد اليونان .
ولقد كان هذا شأن العرب في كل ناحية من نواحي المعرفة ، ولا حاجة بنا
إلى استقراء ما كان للعرب من فضل ، ولو أردنا ذلك ، خررنا

عن الغاية المرسومة، وحسبنا أن نقول أن العقلية العربية التي تكونت
شدة الاتصال بآثار الإغريق، كانت عقلية مستوعبة هاضمة جبارة
في استيعابها وهضمها، كثيرة الشبه بالعقلية اليونانية، فكلاهما إنساني
الترعة، عالمي الاتجاه، أنتج العقل اليوناني ثقافة صلحت لكل
زمان وكل مكان، وأنتج العقل العربي ثقافة مائلة بشتت صلاحيتها
على الزمن رغم ما علق بها من الشوائب، ولا أدل على ذلك من
تلمس المستشرقين للمخطوطات العربية، وأحيائهم لها بالطبع والتعليق
والتبويب والفهرسة والترجمة إلى اللغات الأوروبية، سواء في ذلك
ما كان منها منقولاً عن اليونانية، وما كان من إضافة العرب أو من
وضعهم أصلاً.

ومهما يكن من شيء، فقد كان العرب وسل ثقافتهم، كما كانوا رسل
دين، ولا غرابة — فإن أمة كل همها أن تجعل الإسلام يسود
العالم (وهو دين عالمي، صالح لكل زمان وكل مكان) كانت بلا شك
جديرة بثقافة تمشي مع هذا الطبع العالمي الذي انصف به الإسلام.

والفضل كل الفضل في ذلك راجع إلى الثقافة اليونانية التي هي
من الثقافة العربية بمثابة الروح. والحق أنه لا يسع الإنسان إلا
الاعجاب بذلك التراث الفكري الذي أنبعث من بلاد اليونان، وخلق
على الدهر، دون أن تهوى على انحدار جذوته أحداث الزمان! — كما
لا يسعه إلا الزهو بما كان للعرب من فضل في حفظ ذلك التراث
الفكري اليوناني من عتبات القرون، ثم أحيائه وإضافة اليه إسلامه
إلى الخلف جيلاً بعد جيل.

وعلى نحو ما كانت العقلية اليونانية تجعل من المعارف الانسانية
 «كلا» لا ينحل إلى معارف فرعية، كانت كذلك عقلية العرب
 المتأثرة بها واعية لتراث الأقدمين على نحو مشابه، وكما كان العالم اليوناني
 فيلسوفاً ومشرعاً وعارفاً بالطب ومربياً في وقت واحد، كذلك كان العالم
 العربي ملماً بكل شعاب المعرفة لا يفارق بين شعبة وأخرى، ومصنفات
 العرب العديدة خير شاهد على ذلك... أنظر إلى «الغزالي» و«الفارابي»
 و«ابن سينا» و«ابن رشد» وأضرابهم — هل تجد حداً لما تناولوه
 من حقائق المعارف؟ وهل تجد لديهم من الحواجز ما يفصل فواحي
 المعرفة بعضها عن بعض؟ حقاً لقد كان شأنهم في ذلك شأن أرسطو
 وأفلاطون والاسكندر بن سواد يسوا. ولا غرابة فقد تأثرت
 العقلية العربية وهي تنقل عن اليونان نقلها القوى الجبار تأثراً
 موضوعياً، وهنمت من آراء اليونان في الفلسفة والروحانيات شيئاً
 غير قليل، فوق تأثرها بأساليب البحث اليونانية وطرائقها.

على أن الأمثلة التي يمكن أن نساق على تأثر العقلية العربية بعقلية
 اليونان كثيرة لا سيل إلى حصرها؛ فقد كان من أثر هضم العرب لفلسفة
 أفلاطون والاسكندر الروحانية تقوية التصوف الاسلامي، وكان من
 أخذهم عن «أرسطو» نشوء مذهب «الاعتزال» على ما هو معروف،
 وتأثر العرب بالعقلية اليونانية فيما عدا ذلك واضح في رد علماء التوحيد
 على الملاحدة ولا سيما في مسائل «السمعيات»، وفيها يتضح مدى تأثر
 العقلية العربية المستمسكة بالقرآن والسنة في دورها بالفلسفة اليونانية.
 هذا، ومنهاج البحث في العلوم في العصر الاسلامي بصفة عامة

جدلى كثير الشبه بمنهاج اليونان فيها ، والحق أن الجدل والتناظر كانا على طول عهد الاسكندرية بالعلم معروفين سائدين . وفى سبيلهما اختصم الفلاسفة ، ولقد للملوك أن يشهدوا بجدلهم وعراكمهم ، بل وأن يشتركوا فيه فى بعض الأحيان ، ومرجع هذا الأسلوب الجدلى عند العرب هو الفكر المتفلسف والعقل المسرف فى الاحتكام إلى المنطق ؛ وهما يكن من شئ . فقد كان التزام المنطق والتأثر بالفلسفة من خير الفكر العربى وحسن طالعهما . إلا أن الاسراف فى الجدل والتزام الاحكام المنطقية التزاماً شديداً ، كان من شأنه عند العرب أن حبس بعض حقائق العلم فى قوالب المنطق الجافة ، وعلى أصحاب هذه الأساليب بالمشكلات أكثر من عنايتهم بالحقائق ذاتها ، فلم يخدموا بها غير الجدل البحت . وأقدم جدل عربى معروف هو ذلك الجدل الذى ثار بين الكوفيين والبصريين حول المسائل النحوية . وما الخلافات الصارخة بين « السكاكى » و « عبد القاهر » بشأن المشكلات البلاغية إلا مثال من أمثلة ذلك . وأعظم جدل يعيه تاريخ الفكر العربى فى زمن سخط فيه العرب منطق اليونان ، هو ذلك الجدل الذى حثى وطيسه فى بلاط « المأمون » العباسى حول مسألة « خلق القرآن » — ذلك الجدل الذى لذ للخليفة ورجال بلاطه أن يشهدوه ، على نحو مالد لبطليموس فيلادلف أن يشهد اختصام رجلين من أعظم المتحاجين فى عصره ، هما « كلباجوس » و « أپولونيوس الرودى » .

وليس من شك فى أن العرب لم يصح لهم هذه الأساليب الجدلية علم — إلا منذ وقعت أنظارهم على آثار اليونان الفلسفية . وبعد أن أصبحت لهم بعلم المنطق دراية دقيقة : ولم يتح لهم ذلك على نحو

منظم مكتمل. إلا منذ بدأت حركة النقل العظمى في خلافتي المنصور
والمأمون — ولقد كانت العقلية العربية قبل عصر النقل الأعظم ،
وبعبارة أخرى قبل أن يعتنق العرب أساليب اليونان في الحاجة
والتناظر ، عقلية تدبر بالقول المأثور ، وتأخذ بالحسنة الموجزة ،
يررقها رواء القول فيهما ، وتبهرها بلاغة الكلم وإيجازه وحسن
وقعه في الأسجاع والنفوس ، وتصرفها محسنات القول ومظاهر الحكمة
عن البحث في الأدلة العقلية التي تستند إليها تلك الأقوال ، وأغلب
هذه الجوامع كلام جرى على السنة المجربين والحكماء ، وهي في جملتها
أقوال تغلب عليها الصحة لأنها وليدة التجارب ، والمنطق المستخلص من
التجارب ، يبدو كأنه المنطق ، وهو من المنطق بعيد ، ومن ثم كان تصور
بعض الحكم والأقوال المأثورة ، بل وكان تضاربها واضطرابها في كثير من
الاحيان — ولقد تساق الحكمة ، وبضمير المثل ، ويبدو أن فيها فصل
القول. فلا يلبث السامع الحصيف إذا ساعفته الفريجة ، أن يروى من قوره
قولاً معارضاً يدحض به الحكمة المسافة أو المثل المضروب ، ويرجع
ذلك فيما نعتقد أن العقلية العربية قبل تأثرها بمنطق اليونان وفلسفتهم ،
كانت عقلية تعتمد على ما يسميه علم المطق بالخطايا أو البراهين
الخطائية ، والخطايا من شأنها ألا تقوى على الثبات أمام العقل ، لانبث أن
تخضع لقوانين الضارمة ، حتى يكشف ضعفها وتهار ، ومنذ أخذت العقلية
العربية نفسها بأساليب المنطق ، قلت ثقتها بقيمة هذه الحكم والأقوال المأثورة
— وإن بقي لهذه حتى الآن سلطانها القوي على كثير من النفوس والعقول ،
وقد كان لتناول العرب لعلوم اليونان ، واستغاثهم بالمباحث التي
طارقها هؤلاء أصلاً ، وإضافاتهم إليها على ذلك النحو الواسع الذي نعرفنا

بعض نواحيه في القسم السابق من هذا البحث ، أثره البين في الفكر العربي موضوعاً وأسلوباً — الأمر الذي لم يجعل من هذا الفكر — لحسن الحظ — شيئاً منعزلاً عن الفكر الانساني العام .

وكان من أثر اشتغال العرب بالنقل أن تأقت نفوسهم إلى الارتواء من مناهل العلوم الدخيلة ، من منطق وفلسفة وطبيعية ورياضيات وحيات وغير ذلك من العلوم المنفرعة عنها كالجدل والتصوف والجبر والهندسة والحساب والفلك والجغرافية والأخلاق والسياسة .

وكان لهم إلى جانب النقل فضل الاضافة والنقد على ما بينا . وكان المأمون أكثر الخلفاء العباسيين تأثراً بعلوم الاقدمين وبخاصة اليونان ، يتبين ذلك من ميله المسرف إلى الاخذ بالافقيسة العقلية في بعض مسائل الدين ، وشدة انصياعه خربة الفكر وتحكيم العقل .

وفي العصر العباسي الاول ظهر مذهب الاعتزال ، الذي نشأ من شدة اخضاع النصوص الدينية إلى الاحكام العقلية ، شجعه المأمون تشجيعاً تجلّى في تربيته لاتباع هذا المذهب . ولما كانت دراسة المنطق والفلسفة أكبر ما أعان المعتزلة على اقامة الحجة وتريب البراهين ، أمر المأمون بنقل كتب اليونان فیهما إلى العربية ، فترجم منطق أرسطو ، وعقائد فلسفة ، وأفلاطون ، إلخ .

ويدور تأثر العرب عامة بالفلسفة اليونانية وبفلسفة الاسكندرانيين خاصة في أخذ السليين بنصيب من الفلسفة اليونانية . أرادوا بذلك أن يتمكنوا من مجادلة خصومهم ومن قرع الحجة بالحجة .

ولم تكن الفلسفة على كل حال بالعلم الذي يرتاح اليه نفوس العرب ، فقد ظلت رغم اشتغالهم بها وخوضهم في مسائلها ، أمراً غير مرغوب فيه ، لا تنظر اليه غالبية المسلمين بالارتياح ، وكثيراً ما رمى معتقوها بالكفر والزندقة والالحاد — وبقيت الحركة العقلية المتأثرة بفلسفة اليونان رائجة ظاهرة الآثار حتى زمن المنوكل العباسي الذي كان سنياً متطرفاً ، يكره الفلسفة ورجالها ، والذي اضطهد المشتغلين بها حتى اضطروا إلى الاختفاء والعمل في السر على مراجعة العقل في مسائل الدين الاسلامي ، بقصد اصلاحه وتخليصه من الخرافات وتصفيته من الجهالات التي التصقت به ، وتكونت من أثر ذلك جماعة اخوان الصفا ، التي نشأت في البصرة وبغداد في القرن الرابع الهجري ، ولم يقتصر نشاطها على الفلسفة والمنطق ، بل تناولت العلوم الطبيعية والرياضية والالهيات بشعابها المختلفة ، وتعتبر رسائل اخوان الصفا وقد أربت على الخسين ، أعظم جهد علمي قام به مشغولون بالعلم في العصور الوسطى . ويعتبر عمل اخوان الصفا (فوق أنه تفصيل واف للمسائل الاسلامية أريد به التوفيق بين الفلسفة والدين) منهاجاً لكافة الدراسات الاسلامية العالية في العصور الوسطى . وقد نقل الفرنجة من أبحاثهم الشيء الكثير .

أما تأثر العرب بفلسفة الاسكندرانيين ، فيبدو واضحاً في الحركة التصرفية الاسلامية . التي وجدت في فلسفة أفلاطون تصوراً ظاهراً واعتماداً على الالهام والكشف في فهم حقائق الأشياء . وفلسفته هذه تدعي لنفسها سنداً من فلسفة أفلاطون اليونانية (١) ، وهي رغم

(١) راجع فلسفة الاسكندرية فيما يلي

ما يمتورها من العيوب كفلسفة مدرسة فكرية متأثرة بالروحانيات اليهودية التي ألصقها بها « فيلوه » أول داعية لهذا المذهب في الاسكندرية ، وأستاذ أمونيئاس سكاس وأفلوطين . وتأثر العقل العربي بهذه الفلسفة التصوفية يرجع في الغالب إلى اعتمادها على الروحانيات في تفسير علاقة الآلهة بالإنسان ، وتمجيد الزهد والتجرد ، بقصد تخليص النفس من الأدران حتى تستطيع بصفتها وسموها الانصال بالخالق ، وذلك كلها معان يستنبعها العقل الشرقي المتصوف بطبعه .

• • •

وزعيم هذه الفلسفة ومقرعها في قلوبها الذي انتشرت به وعرفت مصرى ولد في أسيوط ، هو « أفلوطين » ، وهو عقل شرقي متفلسف خلط الروحانيات الشرقية بعنصر ملهين من فلسفة أفلاطون ، فجاء آراؤه فصلاً رائعاً من فصول التصوف ، إن أدخل في عداد الفلاسفة ، كان فصلاً غامضاً من فصولها ، ولوناً شاحباً من ألوانها .
ومهما يكن من أمر هذا المذهب ، فهو معدود آخر فصول الفلسفة اليونانية ، وما أن نضج في مصر حتى هاجر إلى أثينا ودرس في مدارسها المتأخرة ، ووجد سبيله نافذاً إلى آسيا الغربية ، وفيها اختلط بالزرادشتية ، ودرج غرباً إلى روما ، وهناك كان أقل غموضاً وأقل اعتماداً على الألهام . وقد تأثر العقل العربي به تأثراً عجيباً بسبب ما وجدته المسلمون فيه من نزعات التصوف ، اعتنقه الفلاسفة العرب وتناولوه بالنقل والشرح والتعليق ، وكانت لهم في فهمه وشرحه أساليبهم الخاصة (١) .

(١) التصوف هو الانقطاع إلى الله والتفرغ للعبادة حتى يفتى الجسم في الروح ، قال =

ولقد أوحى نظرية «أفلوطين» في قدم الله وصدور العالم عنه ، وما فيها من وجود وسائط أربع بين الله والكون إلى فلاسفة المسلمين بنظر يتهم المشهورة في العقول العشرة أو الوسائط العشرة — رأى «أفلوطين» أن الوسائط بين الله والمادة أربع ، ولكن فلاسفة العرب زادوها إلى عشرة — وليس من قبيل المبالغة ما يقال من أن هيام أفلوطين وطموحه إلى السعادة الأبدية عن طريق الامتزاج بالله (على ذلك النحو الصوفي الرفيع الذي يقرره في فلسفته) مصدر من مصادر التصوف الاسلامي العديدة ، استقى منه الفلاسفة المسلمون نظريتهم في الاتصال بالخالق — وإن يكونوا قد نهجوا في الوصول إلى ذلك نهجهم الخاص ، على ما هو معروف في كتبهم الفلسفية .

• • •

وما لاشك فيه على كل حال أنه كان من أثر دراسة المسلمين للفلسفة اليونانية نشوء فرق الزنادقة والملاحدة الذين أوردوا كثيراً من الشبه على

== متصل فيه الروح الأدمية بالروح الأعلى أو العقل الأول - على حد تعبير الفلاسفة . وأهم مصادر التصوف الاسلامي القرآن والسنة ؛ ومنها الرهبة المسيحية واليهودية والزرادشتية القديمة . وهي حالة أصبحت المطلق التي يلزمها فقراء الخنود . والتي هي ناشئة عن التنازع القائم في ذات الخالق .

وللصوفيين آراء وزيغات تدور حول الزندقة في الدنيا والانصراف عما فيها من عرصات ومباهج ومعريات . وللصوفية مساجد خاص للوصول إلى السعادة فوامع العلم بالشرعية من قرآن وحديث وما يتصل بها - أما العلم الذي أجده الفلاسفة أنفسهم في الوصول إليه ، فلا يراء المتصوفون ضرورياً لهم - وبعض الدخوليين على الصوفية يرى التصوف في مجرد الخروج وترك الدنيا ، والحقيقة أنه لابد للمتصوف من علم يعمل به . ومن لم يحفظ القرآن والحديث يستحيل عليه أن يكون متصوفاً ، لأن التصوف مقيد بالقرآن والسنة قبل كل شيء .

العقيدة الإسلامية، وكان معظم هؤلاء من الأعاجم الذين كانوا ينجبون
الفرص للظهور بالباطيل قصد افساد العقيدة الإسلامية وزعزعتها،
وقد أدت حركاتهم هذه إلى قيام علماء التوحيد يردون على الزنادقة
والملاحدين ويدفعون شبههم عن الدين الخفيف — وجهه هؤلاء
في ابطال تلك الشبه بأدلة فلسفية من نوع الأدلة التي ساقها المزندقيون
والملاحدة لا بطلان لبعض العقائد الإسلامية التي أثبت بالقرآن والسنة،
وكان لدفاع علماء التوحيد أثره البالغ في توكيد العقيدة الإسلامية
وحفظها من عبث العاصين واطلاع الناس على نواحي الزيف والضلالة
في أقوالهم .

وأثر اليونان واضح تمام الوضوح في فلسفة الاخلاق عند المسلمين؛
وما آراء «الفراجلي» في النفس وقواها إلا استيحاء لآراء «أرسطو»
وأفلاطون؛ ورأيه في «العقل النطري» متأثر برأى «أرسطو» فيه .
وتأثر الإمام بفلسفة الاغريق ظاهر تمام الظهور في كتابه «معارج
القدس في مدارج معرفة النفس» (١) .

ولم تخل آراء «ابن مسكويه» و«ابن عربي» الاندلسي من
التأثر بفلسفة الاغريق .

أما تأثر العرب بالعلوم اليونانية الاخرى، فيظهر جلياً في الافعال
على وجهتها إبان عصر النقل الاعظم، وفي التعليقات عليها والاضافة
اليها ونقدتها (٢) .

(١) راجع : محمد يوسف موسى ، فلسفة الاخلاق في الاسلام وحملاتها بالفلسفة

الافرنجية . (٢) راجع من ١٥٦/١٤٦ من هذا البحث .

القسم الثالث

تعليقات وشروح وتراجم

الباب السابع

الفصل الأول

جامعة الاسكندرية بين قوة الانتاج وضعفه

إجمال لتفصيل

الجامعة في عصرها الأول — الجامعة في العصر البطلمي في المتأخر —
انتاجها — الجامعة والمسيحية — أثر الصراع الديني بين المسيحية والنونية —
الجامعة في سبيل الفناء — ضعف الانتاج العلمي — الحركة الفلسفية .

مرت الجامعة بمراحل ثلاث ، كانت في أولها فتية ناشئة ، ناقلة
لكل ما عرف الاغريق من حقائق العلم الانساني . وكانت حيوتها
رهنًا بقوة منشئها من ملوك البطالة ، فظلت في حمايتهم ورعايتهم دهرًا
طويلا تتمتع فيه بكل ما تحتاج اليه جامعة من حرية وتشجيع وانفاق
على مرافقها المختلفة بسخاء ؛ وزودها منشئوها بأنواع من عجيب الحيوان
والنبات جلبت إليها من جهات نائية ، وآلات رصد هي خير ما عرفه
العالم القديم من وسائل دراسة الأجرام السماوية ومكتبة كبرى
حوت أعظم المصنفات وأندرها ، إلى غير هذا وذلك مما لم يدخر
البطالة الاوائل وسعاً في توفيره لجامعتهم الناشئة .

• • •

وكانت الفكرة في هذه العناية التي صرفها هؤلاء في خدمة العلم
جليلة واخوة — ذلك أنهم قصدوا إلى أن تصبح الاسكندرية «أثينة»

ثانية ، تحمل لواء العلم الذى هوى أو كاذ يهوى فيه أثينا اليونانية . وقد كان لهم من سلطانهم ونفوذهم السياسى ما استطاعوا به أن يحققوا لها هذا المركز الممتاز ، فلما أن ضعفت هذا السلطان ، وتضعف ذلك النفوذ السياسى ، وشغل أفراد البيت المالك بالخلاقات الشخصية ، تأثرت جامعة الاسكندرية تبعاً ، وأدركها من الضعف ما أدركها فى الخلفاء الأخيرة من القرن السابق الميلاد ، وكادت تندثر كل الجهود الطيبة التى بذلها البطالمة من أجل انشاء جامعة كبرى تاهض جامعة أثينا وتخلفها .

وبلغ الضعف من جامعة الاسكندرية منتهاه فى عهد كليوباترة ، فبقيت فقدت الاسكندرية المكانة السامية التى عرفها لها العالم القديم ، وفقد العلم إذ ذاك عنصرين هامين من عناصر نموه هما الهدوء والاستقرار ، اللذان لا يذ منهما للاتجاه العلمى المثمر .

وكانت الجامعة فى هذه المرحلة الأولى قرية لا تاج بفضل الروح القوية التى كانت تنفخها فيها جامعة أثينا ، وبفضل ما احتفظت به من تراث أرسطو وأفلاطون وغيرهما من الفلاسفة والعلماء . وظهر فى هذا العصر الأول ، عصر تفوق جامعة الاسكندرية ، من العلماء ، أفقليدس ، أبو الهندسة و ، أراتوستينز ، الفلكى الرياضى و ، أرسطاركس ، الفلكى و ، كليماخوس ، الأديب والعالم فى فن المكتبات ، ومن الأدباء الكبار ، ثيوكرىس ، الشاعر الصقلى الأصل . أما الرياضيون فقد تأثروا من غير شك ، بأرسطيدس ، الذى عاش فى سيراكيوز ، من أعمال صقلية ، والذى يقترن اسمه بما

يعرف في علم الطبيعة وبالثقل النوعي Specific gravity ، وليس هناك ريب في أن جامعة الاسكندرية احتفظت بنظريات ولا سيما هذه النظرية ، ومنها نقلت إلى أوروبا ، وأدركها البحث الحديث فأبدها ، واعتمد عليها .

وأما دارسو الفلسفة عن أرسطو وأفلاطون ، فقد كانوا على الأرجح متمنعين فيها ، متفهمين لأصولها ، هاضمين لها ، دون أن يكونوا مضيفين اليها أو مبتكرين لجديد فيها . ولم ينشأ الاسكندرية في هذه المرحلة مذهب فلسفي ما ، وتأخر ظهور مذهبها الفلسفي إلى المرحلة الثانية من مراحل حياتها ، وهي المرحلة التي كادت تلتشى فيها الجامعة ويغيب انتاجها — أما الادباء ، فقد كان زعيمهم « تيوكريتس » صقلى الاصل ، كتب كل ما كتب تقريباً عن الحياة الريفية في صقلية ، وتميز الادب الذي نشأ بالاسكندرية بروح خاصة ، لم يكن أدباً مبتكراً ، وإنما كان أدباً متقولاً بوجه عام . على أن هذا النقل في ذاته فضل يذكر لجامعة الاسكندرية بالخير ، فقد ظلت على الرغم من عدم اقتدارها على الإشكار في الادب ، تناقش قضايا العلوم المختلفة ، وتبحث في الطب وتهتدى فيه إلى حقائق قيمة لم تسبقها اليها جامعة أخرى ، حتى أسلمت هذا التراث العلمي إلى أوروبا ، حيث احتفظت به الأديرة والكنائس إلى عصر النهضة .

• • •

ثم أتى على الجامعة حين من الدهر كان شر مرحلة مرت بها ، فقد عانت فيه هواناً أدبياً شديداً بسبب ما قاسته المدينة نفسها من

الهوان السياسي في عصر البطالة المتأخر ، وكان ذلك في الحلفات السابقة للميلاد مباشرة . وليس من شك في أن انعدام الكبرياء القومي ، وحالة الاضطراب التي سادت هذا العصر قد أدت إلى هبوط شديد في محيط العلم الذي لا يزدهر عادة إلا في مجبوحة من الحرية والعزة القومية .

ونحن لا نكاد نسمع عن عالم أو فيلسوف أو أديب قد عانى طول هذا العصر . وفي هذا الوقت اصطدمت الجامعة صدمة عنيفة بالمسيحية ، وحدث صراع هائل بين الجامعة باعتبارها منعقل الوثنية الذي تركزت فيه كل علوم الوثنيين وآثارهم ، وبين الدين الجديد . وكان لهذا الاصطدام أسوأ الآثار على العلم الاسكندري إطلاقاً .

دخلت المسيحية مدينة الاسكندرية . وأعلنت عداؤها لكل ما هو وثني ، وأول مظاهر من مظاهر الصراع بين الوثنية والمسيحية تحويل المعابد الوثنية إلى كنائس مسيحية ، وأعدام ما بها من آثار الوثنيين . وفي هذا الصراع العنيف ضاعت كنوز للعلم عظيمة كان يحوزها معبد « القيصريون » (١) « وه السرايوم » . وجعل المسيحيون من « القيصريون » كنيسة سموها باسم كنيسة « القديس ميخائيل » وجعلوا من « السرايوم » مجموعة كنائس أطلقوا عليها أسماء القديسين : « دميان » و « قزمان » و « يوحنا المعمدان » وغيرهم .

(١) بانه كلبو بإدارة تحليداً لقيصر ، وأودعته عدداً لا بأس به من الكتب

وعلا خلاف فيه أن هذا الحادث الجلل الذي طرأ على الاسكندرية ، لا بد أن يكون قد أثر فيها من ناحيتين : الأولى ، أنه أفقدها ثروة علمية جليلة القيمة ، والثانية أنه اتجه بها اتجاهاً فكرياً جديداً .

والحق أن هذا الحادث الذي نود أن نعتبره فاصلاً بين عهدين ، حادث كبير الخطير في ذاته ، لأنه يعين في تاريخ الجامعة عصرين متباينين كل التباين .

العصر الأول (٣٠٦ — ٣٠ ق . م)

فيه قرب بطليموس «سوتر» (٢٨٥/٢٢٣ ق . م) أعظم رجال الأدب والفلسفة في عصره إليه ، وساعده في اختيارهم صديقه الخطيب الاثيني ، ديمتريوس فاليريوس . وهو الذي وضع أساس مكتبة الاسكندرية ونظم جامعتها : «سوتر» المتحف الاسكندري . وجعل منه «أكاديمية للعلوم والآداب» . وجاء بطليموس فيلادلف (٢٨٥/٢٤٧ ق . م) فتابع العناية بالمتحف . واشترى للمكتبة مجموعة مؤلفات «أرسطو» وأضاف إليها مصنفات أخرى يهودية ومصرية قديمة . وجاء بطليموس الثالث فاشترى لها أشهر مؤلفات الروائيين الاثينيين التي كانت تغخر بها مكاتب «أثينا» وتحملها بين محفوظاتها مكاناً محترماً : وأجبر كل من زار الاسكندرية من الكتاب على أن يترك بها قبل مغادرته لها نسخة من مصنفاته إن كان من أصحاب التصانيف .

ويمتاز هذا العصر الأول بأنه عصر أدبي علمي معاً ، ولقد كان في الواقع محاولة جبارة لاستئناف الثقافة الهلينية والسير بها خطوات أخرى إلى

الامام ، في وقت أصبحت فيه الاسكندرية المركز الوحيد في العالم للاحتفاظ بهذه الثقافة ؛ وبقيت كذلك حتى القرن السابق للميلاد الوقت الذي نشأت فيه مدارس أخرى في رودس وسوريا آخذة عن الاسكندرية نظامها وعلومها .

وامتد ظل هذه المؤسسة الفتنة فشمل العالم المعروف في ذلك الحين ، وبقي هذا الظل الوارف ممتداً فوق ربوعه إلى أن بسط الرومان سلطانهم السياسي على مصر ، فانتقل مركز الثقافة من الاسكندرية إلى روما . ولم ينسح للاسكندرية أن تبث تنشأ أدباً ممتازاً ، ولم يعن الاسكندريون بغير نقد الادب القديم ، وخلقوا أدباً لم يكن قومياً بحال ، كان كل المقصود به أن يصادف هوى الفريق المتعلم أنى وجد في أى بلد من بلاد العالم القديم . ولعل هذا يفسر المهمة المزروجة التي أخذتها الاسكندرية على عاتقها وهي مهمة الاحتفاظ بالتراث الهليني من ناحية ، وإشاعته والنسج على متواله لأرضاء متذوقيه من ناحية أخرى — لهذا عرأن يظهر في الاسكندرية أدب مبتدع فد في ابتداعه ، وما ساعد على ضعف الادب الاسكندري ، أنه كان وليد المادة ، فقد دأب عواهل البطالة على اجازة قائله ، بقدر ما تورط هؤلاء في مدحهم . والادب الذى يباع ببيع السلع لا يمكن أن يكون أدباً حقاً .

وكان الاديب في ذلك العصر غير منقطع للادب . فكثيراً ما كان الاديب مشتغلاً بمسائل العلم والبحث ، ولا جدال في أن الاديب غير العالم ، والعالم غير الاديب ، ولا صلة بين العلم والبحث ، والادب البحث ، فكيف يكون الاديب عالماً فذاً . والعالم أدبياً مبدعاً ؟

وأشهر أنواع الآثار الأدبية في الاسكندرية في عصر قوة إنتاجها
والشعر القصصى ، الذى كان أكثر الأنواع تداولاً ورواجاً ، وكانت
المقطوعة أماتارخية أو تهذيبية أو استعراضية تشرح أموراً من أمور الحياة ،
أو تعبر عن عقيدة دينية ، وكان الشاعر يحرص على أن يصب فيها كل
ما وصى قلبه من حقائق العلم الانسانى وأن يودعها كل مقدرة
الفنية على الصياغة والسبك وحسن الأداء .

ولم يكن هناك ما يمنع من أن تكون المقطوعة منظومة علمية
بحثة ، تناقش الطقس أو تصف علاجاً للفسم أو عض الحيوان
المفترس ، أو غير هذا وذلك من المسائل التى لا تمت إلى الذوق الأدبى
بصلة قريبة أو بعيدة .

والذى يمكن أن يقوله القائل في غير ما حرج ولا تردد ، أن
الأدب في الاسكندرية كان صناعة أخص صفاتها دقة في التعبير ،
ومراعاة للأوزان ، وانصراف إلى كل ما يجعل الفن الشعري
بالغا حد الكمال : وهذه وإن كانت كلها صفات لا يستقيم الأدب
الشعري بدونها . إلا أنها ليست أهم مميزات الأدب القيم ، فهى لا تغنى
عن الابتكار ، ولا تصرف النظر عن الذوق الأدبى الذى هو أهم
عناصر الأدب الصحيح .

وأنتج شعراء الاسكندرية كليماخوس Callimachus وقد غنت
معظم آثاره الأدبية ، اللهم إلا بعض الأناشيد .

ومن أوضح ألوان الأدب الاسكندري الشعر التمثيلي . وقد قام
سبعة من أدباء العصر الأول بتأليفه ، بإيادى الاسكندرية ، ولا ندرى أين

يمكن العثور على هذا الأثر الأدبي الكبير ، ونشأت بالاسكندرية
 « الرواية الهازلة » لنفس الغرض الذى نشأت من أجله فى بلاد
 اليونان (١) من قبل ، ألا وهو نقد المجتمع الاسكندري الراقى ، بأظهار
 عيوبه على المسرح ، بطريقة لاذعة أصابت هذا الفريق من الناس فى
 صميم مواطن الضعف فيه .

وكانت للنقد منزلة عظيمة بين فنون الأدب الاسكندري ، وكان
 موضوع النقد آثار الاغريق الأدبية ، فقد تتولت بالشرح والتعليق مدة
 قرنين فضمن لها ذلك حياة خالدة ، ووضوحاً أبعدنا عن اللبس والابهام ،
 فأصبحت بفضل أدباء الاسكندرية ونقادها مفهومة على توالى الايام .
 وخدمات جامعة الاسكندرية فى هذا السبيل لا تقدر ، فقد
 قامت بمهمة تذكر بالفضل ، أشبه ما تكون بمهمة الناشر الشارح
 لهذه الآثار الأدبية اليونانية .

وليس هناك من شك فى أن مهمة النقد تحتاج إلى الملم تام بفروع
 المعرفة الانسانية ، وكانت معارف علماء جامعة الاسكندرية وأدبائها
 واسعة غير محدودة ، وكان ذلك من خير النقد ، ولا يبعد أن تكون
 نشأة علم القواعد وه تصنيف الموسوعات ، ووضع القواميس اللغوية ،
 وغير ذلك من العلوم القريبة الاتصال باللغة قد صحبت هذه الحركة
 الأدبية الواسعة النطاق ، حركة نقد الاداب اليونانية فى الاسكندرية .
 ولولا هذه الجهود المشكورة ، لما أمكن الاستفادة من مخلفات

(١) جرى الاسكندريون من كتاب الرواية الهازلة على من استادم
 ميناندر ، Menander الأثينى ، وعرفت آثارهم باسم « الكوميديا الجديدة » .

الاغريق : ومن أشهر النقاد الاسكندرانيين في الفترة الاولى من حياة الجامعة « أرسطاركاس » ، و « كليماخوس » ، و « زودوتس البيزنطي » ، وإلى جانب المدرسة الاذبية كانت تقوم المدرسة « الرياضية » وزعيمها « أفقليدس » ، ومن أشهر علمائها « أرشميدس (١) » ، و « أيولونيوس » ، صاحب رسالة « القطاع المخروطي » ، Conic Section ، و « أراتوستينز » أول من حاول قياس محيط الارض و « هياركاس » أول باحث في السموات ، وهو الذي قرر لأول مرة أن الشمس هي المحور الذي تدور حوله الكواكب السيارة .

ويقترن تاريخ الطب والتشريح في هذا العصر الاول باسمين لامعين هما : « هيروفيلوس » و « أرسستراتس » ، أول جراحين عرفهما العالم القديم ، وما ساعد على تقدم الطب والتشريح بوجه خاص أن البطالة كانوا يمدون المتحف الاسكندري بالمجرمين الذين يراد تنفيذ عقوبة الاعدام فيهم لتشريح أجسامهم ودراستها .

وفي جامعة الاسكندرية كشفت في هذا العصر وظيفة الاعصاب ، ونقلها لانفعالات الفرح والحزن وغيرهما من أنواع الانفعالات ، وهكذا عرف الاسكندريون لأول مرة أن المخ هو جماع الجهاز العصبي . وكان علماء الطب في الاسكندرية يفهمون « الدورة الدموية » تمام الفهم ، أما « الجهاز التنفسي » ، فلم يكن قد عرف بعد معرفة تامة ؛ وكانت

(١) أرشميدس لا يعتبر في الحقيقة من علماء الاسكندرية إلا أن أثره على أفراد مدرستها الرياضية كان كبيراً جداً ، طبعهم بقلائمه في البحث ، حتى لا يمكن لباحث أن يغفل ذكره عند الكلام على تلاميذه الاسكندرانيين ، فاحمه علم عليهم جميعاً .

الاسكندرية بوجه عام مركز الثقافة الطبية في العالم القديم . يؤمها
النبات الراغبون في تعلم الطب من كل حدب وصوب على نحو
ما يؤمّون الآن جامعات أوربا لنفس الغاية .

أما عن علمي النبات والحيوان ، فقد ظل « أرسطو » واتباعه
القادة في هذا الميدان ، على أن الحقائق التي وصل اليها الاسكندريون
كان ينقصها الكثير من الدقة لاحتوائها على بعض الاغلاط الناشئة من
عدم وجود المجهر (الميكروسكوب) . وظلت الاسكندرية تحمل
لواء الرياضة والفلك والطب إلى ما بعد الميلاد برمن غير قصير .

العصر الثاني (٣٠ ق . م — ٦٤٢ م)

كانت المسيحية حادثاً جللاً له خطره في دائرة العلم الاسكندري
فقد أسفر النزاع بين المسيحية والوثنية عن أسوأ الآثار ، وأعنت
بالتدريج روح البحث العلمي الصحيح ، وربما كان السبب في ذلك
هو زوال المراجع العلمية ، ورغبة المسيحية عن كل ما هو وثني .
ونشأت بالاسكندرية من أثر ذلك روح أخرى جديدة ، لم تعتمد
على الفكر البحث ، وإنما أفسحت المجال للأوهام والخيالات ،
وأمدتها المسيحية واليهودية بكثير من تعاليمهما ، فنشأت بذلك
مدرسة فلسفية لا تعتمد على « الفكر » الذي هو أساس الفلسفة
الصحيحة ، بقدر ما اعتمدت على « الالهام » . ولامت هذه المدرسة
الفلسفية بين عناصر يهودية ومسيحية وهلينية مقاربة ، فكانت
بطبيعتها هذه شرقية غربية في وقت واحد .

وأنتجت الروحانيات اليهودية ، باختلاطها بالفكر اليوناني مسألة

جديدة فلسفية الذوق في بعض مظاهرها ، آخذة بعض آراء اليهود في الحق الالهي — والحق أن مبادئ اليهود في الاخلاق قد أمدت فلاسفة الاسكندرية بمادة فكرية لا بأس بها في عصر أخص مميزات جدد فكري عظيم أخذت تعانیه المدينة على أثر دخول المسيحية فيها . وهذه المسألة الجديدة التي نشأت من هذا التفاعل ، مسألة متشعبة أساسها « فلسفة أفلاطون » و « فيثاغورس » ، وقد تسمت في الاسكندرية باسم « الافلاطونية » الحديثة و « الفيثاغورية » الحديثة . وأول مبشر بهذه الفلسفة الجديدة « أمونيوس سكاس (١) » .

وزعيم هذه المدرسة الفلسفية « أفلوطين » ، ومن أقدم علمائها « فيلوه » وهو فيلسوف يهودي كونت أبحاثه نواة هذا المذهب قبل معرفته وذيوعه بأكثر من قرنين من الزمان ، وظلت تلك النواة دفينه حتى جاء « أمونيوس سكاس » فبعثها بعثاً جديداً ، وبشر بالتعاليم الجديدة ، وكان أستاذاً « لأفلوطين » الذي تفرق النظرية باسمه .



على أن من أسباب ضعف الانتاج في جامعة الاسكندرية في هذه الفترة الثانية من حياتها ، يرجع أول ما يرجع إلى الخلافات التي دبت بين أفراد البيت المالك في مصر ، فقد أدى تشاحن البطالمة فيما بينهم على امتلاك العرش إلى حروب ومنازعات أفقرت خزائن البلاد وعاقبت من تقدم الفكر في الفترة التي أعقبت موت بطليموس

(١) وقد اختلف إلى إلى الاسكندرية فأفاد الاسكندريون كل نظرياته المعروفة

(٢) قصة الفلاسفة اليونانية للأستاذين احمد أمين وزكي نجيب محمود

الثالث ، أى منذ عام ٢٢١ ق.م — ففى تلك الفترة الزمنية التى تنتهى بعام ٣٠ قبل الميلاد ، كانت البلاد مسرحاً للاضطراب والتدهور السريع . ويعتبر ضعف الانتاج فى هذه الحقبة مقدمة لحالة الانحلال الفكرى الشديد الذى أصاب الجامعة فى عهدها الثانى .

وعلى الرغم من ذلك ، فقد ظهرت بالاسكندرية بعد الميلاد حركات فكرية لا بأس بقوتها فى نواحي الآداب والطب والعلوم ، فى عصور سادها الصراع العنيف بين المسيحية والوثنية — ففى الفترة التى تنتهى بعام ٢٧٣ للميلاد وجدت الجامعة من عناية القيصرية مثل ما وجدت من عناية البطلمة من قبلهم ، فقد كان الامبراطور هدر يانه مثلاً يحتلف إلى المتحف ، ويشترك فى المناقشات العلمية والادبية فيه — وكان اعتماد هذا العصر على المكتبات الفرعية فى السراييم والقيصريون ومكتبات الافراد . ومن أظهر شخصيات هذه الفترة من حياة الجامعة الخطيب هـ بولكس و Pollox الذى أنشأ له الامبراطور كرسياً لتدريس فن الخطابة فى الجامعة ، وهو من كانوا يحذقون قواعد اللغة اليونانية وآدابها .

على أن انعدام الحرية السياسية والفردية فى العصر الرومانى ، وانشغال البلاد بمصيرها السياسى لم يدع مجالاً للعناية بالعلوم والآداب . وأشهر انتاج موروث عن النصف الاول من القرن الاول الميلادى ، بعض المساجلات الادبية التى وصلت إلينا مدونة على قطعة من ورق البردى ، وبعض الاشعار من أنتاج الشاعر هـ هليودور . معروفة باسمه الاثيوبيات ، ، وشعر هذا العصر ضعيف ينعدم فيه التجديد

وربطه التأخر، ومعظم كتاب هذا العصر من غير الاسكندريين، وفيه شاعت طريقة نظم العلوم في منظومات شعرية تسهила لحفظها. ومن أشهر شخصيات العصر الطبيب المشرح، كلود جالين، الذي بلغ على يديه فن التشريح مبلغاً رفيع من شأن الاسكندرية وخلد ذكرها في الطب الجراحي. وكانت الدولة الحاكمة حربية الطابع لا تعنى إلا بكل ما له مساس بأقامة صرح الامبراطورية: وإلى هذا يعزى ضعف انتاج العصر الثاني بوجه عام، وعلى الرغم من كل ذلك فقد أنجبت الاسكندرية المهندسين، «نيلاس» الذي درس «الدائرة» و«سيرنوز» الذي خطط مدينة السويس، فضلاً عن «پاپوس» الذي قرب «أقليدس» و«أبولونيوس» و«أرشميدس» إلى افهام الناس — ولولا جهود هؤلاء وجهود العالم الجغرافي «كلوديوس بطليموس» لانصف هذا العصر بالجذب العلمي الشديد، وللعالم «ثيون» وابنته الفيلسوفة الوثنية «هپاشيا» فضل يذكر في رفع شأن الاسكندرية في هذا الشطر من حياتها العلمية. وكثير من العلماء الذين أظهرهم هذا العصر اشتغلوا بمسائل اللغة وعلقوا على الأشعار الهومرية، ومن أشهرهم «أبولونيوس الديسكولي».

ومن فلاسفة هذا العصر «أمونيوس سكاس» زعيم المدرسة الفلسفية المعروفة باسم «الأفلاطونية الحديثة». وتلميذه «أفلوطين» الذي ينسب إليه المذهب. وهما خير من يمثل الحالة الفكرية في هذه الفترة من الزمن، وهي حالة غلب فيها اللجوء إلى الإلهام في كشف حقائق الأشياء دون المنطق، فقد اعتقد فلاسفة الاسكندرية في هذا.

العصر (وهم معلمو الأفلاطونية الحديثة) أن هناك شيئاً أسخى من الفكر في ادراك حقائق الأشياء ، هو البصيرة أو الكشف ، وهما كفيلا أن عندهم بأدراك حقائق الأشياء . ويعزى كثير من الخسارة العلمية في العصر الروماني إلى الصراع بين المسيحية والوثنية وضياع كثير من الكتب في هذا الصراع . وكان أثر الوثنيين بالغاً في حالة المدينة العلمية ، حتى بعد ذبوع المسيحية وانتشارها — فقد أتيح للفلاسفة الوثنيين أن يحاضروا في الجامعة في فترة ضعف فيها الحماس الديني الذي منع هؤلاء من أن يقيدوا بعلمهم جمهور الاسكندرية عند أول دخول المسيحية ، وكان لعودة الوثنيين إلى الظهور على مسرح الحياة الفكرية في الاسكندرية أثره في أنعاش الحركة العقلية في المدينة ، والحق أن تقدم الفكر الاسكندري أو تأخره على طول العصر الروماني ، كان مرهوناً بقيام الوثنيين أو قعودهم عن الاشتراك في مسائل العلم والفلسفة — فلما أن فقدتهم المدينة نهائياً في أواخر القرن الخامس الميلادي ، بسبب قتل الإمبراطور هـ زينو ، للأساتذة الوثنيين في الجامعة ، بدأ عهد الاسكندرية بالاضمحلال العلمي . وبناء هذا الفريق اطراد عدد العلماء المسيحيين . ومن أشهرهم في القرن السادس هـ حنا فلوپونس ، اللغوي العالم بالتوحيد والمعلق على فلسفة أرسطو ، وهو من خيرة مفكرى الاسكندرية ذوى الآراء الحرة التي كانت تدنو في نظر بعض البطارقة من الحرطقة ؛ وهو مؤرخ مشهور اعتمد عليه وبتلر Butler مؤلف فتح العرب لمصر Arab Conquest of Egypt ومن الشخصيات البارزة في نهاية القرن السادس الميلادي واسطفان

الفيلسوف ، وهو من الاساتذة المسيحيين الذين درسوا ارسطو ،
 وعلقوا عليه ، ومن الذين أضعفوا عقيدة الطبيعة الواحدة ، في
 المسيح . وقد حارب من أجل ذلك حتى رحل عن الاسكندرية .
 وفي خواتيم هذه الفترة كانت الروح الهلينية تلفظ أنفاسها الأخيرة .
 وذلك بسبب انتصار المسيحية على الوثنية واندحار الآراء الحرة .
 واكتمال حركة النهوض القوي بين أقباط مصر ، وكان من جراء
 ذلك تدهور محسوس قضى قضاء تاماً على ما كان الاسكندرية من آداب
 وعلوم — اللهم إلا بقية من الطب والكيمياء أدركها العرب في
 الاسكندرية بمتزجة بالمعجزات والتنجيم ، وخلاصة من الفلسفة
 مختلطة بالدين أشد الاختلاط وأقواء .

الفصل الثاني

فلسفة الاسكندرية

فيلو ، و بوانس ، فلسفة جديدة — أمونيوس سكاين — أفلوطين ومذهب الاسكندرية (الأفلاطونية الحديثة) — أثر الأفلاطونية الحديثة في نشوء التصوف المسيحي — أثرها في فلسفة العصور الوسطى ، المدرسية ، — أثرها في التصوف الاسلامي — هل من أثرها في سبنوزا وديكارت ؟

فيلو : ولد فيلو سنة ٢٥ ق.م من أبوين يهوديين بمدينة الاسكندرية ، ومات سنة ٥٠ بعد الميلاد ، فهو معاصر لدخول المسيحية إلى الاسكندرية ، شهد صراعها مع الوثنية ، ذلك الصراع الحاد الذي كان له أثره على العلم والفلسفة .

وهو زعيم مدرسة فكرية أنشأها في الاسكندرية ، جمعت بين التوحيد اليهودي وفلسفة أفلاطون . وما وصلنا من كتاباته يلقى ضوءاً ساطعاً على روج ذلك العصر ، بما كان فيه من صراع بين اليهودية والوثنية ، وبين المسيحية والفلسفة اليونانية .

وهو أول من وفق بين التعاليم الاخلاقية اليهودية والفلسفة اليونانية ، حاول جاهداً أن يدل على أن كل الآراء اليونانية أو جلها مستغرقة في مبادئ اليهود الاخلاقية . وإلى هذا الزعم انصرفت كل جهود اليهود المشتغلين بالمسائل الفكرية في ذلك العصر ، فكل ما وصل اليه العقل اليوناني مستمد في نظرهم من الثوراة ، ومن شريعة موسى عليه السلام .

وعند « فيلو » أن العقل اليوناني ، بما أوتي من مقدرة فائقة على استكناه الحقائق ، عجز كل العجز عن ادراك حقائق الاشياء ، وأن التفسير الوحيد لكل أشكال من هذا النوع يلتمس في التوراة . فليس شيء عنده أقدر على شرح حقيقة الكون من ذلك الكتاب المقدس . و « فيلو » أول عقل حاد بالفلسفة عن طريقها المنطقي ، ونحاجها نحو الالهام والتصوف — وهو على بعد الشقة بينه وبين « سكس » و « أفلوطين » ، استاذهما في هذا المضمار . والخلاف بينهما يتلخص في أن « فيلو » هذا مزج بين اليهودية والفلسفة اليونانية ، أما مثلو الأفلاطونية الحديثة فقد مزجوا بين الوثنية والفلسفة اليونانية — وليس معنى هذا أنهم لم يقبلوا العنصر اليهودي الذي جاءهم مندجاً في هذه الفلسفة منذ ألصقه بها فيلو .

ويرى « فيلو » أن الحواس والعقل معياران كاذبان للمعلومات لا يصح تصديقهما ، وأن المعلومات الانسانية لدنية صرفة ، نشأت في الفكر نشوءاً داخلياً لا علاقة للحواس به . وهو لا يعترف بأن الله خالق المادة ، وإنما عالم المادة عنده من خلق قوى أدنى من القوة الالهية .

وهو يشبه فكرته في الخلق وصلة الاله بالمادة ، بانثاق يوراني يشع من الاله ، تمتد منه خيوط تأخذ في الضعف والزوال عند بلوغها عالم المادة — فالله نور ، والمادة ظلام ، ولا علاقة في رأيه بينهما .

• • •

لم تكن جامعة الاسكندرية في عصرها الاول بدراسة الفلسفة

عنايتها بالعلوم والآداب اليونانية ، ولكن لما ليس فيه شك أن
فلسفة سقراط وأفلاطون وأرسطو كانت موضوعات للدراسة في
المتحف الاسكندري ، وكذلك كانت فلسفة الرواقين والابيقوريين .
تناول الاسكندريون هذه الفلسفات تناول المعجب بها ، وقرروا
مبادئها تقريراً ، من غير أن يقوموا بمجهود يذكر للانتفاع بهذه
الفلسفات المختلفة في ابداع نوع جديد . وهكذا كانت دراسة
الاسكندرية لفلسفة اليونان مجرد تعلق بأهداب القديم .

ثم جاءت المسيحية بتعاليمها الجديدة . فوقفت وجهاً لوجه أمام
كل شيء وثني . تصارعه فتصرعه أو تتأثر به وتتخذة سنداً لها
وعوفاً . هكذا كان شأنها مع جامعة الاسكندرية ، رفضت منها
الجانب الفلسفي البحت الذي لا يظاهرها ، وقبلت الجانب الذي رآته
لا يتعارض مع مبادئ الدين الجديد .

وهضمت المسيحية فيما هضمت من الفلسفة جانباً يهودياً لاهوتياً
مختلطاً بشيء غير قليل من آراء الاغريق فيما وراء الطبيعة . رأت
المسيحية وهي تحارب جامعة الاسكندرية الوثنية أن تقبل هذه
العناصر المختلطة ، وأن تستعين بها جميعاً على الذيوع والانتشار ، متخذة
لنفسها سنداً من الفكر القديم .

قبلت المسيحية بعض الآراء الفلكنسية ، ووافقت بعضها الآخر ،
وظهر من المتحمسين للمسيحية ، الذين رأوا ضرورة للتشبيث
بالفلسفة ، فريق خلطوا الدين بالفلسفة ، وأنتجوا نوعاً من «التصوف»

بنوه على أسس مشوهة من فلسفة أفلاطون .

NEO PLATONISM الأفلاطونية الحديثة

الأفلاطونية الحديثة آخر مدرسة فلسفية عرفها العالم القديم . سادت تعاليمها بين إغريق الاسكندرية ابتداء من القرن الثالث الميلادي ، وهي في مجموعها نوع من المحاولة الفلسفية التصوفية لتفسير الكون ، كما أنها في الواقع خاتمة نائية لفصول الفلسفة اليونانية القديمة .

حققت هذه الفلسفة من شأن الحقائق العلمية البحتة ، وجعلت للتصوف والألهام المنزلة الأولى في تفسير الظواهر الكونية .

وكل مظاهر هذا الضرب من التفكير روحية محضة ، لا نغنى بالجانب المادي من العالم ، وإنما تفرغ كل عنايتها للجانب المعنوي منه ، وهي تأخذ بنظرية « المثاليين » ولا تعترف بنظرية « الماديين » ، ترى أن الحقائق الانسانية وليدة الفكر نفسه من غير تدخل الحواس ، فهي لا تصل اليه من العالم الخارجي كما يرى الماديون . وبعبارة أخرى يرى اتباع هذا المذهب أن « الفكر هو الحقيقة » .

ومن هذا ترى أن فلاسفة الأفلاطونية الحديثة عاشوا على غذاء فكري ضئيل سه لأنهم أساءوا النقل عن « أفلاطون » ، حين تعلقوا بما أورده من التنبهات التي لم يسبقها إلا على سبيل التمثيل ، من غير أن يأخذوا عنه آراءه الحقيقية في « المثل » .

وعاش الشعب الاسكندري على ترهات وخرافات مجدها
هذه الفلسفة الجديدة بكل ما وسع الفكر الشرقى من تشبث، وما
طبع عليه من استسلام للأوهام.

ونظراً لما كان للاسكندرية من مركز متوسط بين أجزاء العالم
القديم، تلاقت فيها ألوان من الفلسفة اليونانية، فتناولتها بالدرس
والشرح والتعليق زمناً في جامعتها، ثم أنتجت في عصر ضعف الجامعة
نوعاً من الفلسفة عرفت به وعرّف بها، هو فلسفة «الأفلاطونية الحديثة».

وقد أخذت فلسفة الاسكندرية من كل فلسفة سابقة بنصيب، ثم
مزجت هذا الخليط الفلسفي بالدين والتصوف، فهي آخذة من أرسطو
أسلوبه المنطقي، كما هي قائمة على طريقة «اختيار» ما يحلو لها من
المذاهب المختلفة — ليس لها اعتماد ما على حقائق العلم المادى، وعن
أفلاطون نقلت كل آرائها في «المتافيزيقا» ومن «الرواقيين»
استمدت تعاليمها الأخلاقية، وزادت على ما أخذت عن هؤلاء
جميعاً ما ساغ لها من تصوف خاص أكسبها طبيعتها المعروفة.

ولقد فرقت الأفلاطونية الحديثة تفريقاً واضحاً بين الروح والمادة،
على نحو ما فرق بينهما الفلاسفة اليونانيون من قبل، وكما فرقت
«الفيثاغورية» الحديثة نفسها، وهي تأخذ في ذلك بالمذهب «الأثينى» (١)،
الذى يفصل المادة عن الفكر ولا يعتقد بوجود اتصال بينهما.
وهذا هو العنصر الفلسفي في الأفلاطونية الحديثة.

(١) زعم هذا المذهب «أفلاطون»، وقد حاول أرسطو أن يصحح من خطأ
هذا الرأي. راجع فلسفتي أرسطو وأفلاطون.

وأضافت هذه الفلسفة إلى ذلك أن هناك شيئاً أسمى من الفكر في إدراك حقائق الأشياء. هو البصيرة، ففمن طريق الكشف يمكن أن تدرك حقائق الأشياء، وهذا تصوف لا صلة بينه وبين العقل والبحث. وإن عصرًا تسود فيه مثل هذه الفلسفة، لا بد أن يكون عصر إجماع على، يحجز العقل فيه عن الوصول إلى حقائق الأشياء بطريقة منطقية، فترك للألهام والكشف أمر الوصول إليها.

اكتسبت الفلسفة هذه الروح الغريبة من احتكاكها بالدين، ورغبتها في مناصرتها، وربما كانت هذه الفلسفة قد تعمدت التحقير من شأن العلم المدرك بالحواس، لتكون إلى الدين أقرب... ولا غرابة فقد كان معظم فلاسفة هذا العصر من رجال الدين — بل لقد كادت الأبحاث الفلسفية بجميع أنواعها تكون وقفًا على رجال الدين المسيحي أنفسهم، وهم الذين تذرعوا بأساليبها في الاقتناع للنشر العقيدة المسيحية.

وأول مبشر بهذه الفلسفة الجديدة «أمونيوس سكاس».

أمونيوس سكاس: أمونيوس سكاس هو مبتدع هذا الضرب من الفلسفة في الاسكندرية، وأول أستاذ له، نصراني النشأة، درس أرسطو وأفلاطون، وتشبع بأرائهما الفلسفية، غير أنه رأى أن العالم في عصره قد هوى إلى حضيض غلبت فيه نزعة الشر على نوازع الخير، وانحدرت فيه النفس البشرية من سماء الطهر إلى وهدة من الأدراخ سحيقة، فكان لا بد لها من نوع من الفلسفة يقنعها أن

سموها وتحررها إنما هو بانصالحها بالخالق ، وابتعادها عن شرور المادة وآثامها .

وهكذا كانت الأفلاطونية الحديثة العلاج الروحي لتلك الحالة السيئة . ولم يخلف « سكاس » أثراً مكتوباً من فلسفته ، ومات في منتصف القرن الثالث للميلاد .

أفلوطين : أفلوطين تلميذ لامونيوس سكاس . هضم تعاليمه لدرجة جعلته يعتبر في نظر كثير من مؤرخي الفلسفة مؤسس مذهب الاسكندرية .

ولا يعرف التاريخ كثيراً عن حياته الخاصة . لأنه أنى أن يدون شيئاً عن الجانب الجباني من نفسه مبالغة في الزهادة واحتقار المادة . ولد في أسيوط في أوائل القرن الثالث الميلادي ، وتلقى علومه الفلسفية في جامعة الاسكندرية ، وشغف بدراسة فلسفة الهنود والفرس ، ودرسها في فارس عن كثب . وحوالي منتصف القرن في الوقت الذي مات فيه أستاذه « أمونيوس سكاس » رحل إلى روما وأسس هناك مدرسة أخذ يعلم فيها مذهب « كيانيا » مكرماً من الامبراطور « جالينوس » . ومن عظماء تلك المقاطعة الذين وكلوا إليه أمر تثقيف أبنائهم وتربيتهم على تعاليمه .

وحياته الخاصة نموذج للتقشف البالغ . كان يقل من الطعام ومن النوم ومن الشراب رجاء الاتصال الروحي بالخالق — ويزعم أنصار هذا المذهب أن زعيمهم استطاع بالتجرد أن يصل إلى

الله أكثر من مرة ، وأن يندمج معه اندماجا تاما .

ولأفلوطين أهمية خاصة في عالم الفلسفة ، فهو في الواقع آخر فيلسوف في العالم القديم ، كما أنه المبتدع الأول (للمتا فيزيقا)^(١) المسيحية ، وأول مقرر في تاريخ التوحيد المسيحي للعلاقة بين المتافيزيقا والاخلاق . وفلسفة أفلوطين قائمة على فكرة «أفلاطون» في «المثل» مع شيء من التشويه . رفض من كل مدارس من فلسفة اليونان أية علاقة بين عالمي المادة والحس . ورأيه في العالم أنه من خلق قوة خارقة تعجز العقول عن إدراك كتبها : أزلية غير متناهية . لا صلة للروح أو المادة بها . وهذه القوة مؤثرة في الكون ، غير متأثرة به ، إرادتها مطلقة لا راد لها ، وذاتها منزهة عن كل وصف ، لأن الوصف من مستلزمات المادة ، وهي ليست منها بحال ، لا مكان لها تستقر فيه ولا زمان . وفي عبارة موجزة هي قوة تخالف ما في الوجود من قوى . ولا تتصل بالوجود بأي نوع من أنواع الاتصال ، لما في ذلك الاتصال من التبدل إلى حضيقض المادة .

إذا كان هذا ، فكيف تفسر هذه الفلسفة ، نظرية الخلق ؟ وكيف نشأت الكائنات ، إذا كان الخالق منقطع الصلة بالكائنات ؟ يرى «أفلوطين» أن الكون نشأ عن الإله بطريق «الفيض» ، على نحو ما يفيض الضوء من اللهب ، والبرد من الثلج .

(١) ما وراء الطبيعة ، الخالق .

وأول شيء فاض عن الآلة بهذه الطريقة هو العقل . وعن هذا العقل انبثقت نفس كلية . وعن هذه النفس الكلية انبثقت نفوس جزئية . هي نفوس البشر ، وهذه النفوس الجزئية أدنى مراتب العالم الروحاني الذي يبدأ بالآلة . وشاء «أفلوطين» أن يخرج من النفس الكلية نفساً ثانية هي «الطبيعة» ، وهي التي تتصل وحدها بالعالم المادي .

والمادة عند أفلوطين أبعد الكائنات عن الكمال ، وهي مصدر الشرور لأنها عبارة عن العدم ، والعدم أشد درجات النقص ، وغاية الحياة التحرر من سلطان تلك المادة ، وما دامت المادة شراً ، فلا اتصال لها بالخالق . لأنه خير مطلق ، ولا يمكن أن يكون للخير بالشر اتصال .

ويؤخذ على أفلوطين أنه استسلم للأوهام ، وجعلها أساساً لفلسفته ، وما القبيض الذي رآه الوسيلة الوحيدة للخلق إلا محض خيال ووهم كبير .

وأسمى ما تطلعت إليه الأفلاطونية الحديثة هو الوصول إلى حالة استقرار نفسي ، يخرج العالم من ظلام الخيرة والشك الذي انتابه في ذلك الوقت — إذ لم يكن بد في وقت ساد فيه مذهب الشك (١) (الذي يقرر أن العقل لا يستطيع الوصول إلى حقائق الأشياء بالتمسك) من وجود فلسفة كهذه ، تقرر أن الكشف والإلهام كفيلا للوصول إلى الحقائق ، التي قرر «الشكاكون» عجز

الفكر عن إدراكها ، وهذا هو التصوف الذى دارت حوله الأفلاطونية الحديثة .

ويصعب أن يقبل الفلاسفة هذا الضرب من التفكير على أنه فلسفة ، ولا حاجة بهم إلى إخضاعه لقوانين المنطق الصارمة اشتقاقاً عليه منها .

ولأفلوطين في الوصول إلى حالة التجرد والاتحاد مع ذات الله خطوات لا بد للمريد من سلوكها :

الأولى : — التخلص من شغور المادة وسلطانها القاهر بالرياضة على شغلب العيش والتعشيف .

الثانية : — التأمل والتفكير للوصول إلى الحقيقة العليا .

الثالثة : — الوصول إلى حقائق الأشياء بطريقة لذنية بحثة سبيلها التخلص من شغور المادة بالزهادة فيها ، والتفكير في إدراك الحقيقة العليا بالتأمل العميق .

الرابعة : — الاتحاد مع الله والاندماج في ذاته والتجلى الأعظم . فإذا نغصت النفس الإنسانية بهذا الاتصال الإلهي ، استقرت في مقامها الأول ، وسعدت بذلك المقام زمناً .

ولا سبيل إلى التجرد والاتصال بالخالق إلا بترويض النفس على الزهادة والتعشيف .

وقدر لمذهب الاسكندرية هذا أن يتشكل في سوريا وروما وأثينا بعض التشكل ، مع محافظته على أساسه التصوفي في كل مكان

— ففي روما اتخذت الأفلاطونية الحديثة على يد زعيمها هناك « يروفيري » (يوفوريوس) شكلاً قوياً فيه الاعتقاد ببعض الشيء على التصوف وامتاز بالوضوح لأنه كان منطقياً — وفي سوريا ، زادت حدة النزعة الدينية في الأفلاطونية الحديثة ، وازدادت غموضاً هناك على يد تلميذها « جامليكوس » .

وبعد القرن الخامس الميلادي انزوت الأفلاطونية الحديثة في فكر الفلسفة الأول ، في « أثينا » حيث عليها « بروكلوس » آخر معلم للفلسفة القديمة . وعلى يديه تاحست الأفلاطونية الحديثة المسيحية العداء . واشتدت حماسها للموسوية والوثنية .

وفي سنة ٥٢٩ م أغلق « جستنيان » المدارس الفلسفية التي وجدها ، في أثينا وسوريا وروما ، ففر من وجهه « دماسكباس » الدمشقي إلى بلاط « كسرى » ملك الفرس ومعه عدد من أتباعه يتفنون عنده نصرته لذهبهم الفلسفي ، ولكنهم باءوا بالخيبة فيما هاجروا من أجله ، وضمن لهم « كسرى » عند « جستنيان » بعد عودتهم من بلاد الفرس حياة وأمناً .

وفي القرن السادس الميلادي قضى على الفلسفة بكل أنواعها قضاء تاماً ، فلم تعد تدرس هنا أو هناك ، وحلت محلها آراء ومذاهب دينية مسيحية شغلت الأذهان في القرون الوسطى ، طرأ عليها ما طرأ من الفساد حتى أدركها الإصلاح على يد « كلشن » و« ولور » وغيرهما . وليس معنى هذا أن الآثار الفلسفية ذاتها أمتحت من الوجود ، بل كل ما حدث أنها فقدت الالسة الناطقة بها والعقول الباحثة فيها

والقوة النافذة لها . واستكنت في خزائن الاديرة والكنايس زمناً ،
يقرؤها رجال الدين في صمت عجيب . ويفيدون منها ما يفيدون .
إلى أن جاء عصر احياء العلوم ، فقدر لآثار أرسطو وأفلاطون
والاسكندرانيين وأشياح الاسكندرانيين أن ترى النور من جديد ، وأن
تعال على ضوء العقل الحديث ما تستحق من تقدير ونقد .

ومال العرب في العصر العباسي إلى دراسة الفلسفة اليونانية
عامة ، فأخذوا عن اليونان أساليبهم في الفكر وأقيستهم في المنطق ،
ومسلكتهم في الحوار ، وأدخلوا بذلك على الدين الاسلامي حركة
تفكيرية امتاز بها العصر العباسي الاول ، هي حركة « الاعتزال » ،
ثم نقلوا عن فلسفة « الاسكندرانيين » روحها التصوفية . لأنهم
وجدوا فيها ملاءمة تامة بين الدين والفلسفة ، قالوا اليها وانفتحوا بها .
وإذا حق القول بأن هذه الفلسفة أنشأت التصوف المسيحي
انشاءً ، فلا يمكن الذهاب إلى أنها أنشأت التصوف الاسلامي ، إذ التصوف
الاسلامي سابق في وجوده على دراية العرب بهذه الفلسفة . ومن
الانصاف أن نعيد القول هنا بأنها لم تخلق التصوف الاسلامي
— وإنما دخلت عليه فقط ، فلم ير فيها ما يخالف طبيعته ، فقبلها ،
وأخذ منها ما يقوى هذه الطبيعة . كان ذلك في العصر العباسي حين
ذاعت فلسفة الاسكندرانيين بين العرب على يد السريان .

والتأمل في فلسفة « سبنوزا » و « ديكارت » يرى أنهما أخذتا

أصولا لفلسفتيهما من الأفلاطونية الحديثة . ويرجع الفضل في ذلك إلى جهود العصور الوسطى . وما مذهب « فطرية الأفكار » عند « ديكارت » إلا رجوع إلى ما قرره أفلوطين من أن النفس كانت بادية ذي بدء نقية تكسدت حولها الأدراكن ، فلو أنها استطاعت أن تنقي ذاتها . لشعرت أنها لا تحتاج إلى مزيد من العلم يأتيها عن طريق الحواس — عندئذ تهتدي النفس إلى كل شيء بهدي إلهي هو الأفكار أو حقائق الأشياء الخالة فيها « بالفطرة » .

وأشهر آثاره الفلسفية « التساموعات » Enneads وتقع في أربع وخمسين مقالة ، طبعها تلميذه « فوزفيروس » ، ظهرت لها طبعة لاتينية عام ١٤٩٢ م . ثم طبعت في أواخر القرن التاسع عشر ، طبعها « ملر » Müller ثم ترجمها إلى الإنجليزية « ماك - كنا » سنة ١٩١٧ م . وخير من تناول أفلوطين وفلسفته بالكتابة « إنج » الذي وضع « فلسفة أفلوطين الدينية » (١٩١٤) ، و « فلسفة أفلوطين » (١٩١٥) .

ومن كتبوا عن فلسفة أفلوطين من العرب « الشهرستاني » وكان يسمى أفلوطين « الشيخ اليوناني » . ونحن نسوق مثالا من تناول الشهرستاني لفلسفة الاسكندرانيين . يقول في علاقة الله والعقل بالمادة في كتاب « الملل والنحل » :

« وقد ارتفع اليك خصمان منك يتنازعان ، بك أحدهما حق والآخر مبطل ، أحدهما العقل والثاني الطبيعة أي المادة » .

ويقول في الآله : « ليس للمبدع الأول تعالى صورة ، ولا

حلية مثل صور الأشياء العالية ، ولا مثل صور الأشياء السافلة ،
ولا قرة له مثل قواها ، لكنه فوق كل صورة وحلية وقوة ، لأنه
مبدعها بتوسط العقل ؛ المبدع الحق ليس شيئاً من الأشياء ، وهو جميع
الأشياء ، لأن الأشياء منه . وقد صدق الأوانل الأفاضل في قولهم :
مالك الأشياء كلها هو الأشياء كلها ، أو هو علة كونها . (والمقصود
بالأفاضل الأوانل فلاسفة اليونان) وهو قديم دائم على حاله لا يتغير ،
والعاشق يحرص على أن يصير إليه ويكون معه . وللعشوق الأول
(الإله) عشاق كثيرون . وقد يفيض عليهم كلهم من نوره . من
غير أن ينقص منه شيء ، لأنه ثابت قائم بذاته لا يتحرك .
هذا مثل من أمثلة أخذ العرب عن الاسكندرانيين . وهو يطلعنا
على أن الأفلاطونية الحديثة لا تجعل صلة بين الإله والمادة ، فإن
جعلت هناك صلة بينهما ، فبطريقة نائية عن المنطق كما ترى .

الفصل الثالث

تحقيق القول في أمر المكتبة العامة

أبو الفرج بن العبري يذبح القرية — ملخص القرية — الألة على أنت العرب
ثم يضافوا هذا الأسم — حلو الاسكندرية من مكتبة عامة عند فتح العرب مصر —
خلاصة آراء المؤرخين المحدثين .

نقل : أبو الفرج بن العبري ، Bar Hebraeus عن أبي الحسن علي
ابن يوسف القنطلي (٥٦٨/٥٦٩) رواية مؤداها أن عمرو بن العاص ،
أحرق المكتبة الكبرى التي كانت بالاسكندرية عند فتح العرب لها ، ثم
تداولها من بعده نفر من المؤرخين ، منهم عبد اللطيف البغدادي
ونفي الدين المقرئ .

وسلخص القرية في أن حنا الأجراني Johannes Grammaticus
شهد فتح العرب للمدينة ، ودخل مرة على عمرو بن العاص فأكرمه
عمرو واقتن به ، وقرية من نفسه — فطلب حنا إلى عمرو أن يهبه
« كتب المسكنة في الخزائن المالوكية » فاعتذر عمرو بأنه لا يستطيع
أن يأمر فيها بأمر إلا بعد أن يستأذن أمير المؤمنين ، عمر بن الخطاب ،
وكتب عمرو إلى الخليفة عمر في شأن ذلك . فجاءه كتاب الخليفة
يقول : وأما الكتب التي ذكرتها فإن كان فيها ما يوافق كتاب الله ،
ففي كتاب الله ما يغني عنها . وإن كان فيها ما يخالف كتاب الله ، فلا
حاجة إليها ... تقول الرواية ، فأخذ عمرو يوزع كتب المكتبة على

حمامات الاسكندرية لثحرق في مواقدھا ۱۱

«وحنا الاجرومي» هذا هو بعينه «حنا فلپولس» John Philoponus الذي عاش في حكم جستنيان (٥٢٧/٥٦٤) وكتب مقالات عدة هاجم فيها رجال الدين المسيحيين — والمرجح أنه لم يكن على قيد الحياة عند فتح العرب للاسكندرية عام ٦٤٢م، ولو كان حيا حينذاك لتيف عمره على مائة وأربعين سنة (١)

ذكر «بلوتارخ» ونفر من المؤرخين الذين أتوا من بعده أن حريق «البروكيوم» سنة ٤٨ ق.م أصاب المكتبة الملحقة بالمتحف الاسكندري، وقضى على ما يقرب من أربعمائة ألف مجلد. ولايحتمل أن يكون «سترابون» قد سكت عن حادث كبير كهذا، بل الأقرب إلى العقل أن يكون المؤرخ الكبير قد ذكر الحادث في بعض تاريخه المفقود، لأن الرواية تواترت على ذكره، ولم يعد حريق «البروكيوم»، واحتراق المكتبة التي كانت به أمراً يقبل الشك. على أن المعروف أن «مارك أنطوان» عرض المدينة عن الخسارة الفادحة التي حلت بها بأهدائها كتب مكتبة «برجاموس» كلها أو جلها، أما المكان الذي أودعت فيه هذه الكتب المهداة فحل خلاف بين المؤرخين، فالبعض يرى أنها أودعت في مكان ما بالقصور الملكية حتى تم تشييد معبد «القيصريون»، ومهما يكن من الأمر، فقد كان في هذه الحبة خير العوص عما فقدته مكتبة المتحف.

(١) راجع ترجمة حنا فلپولس في الفصل الرابع من القسم الثالث

وظلت كتب هذه المكتبة مرجع العلماء والمتعلمين على طول العهد الروماني. على أن الصراع العنيف الذي مر بنا ذكره بين المسيحيين والوثنيين، والذي قضى على كل الآثار الوثنية تقريباً مع خوانيم القرن الرابع الميلادي بتدمير السرايوم، لا بد أن يكون قد قضى على ما كان في المدينة من آثار الوثنية وأخصها الكتب، سواء كان أيداعها في المتحف أم في القيصريون أم في السرييوم. على أنه لو كان أيداع هذه الكتب في المتحف أو قريباً منه، فما لا شك فيه أنه أورليان، في اتحادة ثورة الاسكندرية عام ٢٧٣ م، قد قضى عليها في مكانها، وإن كان قد نجا من هذه الكتب شيء نقل إلى السرايوم، فلم يتقص القرن الرابع الميلادي حتى كانت كتب الوثنيين قد زالت من الوجود، إما بسبب هدم معبد القيصريون عام ٣٦٦ لليلاد، أو تدمير السرايوم عام ٣٩١ م وانطفاء جذوة العلم فيه بسبب زوال هذه الثروة القيمة.

ويذكر أفثونيوس، Aphilthonius، وهو من عاصروا تدمير السرايوم أن مكتبة كبرى كانت وثيقة الاتصال بأبنته، ولا بد أن يكون التخریب التام الذي نال المعبد قد قضى على هذه المكتبة فيما قضى، وإن كانت مخازن الكتب قد بقي بعضها إلى أوائل القرن الخامس الميلادي، (على ما يقرر المؤرخ «أوروسيوس» Orosios)، فقد كانت خالية من الكتب — وعلى هذا يصعب أن يعتقد الإنسان أنه قد بقيت بالاسكندرية مكتبة عامة؛ والحق أنه لم يكن بالمدينة عند فتح العرب لها عام ٦٤٢ لليلاد غير بعض المكتبات الخاصة بملكها

نفر من محي العلم من أمثال العالم « كزماس » الذى كان يعير من كتبه فى كثير من الرغبة فى الافادة ، ومكتبة مطران « آمد » وهو من كبار علماء السريان فى مصر ، ومكتبات الاديرة والكنائس ، وكانت كتبها فى الغالب مسيحية .

وهكذا يتأكد القول بعدم وجود مكتبة عامة بالاسكندرية ، يمكن أن يضع العرب عليها أيديهم عند الفتح (١) .

o o o

وفىما إلى اجمال رأى الدكتور « بطر » فى شأن هذه المكتبة — يقول فى آخر الفصل الذى عقده لهذا الغرض فى كتابه ، معرباً بقلم الاساذ محمد فريد أبى حديد :

١ — أن قصة احراق العرب للمكتبة العامة لم تظهر إلا بعد نيف وخمسةائة عام من وقت الحادثة التى تذكرها القصة .

٢ — أننا خضنا القصة وحللنا ما جاء فيها فالفينا سخافات مستبعدة ينكرها العقل .

٣ — أن الرجل الذى تذكر القصة أنه كان أكبر عامل فيها وهو (حنا الاجرومى) مات قبل غزوة العرب بزمان طويل .

٤ — أن القصة قد تشير إلى واحدة من مكتبتين : الاولى مكتبة المتحف . وهذه ضاعت فى الحريق الكبير الذى أحدثه « قيصر »

٤٨ ق م . وأن لم تلتف عند ذلك ، كان ضايعا فيما بعد فى وقت لا يقل عن أربعائة عام قبل الفتح (٢) — وأما الثانية فهى مكتبة « السرايوم » فاما

(١) راجع الفصل الأول من باب الخامس « نياة الجامعة »

(٢) ادب ثورات المسيحيين على الوثنيين .

أن تكون قد نقلت من المعبد قبل عام ٣٩١ للميلاد وقت ثورة تيوفيلوس،
وإما أن تكون قد هلكت أو تفرقت كتبها وضاعت — فتكون على
أى حال قد اختفت قبل فتح العرب بقرنين ونصف قرن من الزمان.
٥ — أن كتاب القرنين الخامس والسادس الميلاديين لا يذكر
شيئاً عن وجود مكتبة عامة، وكذلك كتاب أوائل القرن السابع.

٦ — أن هذه المكتبة لو كانت لا تزال باقية عندما عقد فيرسه
صلحه مع العرب على تسليم الاسكندرية، لكان من المؤكد أن تنقل
هذه الكتب إلى خارج الاسكندرية، وقد أصبح ذلك في شرط الصلح
الذى كان يسمح بنقل المتاع والأموال في مدة الهدنة، بين عقد الصلح
ودخول العرب المدينة، وقدر ذلك بأحد عشر شهراً.

٧ — لو صح أن هذه المكتبة قد نقلت، أو لو كان العرب قد
ألتفروها حقيقة، لما أغفل ذكر ذلك كاتب من أهل العلم كان قريب
العهد من الفتح هو « حنا القيوسى (١) »، ولما مر على ذلك بغير أن
يكتب حرفاً عنه.

ولا يمكن أن يبقى شك في الأمر بعد ذلك فإن الأدلة قاطعة،
وهي تبرر ما ذهب إليه « رينودو » من الشك في قصة أبي الفرج،
وما ذهب إليه « جبون » من عدم تصديقها، ولا بد لنا أن نقول

(١) مؤرخ أباطي مصري كتب تاريخاً فيها لحوادث عصره باللغة القبطية، والنسخة
الخفية لكتابه موجودة في المانيف البريطانى، نقلها الانجليز اتفاقاً فيما نقلوا من كتب
(مجلة) إحدى بلاد الحبشة

أن رواية أبي الفرج لا تعدو أن تكون قصة من أقاصيص الخرافة
ليس لها أساس من التاريخ .

• • •

وفيما يلي اجمال لرأى شارل ديبل Ch. Diehl الأستاذ بالسربون .
في كتاب « تاريخ الامة المصرية » لهانوتو .

١ — لم يذكر حنا النقيبوسى الذى يكاد يكون معاصراً للفتح
العربى والذى كان رجلاً عالماً شيئاً عن حريق المكتبة .

٢ — اختفت المكتبة التى كانت تخر المتحف منذ أمد بعيد قبل
الفتح العربى بشهادة بلوتارخ وسكاودايون كاسيوس وهامين مرسلين .
وهـ أوزون . فى الحريق الذى صحب ثورة الاسكندريين على قيصر .
٣ — أما تلك المكتبة الشهيرة التى أسست بعد سنوات فى
بعض جهات « السرايوم » . فقد اختفت على الأرجح سنة ٣٩١ بعد
الميلاد حينما خربه المسيحيون فى ثورتهم على الوثليين — أو اغتصبت
وتفرقت كتبها أيدي سلبا .

٤ — لم يذكر واحد من كتاب القرن الخامس الذين زاروا
الاسكندرية ، ولا سيما « حنا مسكوس » الذى كان مشغولاً بالمسائل
الفكرية شيئاً عن وجود مكتبة كبرى فى الاسكندرية .

• • •

وأنت ترى أنه لا يكاد يختلف « ديبل » عن « بطر » فى رأى .
وبهذه التديلات القاطعة انتفت تلك التهمة التى كان « ابن القفطى »
أول من ذكرها ، واتى روجها « أبو الفرج بن العبرى » المؤرخ اليهودى .

الفصل الرابع

أشهر الأعلام

كاليماخوس العالم بالمكتبات — أفيلديس أمير الهندسة — مانيثون المؤرخ —
 نيركزيس الشاعر — أراتوس فيزيار — أرسناروكاس — كلوديرس بطليموس الجغرافى —
 ديوفانتس عالم الجبر — ثيون وهاشيا — جالينوس الطبيب — جينا الأجرى —
 نولس الأناطلى .

كليماخوس^(١)

امتازت المدرسة الأدبية بأنها ناقلة في مجموعها . معلقة على هذا
 النقل ، ناقدة له ومصنفة في الوقت نفسه أنواعاً من التصانيف كانت
 بدء العناية بالعلوم المفوية — ولولم يكن للاسكندرية غير هذا الفضل لكفى .
 وأكثر الأسماء تداولاً في مضمار الأدب الاسكندري كاليماخوس
 الأديب الشاعر ، وهو كبير الأثر في الحركة الأدبية في الاسكندرية ،
 عهد له بطليموس الاول أمر ترتيب مكتبة المتحف ، وبفضله غدت
 المكتبة بنظامها الدقيق تقدم أعظم التسهيلات لاساتذة جامعة
 الاسكندرية وطلابها .

وهو أول أضاء المكتبات في الشرق في نظر البعض ، وضع
 فهرسين لمكتبة المتحف الاسكندري ، أحدهما بأسماء المؤلفين ، والآخر
 بأسماء الموضوعات .

(١) Callimachus ٣٠٨/٣٠٧ قبل الميلاد

وهو أول من فكر في تقسيم الملفات البردية إلى أجزاء . ومن هنا كان تقسيم الأشعار اليومية وتاريخ هيردوت وغير هذين من الآثار الأدبية القديمة إلى أجزاء أو مجلدات .

وبفضل هذا الترتيب أصبح لمكتبة الاسكندرية مركز ممتاز في عالم التصنيف والبحث ، وغدت المرجع الوحيد الذي اعتمد عليه الناقلون ، وأصبح العالم كله لا يثق إلا في مخطوطات الاسكندرية . وعن مخطوطات المكتبة الاولى التي نظمها كليماخوس والمكتبة التي كانت في السرايوم ، نقلت جميع النسخ الخطية وملفات البردى التي لم تعصف بها أحداث الزمن إلى المكتبات الأوروبية المختلفة . وبطريق هذا النقل شاعت في أوروبا آثار هومر وزنوفون وأرسطو وأفلاطون وفيثاغورس وأقليدس وأفلوطين وغيرهم من العلماء والفلاسفة والأدباء من الإغارقة والاسكندرية .

إقليدس^(١)

امتازت جهود الاسكندرية بأنها كانت في مجموعها جهوداً أدبية . غير أنه لم يكن هناك غير حاجز رقيق يفصل الأدب عن العلم . وكثيراً ما كان يتلاشى ذلك الحاجز ، فلا يكاد الانسان يفرق بين ما هو أدب وما هو علم — ولا بين أديب وعالم . إذ كان إنتاج الفكر اليوناني الأول ، كلا ، متصلاً يصعب أن يفصله الانسان إلى شعاب ، ففي تلك الحقبة السحيقة امتزج الأدب بالعلم امتزاجاً

(١) Euclid ٣٠٦/٣٨٣ قبل الميلاد

شديداً — فكان الاديب عالماً والعالم أديباً والطبيب شاعراً وناقداً
 الأدب في وقت واحد ، وهكذا كانت المعلومات الانسانية كلها واحداً
 لا سبيل إلى تفصيله ، ولكنه كان هناك من العلماء رغم ذلك من عكف
 على ناحية واحدة من نواحي العلم وأمعن في مباحثها إمعاناً كإقليدس .
 ويختلط اسم إقليدس ، الاسكندرى باسم إقليدس الفيلسوف
 الميغارى . وإقليدس الميغارى هذا معاصر لافلاطون ، أما إقليدس
 الاسكندرى فقد جاء متأخراً عنه بزمان . ويحتمل أن يكون قد تلقى
 علومه الرياضية في أثينا ، ثم رحل إلى الاسكندرية ، وأسس بها
 مدرسة رياضية في عصر بطليموس سوتر (٣٠٥ / ٢٨٣ ق.م) :
 وفي شخصيته تمثل أقوى نزعة علمية رياضية عرفت عن الاسكندرية ،
 وهو يلقب بأبي الهندسة . تلمذ عليه العاهل بطليموس الذى يحكى
 عنه أنه سأل مرة أستاذه إقليدس عما إذا كان هناك طريق مختصر
 إلى الهندسة ، فأجابه إقليدس على الفور بقوله : يا مولاي : ليس
 هناك طريق ملكى إلى الهندسة .

ويروى كذلك أن تلميذاً من تلاميذه سأله يوماً عن الفائدة التى
 يجنيها الانسان من دراسة الهندسة ، فما كان من إقليدس إلا أن
 استدعى رفيقاً له وأمره أن ينقد الطالب بعض النقود ، فكان ذلك
 نقداً لا ذعاً وتهكاً بارعاً على سؤاله .

وذلك واضح الدلالة على أن العلم كان في الاسكندرية على يد
 إقليدس علماً قصد لذاته — لا للمادة . وقد ضرب إقليدس برده على
 بطليموس أول مثل على حرية الرأى الجامعى ، وأستن بذلك سنة

ما تزال مرعية في الجافعات حتى الآن .

وينسب إلى إقليدس أنه غير وجه الهندسة تغييراً تاماً وافترض لها فروضاً جديدة جعل بها الفروض القديمة بالية غير بمكنة التطبيق . وأشهر مؤلفاته : الأصول Elements وتكون من ثلاثة عشر جزءاً ، وأهم الموضوعات التي عالجها إقليدس :

١ — محاولة عتيقة لتربيع الدائرة . وقد ثبت أخيراً أن هذه المحاولة غير مجددة .

٢ — هندسة الأجسام المنتظمة الخمسة (ذو الثمانية أوجه — ذو العشرين وجهاً — ذو الاثنى عشر وجهاً — الهرم الثلاثي — المكعب)
٣ — طريقة : إبودوكسوس ، في : الاستنفاد ، (١)

٤ — الهندسة الفثاغورية ، وهو الذي أخضعها إلى نظام البرهنة النظرية ، وكانت قبل ذلك هندسة تعتمد على القياس بآلة القياس ، لا على البرهنة النظرية التي عمادها المنطق .

٥ — هندسة المقطعات (من مباحث الهندسة الفراغية) . ويعزى إليه أنه رتب النظريات وجعل أساس صحتها البراهين النظرية المعتمدة على استخدام المنطق ، وهو أول من اعتمد في البرهنة على : البديهيات ، وتعرف الهندسة التي هذبها إقليدس باسم : الهندسة الاقليدية .

ولا تزال هندسة إقليدس ، تكون جزءاً من منهج الدراسة في المدارس الانجليزية والمدارس المصرية وغيرهما بالإضافة إلى الهندسة الفثاغورية التي يرجع إليه فضل تهذيبها .

ولا شك أن فن البناء الذي اشتهرت به الإسكندرية استفاد كثيراً من هندسة إقليدس . حيث لا بد أن تكون قد طبقت فيها نظرياته تطبيقاً عملياً .

مانيتون^(١)

مانيتون ، كاهن مصري - أعريقي ولد في سبتيس (محمود) من أعمال الدلتا . عاش في القرن الثالث قبل الميلاد في عصر بطليموس الأول وبطليموس الثاني . شغف بدراسة التاريخ المصري القديم ودونه في عصر بطليموس فيلادلف وبأمر منه . وضع لمصر تاريخاً

(١) وعلى ذكر مانيتون Manethon المؤرخ المصري ، انصترو روسين Berosus الكاهن السكثاني الذي وضع اسكندرية تاريخاً له قيمة عالية . ولكنه كتاريخ مانيتون مفقود الآن . ويرجح أن يكون مانيتون قد حاكاه في ذلك . فوضع تاريخاً متأثراً بمصر هو الذي نحن بصدده .

ثم بوليبيوس Polybius ٢٠٣/١٢١ ق.م الذي وضع تاريخاً مفصلاً الفتوحات الرومان . وتلخص قصة هذا المؤلف في أن واضعه دون فيه حوادث كان فيها شاهد عيان لبطولة روما وانتصاراتها .

ثم ديودور الصقلي الذي وضع تاريخاً للعالم عصوره تاريخ روما . ثم هيرودوت المؤرخ الأعريقي الذي يلقب بأبي التاريخ . وتاريخه غير ما كتب الآفسيون جميعاً . وقد جعل عصوره تاريخ الفرس والأعريق .

ولا يفوتنا أن نذكر بولتارخ Plutarch أمير كتاب التاريخ . كتب عن الشخصيات المعاصرة له من ساسة الأعريق والرومان ورجال الحرب . ولكتاباته نوبة خاصة القصد منها تعجيد أبطال (فلا) — ومؤلفه معروف في الفرنسية باسم :

Vie des hommes illustres

بالأغريقية حافلاً بالحقائق ، مستمداً من أوثق المصادر التاريخية : من النقوش الهيروغليفية وأوراق البردى وسجلات المعابد ، وكان يضع في ثلاثة أجزاء : الأول يتناول التاريخ من بدء الخليقة حتى الأسرة الثانية عشرة الفرعونية ، والثاني يتناول الفترة الواقعة بين الأسرة الثانية عشرة والأسرة التاسعة عشرة ، والثالث يتناول الفترة الواقعة فيما بين الأسرة العشرين والفتح الفارسي الثاني .

وتاريخ « مانيتون » مفقود لا أثر له الآن — إلا ما نقله عنه المؤرخ اليهودي « جوزيفس » ثم « يوزيب » بعده بزمان . وبقي ما نقل جوزيفس عن « مانيتون » الحجة التي اعتمد عليها كتاب التاريخ ، حتى عمر « شبلليون » على حجر رشيد وفك طلاسم الهيروغليفية ، وأمكن بذلك استقراء التاريخ من أوثق مصادره — ألا وهي النقوش المصرية القديمة .

ثيوكريتس^(١)

من أشهر شعراء الاسكندرية « ثيوكريتس » الصقلي الأصل ، عاش في عصر بطليموس فيلادلف (٢٨٥ / ٢٤٧ ق.م) مقرباً منه حتى قيل أنه كان شاعر البلاط . كتب أشعاراً معظمها أغاني تصور الحياة الريفية في صقلية أبدع التصوير . وظل اسم هذا الشاعر جارياً على الألسنة نحو ألفي عام في عصور نصب فيها معين الأدب بعد سقوط الاسكندرية في قبضة الرومان .

(١) Theocritus ٢٤٧/٢٨٥ قبل الميلاد

والآداب الإسكندرية المعروف لنا بعضه من نتاج الاسكندرية
الحالص ، وبعضه من نتاج عقول انتجتها الاسكندرية وكتبت فيها بوحى
الطبيعة الأجنبية — ومن ثم لم يكن غريباً أن يكتب شاعر اسكندري
الموطن شعراً عن أرض «هلا» ببلاد اليونان ، أو أن يتصوره الباذة
جديدة ، أو يصف روائى صقلية ووفادها ومنحدراتها ومروجها
النضرة ، كما فعل «ثيوكريتس» .

والواقع أن البحر الأبيض برمتة كان موضوع العناية . فقد كان
من الوجهة السياسية مطمح سياسة الاسكندرية الاكبر ، وظلت الرغبة في
السيادة عليه سبب التنازع بين ملوك اليونان وملوك مصر من البطالمة مناه
ومن الوجهة العلمية كان العلماء لا يؤثرون بعض جهاته على بعضها الآخر ،
فكثيراً ما انتجعوا جزيرة ساموس ، وجزائر أيونيا ، وجزيرة رودس
وجزيرة صقلية ، وكان لهم في هدوئها جميعاً وانعزالها إنتاج علمي وأدبي
فاتق نسب إلى أئمتنا وقت سيطرتها ، وإلى الاسكندرية في عهد تقدمها
السياسي والعلمي .

وأغلب الظن أن فروعاً تتبع جامعة الاسكندرية كانت منتشرة
في بعض جهات البحر الأبيض ، على النحو الذي نعرفه في أوروبا الآن
من تبعية كلية «أكستر» Exeter في جنوب غرب إنجلترا لجامعة لندن ،
في العاصمة البريطانية .

إراتوستينز^(١)

ولد إراتوستينز ، في إقليم برقة عام ١٧٦ قبل الميلاد ، وتتلذذ على « كاليماخوس » ، ودرس الفلسفة على أعلامها في أثينا . استدعاه بطليموس الثالث ليكون أميناً للمكتبة ، وكانت أمانة المكتبة توكل عادة إلى ألمع شخصيات العصر .

وكان « أراتو » صديقاً للعلم على حد تسميته لنفسه . بلغ من سعة معارفه وعلو مداركه أن عرف باسم « أفلاطون الثاني » بسبب شدة اعتناقه لأراء أفلاطون ودفاعه عنها .

ألف في الفلسفة وعلوم اللغة والهندسة والرياضيات والجغرافيا والتاريخ والفلك ، وله في التاريخ كتاب مفقود عن الاسكندر الأكبر وتعليقات على تاريخ مانيثون .

وأبرز أعماله الباقيات قياسه لمحيط الأرض بطريقته الفلكية المعروفة ، فقد رصد الزاوية المحصورة بين الشمس وهي عمودية على الجندل الأول عند « سين » (أسوان) والاسكندرية ، فوجدها ٧٤° ، ثم قاس المسافة الواقعة بين سين والاسكندرية فوجدها ٥٠٠ (ميل) تقريباً ، فإذا كانت كل ٧٤° من المحيط تعادل ٥٠٠ (ميل) ، فإن المحيط كله يعادل ٢٥٠٠ من الأميال — وعلى هذا التقدير يكون قطر الأرض ٧٨٥٠ (ميلا) ، وهو حساب لا يختلف عن الواقع إلا في حوالى ٥٠ ميلا . ويعتبر إراتوستينز بحق مؤسس المذهب العلمي في الجغرافية .

(١) Eratosthenes ٢٧٦/١٩٦ قبل الميلاد

و هاراتوستينز، أول من وضع مصوراً علياً ذا خطوط للطول وخطوط العرض يشمل العالم المعروف حينذاك (أوروبا وأفريقية وآسيا)، ويمتاز مصوره بوضوح الاجزاء المحيطة بالبحر الأبيض المتوسط ووضوحاً تاماً.

ونعتمد جغرافية هاراتوستينز، على حقائق اعتبرها الجغرافيون المحدثون صحيحة في جملتها، وقرروا أنها أقرب إلى العلم الصحيح من المعلومات التي وضعها سابقوه.

هباركاس^(١)

عنى البطلمة بالفلك عنايتهم بالرياضيات، وبنوا المراصد من أجل ذلك في الاسكندرية وكانوب (أبي قبر).

والغالب أن تكون هذه المراصد الفلكية قد حققت لهم بعض المشاهدات الفلكية الهامة؛ ويرجح أن تكون عناية البطلمة بالفلك قد بدأت منذ اهتم به العالم هاراتوستينز، ومنذ بذل محاولته الأولى لقياس محيط الأرض بطريقته المعروفة (٢).

ويذكر اسم «هباركاس» في رأس المشتغلين بالفلك البخت، قضى حياته الأولى في جزيرة «ساموس» ثم رحل إلى الاسكندرية، وأهم أبحاثه نظريته في النظام الشمسي التي قرر فيها لأول مرة في التاريخ أن الأرض والكواكب تدور حول «الشمس»، ولم يصدق قوله

(١) Hipparchus ١٦٧/١٦١ ق.م

(٢) راجع «اراتوستينز»

أحد من فلكيي العصر الهليني والعصور التالية، وظل مناقضوه في الرأي على خطتهم يعتقدون أن « الأرض » هي المركز الذي تدور حوله الشمس والكواكب الأخرى. وقد أثبت « كوبرنيك » « البولندي صواب رأيه في ذلك — ولهذا يعتبر « هباركاس » المبتدع الأول لنظرية « النظام الشمسي » Solar System التي تقرر أن « الشمس » هي المركز وأن الكواكب تدور حولها.

كلوديوس بطليموس^(١)

ولد « كلوديوس بطليموس » في بلوزيوم (الفرما) ، فهو مصري المولد والحياة .

جاء بطليموس متأخراً في القرن الثالث الميلادي ، فلتخص كل ما كتب سابقوه ، واعتبر في العصر الروماني الحجة في كل ما عرف من علمي الفلك والجغرافية .

ووقع بطليموس في الخطأ الذي وقع فيه كثيرون غيره وبقي شائعا قروناً عديدة . ألا وهو الاعتقاد بدوران الشمس حول الأرض . ورغم ما وقع فيه من خطأ جسم في هذه الناحية ، فقد ظل رأي بطليموس متداولاً في القرون الوسطى ، وعرفت نظريته الخاطئة هذه باسم « النظرية البطليموسية » في النظام الشمسي .

وقد فطن إلى خطأ نظرية بطليموس « كوبرنيك » « البولندي ،

(١) Claudius Ptolemy عاش بالإسكندرية في القرن الثالث الميلادي .

وشاد كوبرنيق بشكرة الفلكي الاسكندري المتواضع «ارستارخاس»
الذي وصل مبكراً إلى الحقيقة في أمر دوران الأرض حول الشمس
دون أن يعترف له بالفضل أحد .

وتدهور الفلك البحث بعد بطليموس تدهوراً عظيماً واختلط
بالتنجيم ؛ ووضع بطليموس قبل وفاته كتاباً عن «التنجيم الباني»
يدل على أنه لم ينج من التأثر بروح العصر التي غلبت عليها الخرافة ،
وكادت الروح العلمية البهتة على عهده تتلاشى من العالم حين دقت
نواقيس الظلام ، وأسلم العلم زمامه نهائياً للجهالة التي خيمت على
العالم في عصور الصراع بين الوثنية والمسيحية . وهو معتمد في
كثير من آرائه على الفلكي القديم «هباركاس» الذي اشتغل
بالفلك في الاسكندرية في عصر بطليموس الرابع ، واعتماده كذلك
معروف على «مارينوس الصوري» الفلكي السوري الشهير .

وأشهر مؤلفاته «المجسطى» ، وهو عمل علمي جغرافي جليل ،
شغل ثلاثة عشر مجلداً ، وفيه يقرر بطليموس نظام الشمس
المعروف . ويقسم العالم السماوي إلى أبراج يستقر في كل منها عدد
من الأجرام السماوية .

ولبطليموس خريطة للعالم من نوع خريطة «اراتوسينز» تتنازع
بكثير من الدقة واستفاضة المعلومات .

وكانت «كانوب» مسرح أعماله الفلكية ، وكان له بها مرصد
خاص . ولم تقتصر جهود بطليموس على الفلك والجغرافية ، فله جهود
مشكورة في الرياضيات وعلى الأخص حساب المثلثات ، كما له مصنفات

في الموسيقى والفلسفة والتاريخ العام.

وترجم كتابه «المجسطى» Almagest إلى الفارسية والعبرية
واللاتينية. وأقدم ترجمة له هي اللاتينية التي أمر بها «الفونس»
ملك قشتالة، وهي ترجمة مقرونة بالأصل العربي. وفي عصر «أبي
جعفر المنصور» ترجم «المجسطى» إلى العربية، ولكن بما يؤسف
له أن الترجمة العربية ليست موجودة في أية مكتبة من مكتبات
الغرب أو الشرق. والمجسطى يحوى «زيجاً» زمنياً وحساباً
لحركات الشمس والقمر وجداول بأسماء النجوم الشمالية وحركات
الكواكب، وطريقته علمية منظمة، وأراؤه قيمة، وظلت كتابات
بطليموس العماد الذي اعتمد عليه جغرافيو العصور الوسطى.

ديوفانتس^(١)

ديوفانتس، واضع علم الجبر. أما يوناني أو مصري —
والذين يميلون إلى جعله يونانياً هم أنصار الفكرة القائلة بأن نشأة
علم الجبر يونانية، والذين يلحون في جعله اسكندرية عاش في القرن
الثالث أو في القرن الخامس الميلادي، يريدون بذلك نسبة هذا الفضل
العلمي إلى الاسكندرية. وهؤلاء يؤكدون أن نشأة علم الجبر
«اسكندرية» لا يونانية.

وعلى يد «ديوفانتس» بدأ الجبر يتبوأ مكانة سامية بين غروع
الرياضيات. يقال أنه وضع كتاباً في علم «العدد» يشكون من ثلاث

عشرة مقالة ، وصل إلينا منها ست وبضع مقالة . وهذا المؤلف يعتبر أساساً متيناً لتطور علم الجبر ، وهو خليط بين الجبر الصرف وبقية الفروع الرياضية .

ويميل مؤرخو الرياضة إلى الاعتقاد بأن ما كتب «ديوفانتس» كان معروفاً من قبل ، والحق أنه يصعب أن يصل الإنسان إلى شيء قاطع في أمر «ديوفانتس» — غير أن الشائع المعروف عنه أنه الواضح لعلم الجبر ، أو أنه على أقل تقدير أول من جعل أولياته علماً منظماً يتخذ لنفسه مكانة محترمة بين شعب الرياضة .

والشائع أن علم الجبر لم يتقدم خطوة عما تركه عليه «ديوفانتس» حتى أدركته النهضة الأوروبية . فنقلت ما خلف «ديوفانتس» في هذا العلم ، وأضافت إليه أبحاثاً جديدة — وقد عثر على كتابه بمكتبة «القائكان» في القرن السادس عشر مكتوباً باليونانية .

ثيون وهيباشيا^(١)

«ثيون» فيلسوف رياضي أدرك القرنين الرابع والخامس الميلاديين فعاش بينهما مشغلاً بمباحث الرياضة . ولا سيما الهندسة والفلك والجبر .

وتقرن جهود «ثيون» عادة بجهود ابنته الفيلسوفة «هيباشيا» التي ولدت بالاسكندرية . ونشأت نشأة أبيها العلمية ، وعاونته كثيراً في بحوثه الرياضية ، وتوسعت المدرسة الفلسفية الوثنية

Theon, Hypatia (١)

المعروفة باسم الأفلاطونية الحديثة Neo Platonism

وعلفت « هياشيا » على ما كتب ديوقانس في الجبر ، ولكن
تعليقها هذا مفقود الآن ، كما علفت على كتاب « أبولونيوس » في
القطاعات المخروطية Conic Sections

« هياشيا » عالمة فذة ، راحت ضحية التعصب الديني حيث
مثل بها المسيحيون في أوائل القرن الخامس الميلادي أبشع تمثيل
حين قتلوها وهي تدافع عن عقيدتها .

وموضوع جهادها ومقتلها يكون قصة رائعة للكاتب الانجليزي

الاشهر « تشارلز كنجسلي » Charles Kingsley عنوانها Hypatia

هذا وقد عرفت مبادئ « التحليل الجبري » إلى حد ما على يد
« ثيون » وابنته « هياشيا » — وكان القدماء لا يعرفونه ، وإن كانوا
قد عرفوا « التحليل الهندسي » على وجه التأكد .

وفي مآساة هياشيا يتمثل الصراع بين الوثنية والمسيحية بأجل
مظاهر القسوة المعروفة عن ذلك العصر المضطرب ، كما يتمثل في شخصها
الجمع بين الفلسفة بمباحثها المختلفة والاشتغال بالعلوم الرياضية .

جالينوس الطبيب^(١)

يتثل « جالين » أو جالينوس الطبيب البرجائي الأصل آخر
عهد الاسكندرية بالروح العلمية في الطب . وهو صاحب المقالات
الستة عشر الشهيرة في المباحث الطبية . وهو أستاذ الاواخر

(١) Claud Galien المولود في برغاموس ، والمتوفى سنة ٢٠٠ م

من علماء الطب الاسكندري — له من المؤلفات الطبية كثير ،
 لكن علماء المدرسة الطبية المتأخرة في الاسكندرية ، الذين أدركهم
 الفتح العربي ، كانوا قد اختاروا من بين مقالاته ست عشرة مقالة
 ترجموها وجعلوها برنامج الدراسة الطبية في المدينة ، وعلى مر الزمن
 شاعت هذه المقالات وأختصرت واختلطت بالتنجيم ، وأدرك
 العرب الاسكندرية وهي على هذه الحال ، فانتقل منها الطب إلى
 الشرق الأدنى مختلطاً بالشوائب التي طامسا نسبت ظلاً إلى العقل
 الغربي — نسب المتعصبون إليه ميلاً إلى التنجيم والشعوذة مرجعه
 في الحقيقة جهود الاسكندرية آخر عهدها بالحياة العلمية الصحيحة .
 وجالينوس الاسكندري أستاذ الاساتذة في الطب ، ولا يقل
 أثره فيه عن أثر دأقراطس اليوناني — ومن مجموع تعاليمها معاً
 تكونت برامج الدراسة في مدارس الاسكندرية الطبية — وتأثرت
 هذه التعاليم بروح الجهالة أحياناً ، وفقدت قيمتها وشاعت ، واقتصر
 في العصور المتأخرة على زعموس موضوعات كان لابد لدارس
 الطب من الاطلاع بها والاجتهاد على أساسها . ويعزى إلى هذا النقص
 الذي أعتور الحركة العلمية حين بلغت هذا الدرك . اجتهاد الاسكندريين
 وانصرافهم إلى الابتكار في الطب والكيمياء والعلوم الطبيعية ،
 ومن ثم كان ازدهار المدرسة الطبية النسي في الاسكندرية عند الفتح
 العربي وقبله بزمان .

حنا فلیونیس (۱)

من علماء القرن السادس الميلادي. وهو المعروف عند
العرب باسم : حنا الاجرومي ، (جراماتيكيوس) Grammaticus .
علق على أرسطو ودرس الطب الاسكندري ، وذاع صيته في
الوقت الذي أغلق فيه الامبراطور چستيان مدارس ، أثينا ، الوثنية
عام ٥٢٩ م .

ويزعم أبو الفرج بن العبري (المتوفى ١٢٨٦ م) أن حنا هذا هو الذي طلب إلى عمرو بن العاص، أن يعطيه من كتب الخزان المملوكية. قبل إحراقها، لأنه كان من هواة الكتب. وقد برهننا بالأدلة التي سبقناها عن « بطل » و « هانوتو » على سقم هذه الرواية وعدم استقامتها. ولا يمكن عقلاً أن يكون حنا هذا قد أدرك الفتح العربي، حيث ثبت الآن أنه كان يدرس ويكتب في الاسكندرية منذ أوائل القرن السادس، ولو أدرك القرن السابع لبلغ من الكبر عتياً وفقد عن الكتابة وطلب الكتب. وتحقيق تاريخ حياته مرتبط بمسألة اتهام العرب بإحراق مكتبة الاسكندرية ارتباطاً وثيقاً (٢) — وقد أدى بحث الدكتور

(1) 443/5 ميلادي

(٢) ثبت أن قابولوس هذا نوح إلى الاسكندرية في ابراهيم الثاني القارئ السادس الميلادي، وأنه كتب أول تعليقاته على أرسطو بتاريخ ١٠٠٠ و١٠١٠ و١٠٢٠ من تقويم القبط. الموافق ١٠ مايو ٥١٧ ميلادية. وأن مؤلفه عن «الولد العالم» الذي حارب فيه الأباطورية الحديثة وضعه عام ٥٣٤ للميلاد، وأنه كتب إلى الأمير طور جستبان =

بظن هذه المسألة إلى كذب رواية أبي الفرج التي أوردها في كتابه
« نظم الجواهر » ، وهي الرواية التي لا تعتمد على سند معلوم من التاريخ
في اتهام العرب باحراق مكتبة الاسكندرية .

وحنا فليونس هذا من أفاض علماء الاسكندرية ، ومن المشتغلين
فيها بالفلسفة والطب ومن محبي القراءة والاطلاع في عصر من أشد
عصور الاسكندرية غموضاً من الناحية العلية هو القرن السادس
الميلادي .

ولحنا فليونس تعليقات على تدريس علم المنطق وعلى فلسفة
أرسطو . وكان من شيوخ البعثة المتفهمين على الكنيسة الرسمية .
وجد فيه البعثيون زعيماً لهم ، وكان من المنتظر أن يأخذوا بتعاليمه
في المنطق ، ولكنهم بالاشتراك مع النسطورية آثروا مختصر
فورفيريوس الصوري المعروف باسم « ايساغوجي » واتخذوه
مدخلاً لهذا العلم .

وله تصانيف في قواعد اللغة الاغريقية والعلوم الرياضية ،
ومن المحتمل أنه كان أستاذاً يدرس في الجامعة ، ما لبث تحول من

= كتاباً دافع به عن فكرة الطيبة الواحدة للمسيح عام ٥٥١ للميلاد (تحقيق
أبراهيم في حياته : نهاية مدرسة الاسكندرية) .

— وإذا كان فليونس قد اشتغل بوضع أول تعليق له على أرسطو عام ٥٧٤م ،
فانه كان لا بد بلغ من العمر إذ ذاك عشرين عاماً على أقل تقدير . وعلى هذا
الاعتبار يكون قد ولد عام ٥٥٤م ، وليس معقولاً إذن أن يكون قد عاش حتى أدرك
الفتح العربي عام ٦٤٢م ، إذ لو عاش حتى ذلك العهد . لبلغ عمره ٨٨ سنة !

الوثنية إلى المسيحية ووضعها كتاباً هاماً ضد التعاليم الوثنية أن أكسيوس مكانة متازة . ومؤلفه : خلود العالم : Sur L'Eternité du Monde : حرب شعواء شنها على فلاسفة الافلاطونية الحديثة . وله مؤلفان دافع فيه دفاعاً مجيداً عن المسيحية ، وكان في كل ما كتب يتبع أسلوب أرسطو في الإقناع ، وهو من أواقل من أخضعوا الذين للقوانين المنطقية إخضاعاً صارماً . ومن بعده لعب المنطق دوراً هاماً بين اليهود والعرب المسلمين والمسيحيين اللاتينيين في العصور الوسطى . وقد دافع فلپوس عن فكرة الطبيعة الواحدة للسبح Monophysism دفاعاً مجيداً . وهو يعتبر بحق أصدق مثل للحركة العلمية في الاسكندرية في القرن السادس الميلادي . وآخر رجالها .

بولس الاجانيطي^(١)

أدرك الغرب الاسكندرية وبولس الاجانيطي يدورن بها تعاليم جالينوس وأبقراط في الطب على شكل متون لا سبيل إلى التحوير فيها — كما نراها من مناهج من السماء !

وبولس الاجانيطي هذا أستاذ العرب والسريان في الطب ، وبفضله ذاعت تعاليم جالينوس ، من الاسكندرية آخر عهدها بالدراسة الطبية ، وكونت نواة المدارس الطبية في انطاكية وحران وجنديسابور وغيرها من مراكز العلم في الشرق الأدنى عامة . والمعروف عن انطب الاسكندري في ذلك الوقت ، رغم رواج

Paul of Aeginae. (١)

دراسة على يد هولس الأجنبي، وزملائه، أنه اختلط بالتنجيم،
في وقت فسدت فيه مذاهب العلم إجمالاً، وتسلبت الجود على العقول،
وأنيح للظلام والاحاجي أن تعمل عملها في تشويه الحركة العلمية
عامة — والطبية خاصة.

واسم هذا الطبيب أكثر الاسماء تداولاً فيما نقل السريان
والعرب من طب الاسكندرية، وهو معاصر للفتح العربي وآخر
مثل للحركة العلمية الاسكندرية على الاطلاق.

ولولس الأجنبي مقالات في «فن التوليد»، عرفها العرب
ونقلوها فيما نقلوا غداة الفتح.

وظلت كتبه إلى جانب غيرها عادة للدراسة الطبية في القرون
الوسطى، في العربية واللاتينية على السواء.

|| الحمد لله في البداية والنهاية ||



• الميدالية التذكارية لإنشاء جامعة فاروق الأول بالاسكندرية
(الصورة المبعثرة للجامعة القديمة)

فهرست الموضوعات

القسم الاول

في أمر الجامعة صفحة

الباب الاول : الحضارة الهلينية في الاسكندرية وتأسيس المتحف الاسكندري :

المقدمة	١
الفصل الاول : حلم كبير يتحقق	٩
الفصل الثاني : خطة الاسكندر	١٧
الفصل الثالث : تأسيس المدينة	٢٤

الباب الثاني : الجامعة في المتحف الاسكندري :

الفصل الاول : في عصر بطليموس «سوتر»	٣٤
الفصل الثاني : في عصر بطليموس «فيلاذلف»	٥٢
الفصل الثالث : في عصر بطليموس الثالث	٦٠
الفصل الرابع : من بطليموس الرابع إلى بطليموس السابع	٦٤
الفصل الخامس : من بطليموس السابع إلى كليوباترة السادسة	٦٨

الباب الثالث : الجامعة في العصر الروماني الاول :

الفصل الاول : تمهيد	٧٧
الفصل الثاني : الجامعة في ألفية المتحف	٨٥
الفصل الثالث : الجامعة في السرايوم	٩٦

صفحة

الباب الرابع: الجامعة في العصر الروماني الثاني : ١٠٣

الباب الخامس: أخريات العلم الاسكندري :

الفصل الأول : بداية النهاية ١١١

الفصل الثاني : نهاية العلم الاسكندري ١٢٢

القسم الثاني

في النقل عن الاسكندرية وتأثر العقل العربي بعلومها :

الباب السادس: النقل عن الاسكندرية :

الفصل الأول : نقل اليعاقبة والنساطرة والريان ١٣٦

الفصل الثاني : في العلوم التي نقلها العرب عن الاسكندريين ١٤١

الفصل الثالث : في الاقتباس والنقل غير المباشر ١٥٢

الفصل الرابع : في تأثر العقل العربي بالاسكندرية ١٦٥

القسم الثالث

تعليقات وشروح وتراجم

الباب السابع : الفصل الأول : جامعة الاسكندرية بين قوة الانتاج وضعفه ١٨٦

الفصل الثاني : فلسفة الاسكندرية ٢٠١

الفصل الثالث : تحقيق القول في أمر المكتبة العامة ٢١٦

الفصل الرابع : أشهر الأعلام ٢٢١

استدراك ٢٤٠

المصادر وفهرست الموضوعات ٢٤١

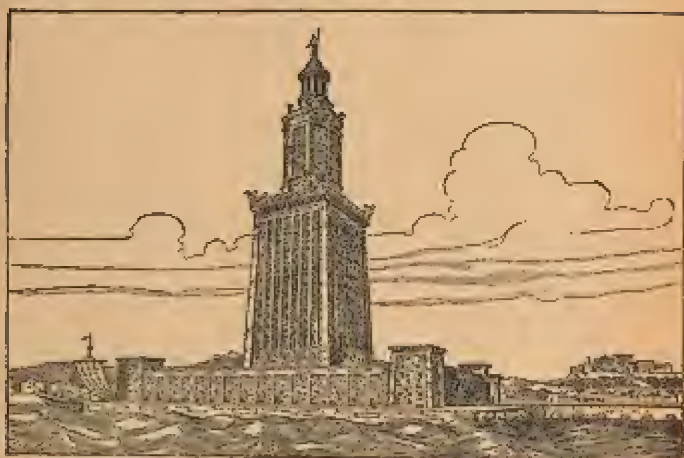
المصادر

- (١) ابن أبي أصيبعة . . . طبقات الأطباء
- (٢) ابن خلدون . . . المقدمة
- (٣) ابن خلكان . . . وفيات الأعيان
- (٤) ابن قتيبة . . . كتاب المعارف (وستفالد ١٨٥٠ م)
- (٥) البلاذري . . . فتوح البلدان
- (٦) أبو الفرج بن العبري . . . مختصر الدول
- (٧) الشهرستاني . . . الملل والنحل
- (٨) المسعودي . . . مروج الذهب
- (٩) المقرئ . . . الخطط وكتاب المواعظ والاعتبار
- (١٠) أحمد أمين وزكي نجيب محمود . . . قصة الفلسفة اليونانية
- (١١) أحمد أمين . . . فجر الإسلام وضحى الإسلام
- (١٢) اسماعيل مظهر . . . تاريخ الفكر العربي
- (١٣) حافظ عفيفي باشا . . . الانجليز في بلادهم
- (١٤) لجنة التاريخ القبطي . . . تاريخ الأمة القبطية
- (١٥) سعيد بن بطريق . . . نظم الجوهر
- (١٦) محمد أحمد حسين . . . مكتبة الاسكندرية في العالم القديم
- (١٧) محمد كرد علي . . . الاسلام والحضارة العربية
- (١٨) مصطفى أمين . . . تاريخ العربية
- (١٩) ياقوت . . . معجم البلدان

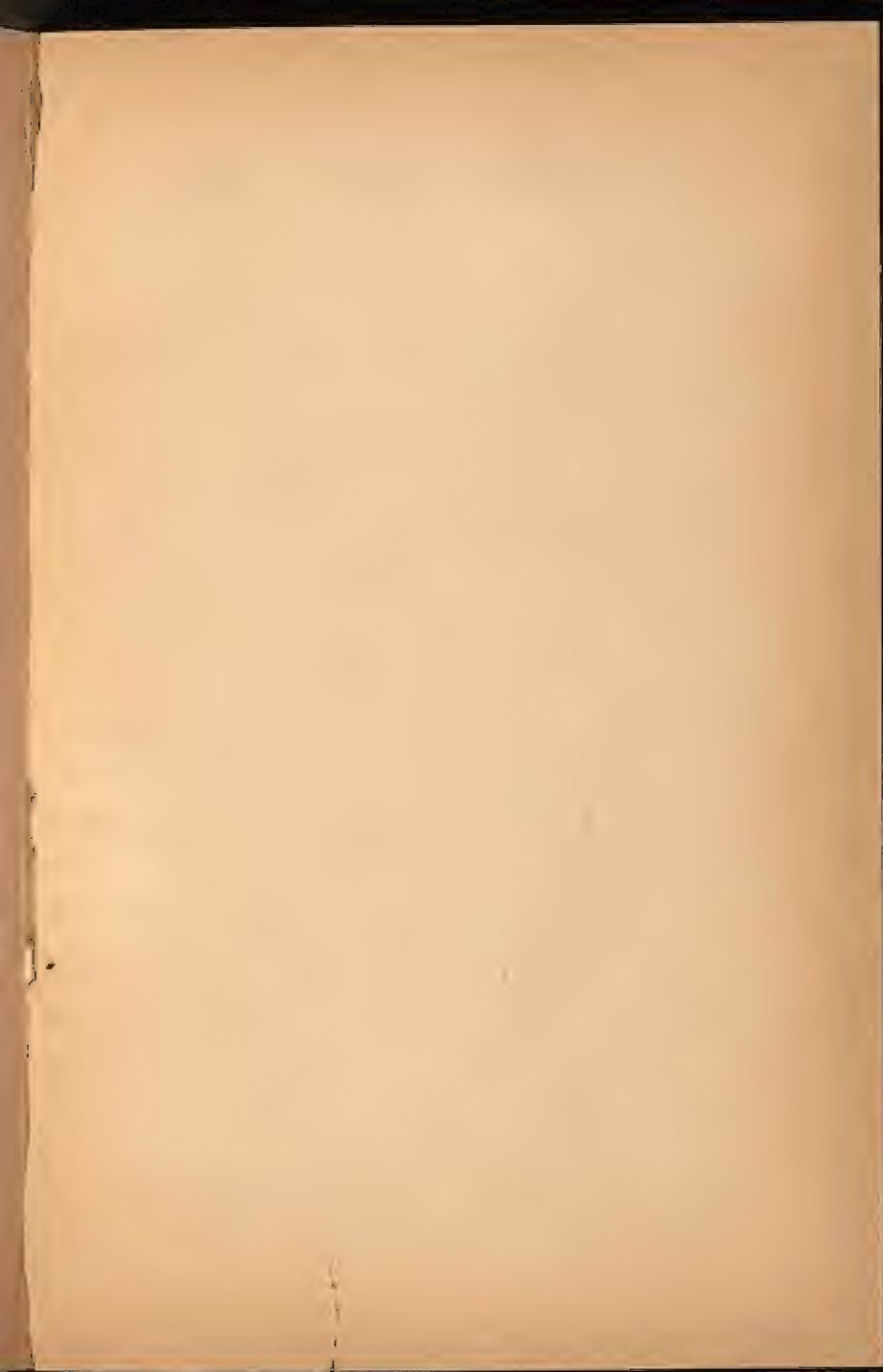
- 1) Baḫ (B) A Handbook to the History of Philosophy.
- 2) Bevan (Ed.) . . . A History of Egypt under the Ptolemaic Dynasty.
- 3) Breasted Ancient Times.
- 4) * * Ancient Coptic Churches of Egypt.
- 5) Breccia A Guide to the Ancient and Modern Town of Alexandria (1922).
- 6) Bury (J B) . . . Gibbon's Decline and Fall of the Roman Empire.
- 7) Casanova L'Incendie de la Bibliothèque à Alexandrie, (1923).
- 8) Champolleon . . . L'Egypte sous les Pharaons.
- 9) Hammerton . . . Concise Universal Biography.
- 10) Hanouteaux . . . Histoire de la Nation Egyptienne.
- 11) Heath History of Mathematics
- 12) Holm History of Greece.
- 13) Jondet (G) . . . Atlas Historique de la Ville d'Alexandrie, (1921).
- 14) Kilppel Uber das Alexandrinische Museum, (1828).
- 15) Mahaffy The Empire of the Ptolemies.
- 16) * Greek Life and Thought.
- 17) Maspero (G) . . . Comment Alexander devint dieu en Egypte.
- 18) Matter Essai Historique sur l'Ecole d'Alexandrie, (1820).
- 19) Mayerhoff (M) . La Fin de l'Ecole d'Alexandrie d'apres quelques auteurs Arabes.
- 20) Milne Egypt under the Roman Rule.
- 21) Parthey Das Alexandrinische Museum, (1838).
- 22) Ritschel Die Alexandrinischen Bibliotheken, (1888).
- 23) Smith Introduction to the History of Science.
- 24) Susemihl (F) . . . Geschichte der Griechischen Litteratur in der Alexandriner Zeit, (1891).
- * * *
- 25) Encyclopedia Britannica (14th Edition).
- 26) Encyclopedia Halensis (Vol. 23).

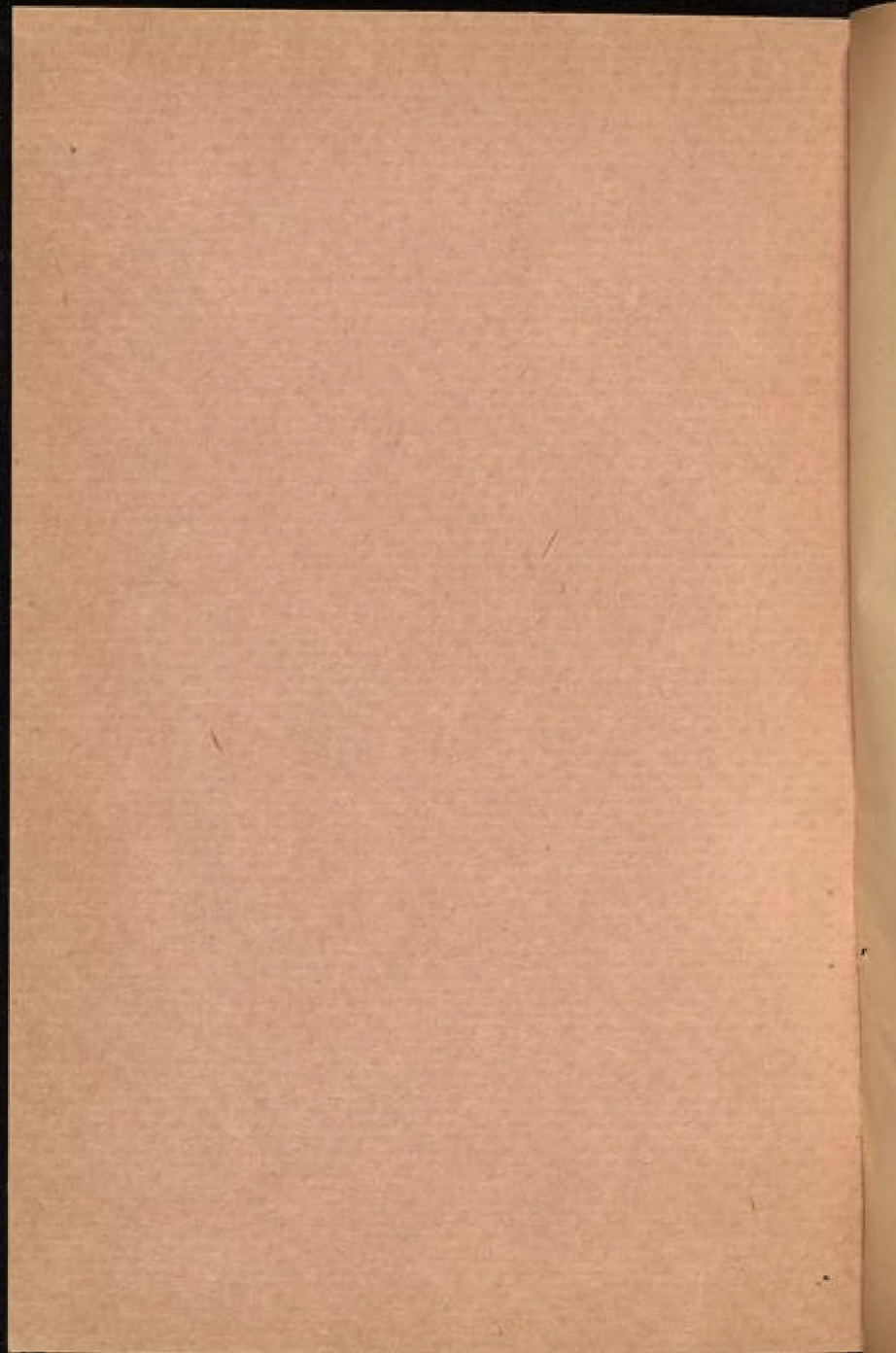


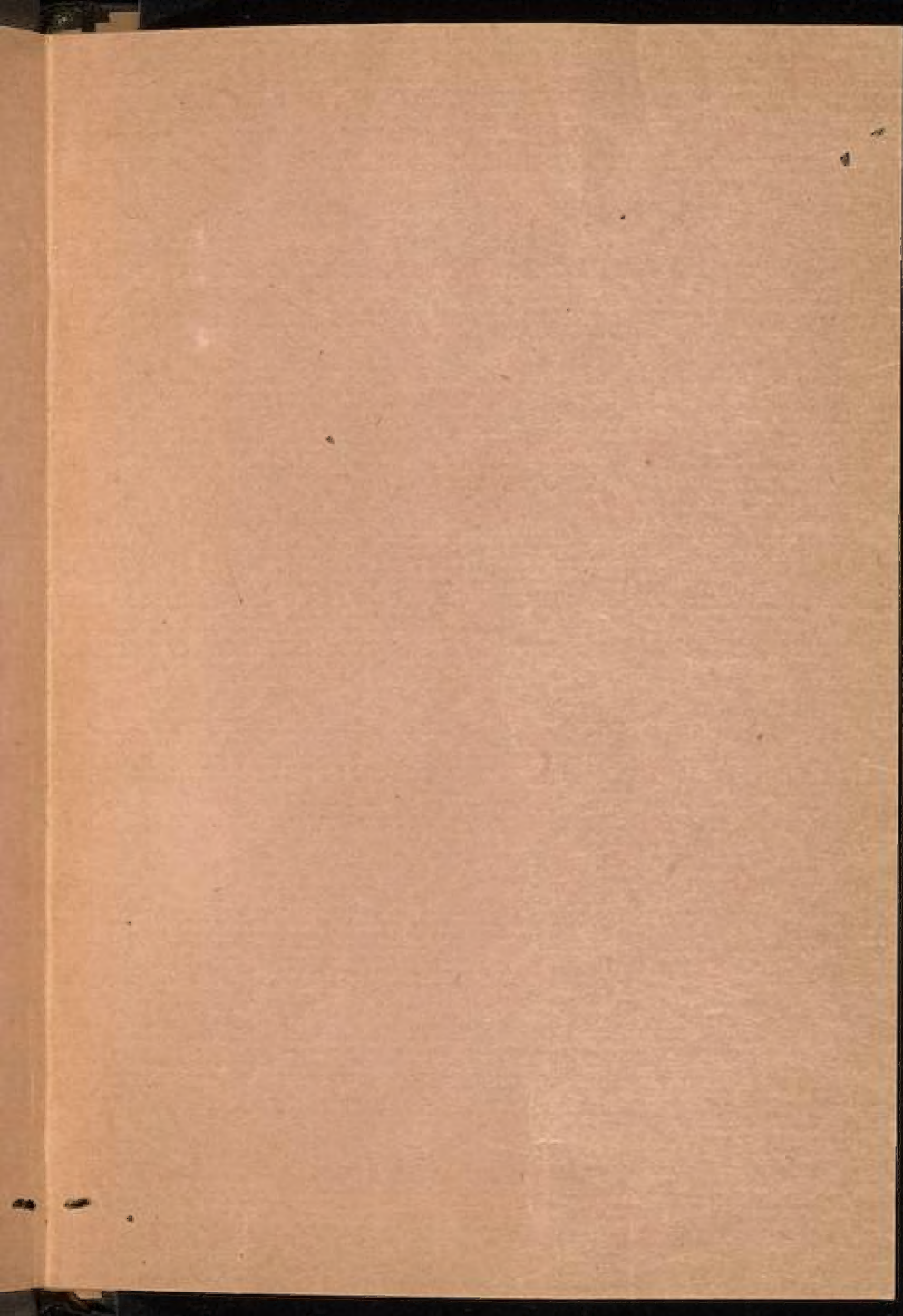
بطليموس الأول « سوتر »
مؤسس المتحف الاسكندري
(٣٠٥ — ٢٨٥ ق.م)



الفاروس : فئار الاسكندرية الأعظم — أسسه بطليموس فيلادلف
 في الطرف الشمالى لجزيرة فاروس حوالى ٣٠٠ قبل الميلاد ،
 وبقى قائماً فى مدخل الميناء حتى عام ١٣٢٦ للميلاد .
 (عن برستد : الأزمنة القديمة)







Columbia University
in the City of New York

THE LIBRARIES



General Library

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE



CU58892290

893.785 J95

Jamiat al-Iskandariy